# النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين

## للامام المجدد / محمد ماضي ابو العزائم

فاتحة الكتاب

الحمد لله دل علي ذاته بذاته ، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته ، القريب من خطرات الظنون ، والبعيد عن لحظات العيون ، العالم بما كان قبل أن يكون ، والصلاة والسلام علي سماء الرفعة القريب في علوه ، ونور القدس المتدلي في سموه ، سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ، وعلي آله أهل بيت النبوة ، الدعاة إلي الله ، والأدلاء علي

مرضاة الله ،و علي صحابته الصالحين الراشدين .و رضي الله تبارك وتعالي عن الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم ، ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضي أبي العزائم ..................

آمين .

و بعـــد

فتقدم دار المدينة المنورة . وهي احدي الهيئات التابعة لمشيخة السادة العزمية . الطبعة الثانية من كتاب ( النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين ) بعد أن صدرت طبعته الأولي عام 1332 هـ الموافق عام 1914 م ثم أعاد المجلس الأعلي للشئون الإسلامية طبعه عام 1392 هـ الموافق عام 1972 م بعد أن قُدم له من غير أهله ، الذين دائماً ما يعبثون في مؤلفات الإمام المجدد ، بالتعديل والتغيير والحذف والإضافة ، فجاء بعد الطبع محرفا ، أبسط ما يقال عنه أنه تشويه لآثار الإمام المجدد العلمية ، ومنع لوصول مفاهيم معينة أرادها رضي الله عنه أن تصل إلي الناس .

لذلك قامت دار المدينة المنورة بإعادة طبعه للمرة الثانية ، متوخية في ذلك الأمانة العلمية ، والدقة في النقل عنه ، لأن الخيانة في العلم أكثر إثماً من الخيانة في المال ، ولذلك كشف صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله " تناصحوا في العلم فإن خيانة في العلم أشد من خيانة المال ".

لذلك فإننا دائماً نحذر – القارئ المسلم علي وجه العموم ، وإخواننا آل العزائم علي وجه الخصوص – من قبول أي كتاب من آثار الإمام المجدد ، إلا إذا كان صادرا من دار المدينة المنورة ، باعتبارها الدار المسئولة عن طبع ونشر وتوزيع كتب الإمام المجدد رضي الله عنه .

و هذا الكتاب يضم بين دفتيه تمهيد وأربعة أبواب، يشمل كل باب من أبوابه العديد من المباحث.

فأما التمهيد: فيحدثنا الإمام المجدد فيه عن عودة مجد الإسلام، الذي لا يعود إلا بالعمل بأحكام القرآن والسنة، ولا أدل علي ذلك من حال سلفنا الصالح، حينما تمسكوا بشرائع الإسلام علي الوجه الأكمل، فمكن الله لهم فى الأرض، لا بعدد ولا بعُدد، ولكن كان عددهم اليقين، وعُددهم الأخلاق الطاهرة، والحرص علي الخير لبني الإنسان. أما واقع المسلمين الآن بعد أن تركنا العمل بالكتاب والسنة، فقد وكلنا الله إلي أنفسنا، فحل الطمع محل القناعة، والأمل محل الخشية، والغرور محل الخوف من الله، والانتقام محل الرحمة، و الحرص علي الدنيا محل العمل فيها للآخرة، والمزاحمة فيما يفني محل المنافسة فيما يبقي. عند ذلك التفت الله بوجهة الجميل عنا فتفرقت الكلمة، وذهب السلطان.

و أما الباب الأول: فيتناول الإمام المجدد فيه الإسلام باعتباره دين الكمال الإنساني،والسعادة الأبدية. وهذا الباب ثلاثة مباحث: المبحث الأول- أن بالإسلام نيل السعادتين في الدنيا والآخرة . والمبحث الثاني- في تأثير الإسلام علي المجتمع الإسلامي ، حتي تحول المسلم الحقيقي إلي أمة عظيمة . والمبحث الثالث- في اليقظة من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ، التى أصابت الأمة الإسلامية ، وبيان مراتب اليقظة .

أما الباب الثاني: فبين الإمام المجدد فيه واجبات المسلم . وهذا الباب يضم مبحثين : المبحث الأول – في الواجب لله سبحانه وتعالي ، الذي يقوم علي دعامتي المعرفة والشكر. والمبحث الثاني- في الواجب لرسول الله صلي الله عليه وآله وسلم ، والذي يشمل التصديق به وطاعته واتباعه ومحبته ، وتعلم آدابه ووجوب الصلاة عليه ، وتعظيم عترته ومودتهم .

و في الباب الثالث: شرح لنا الإمام المجدد موضوع الإمامة باعتبارها النظام السياسي في الإسلام والتى يقوم علي أساسها سائر التنظيمات الأخرى ، الإجتماعية ، والمالية والإقتصادية والعسكرية. فجميع أشكال النُظم تعتمد أولاً علي الحكم، فإذا وضح شكل الحكومة وأهدافها وغاياتها ، سهل علينا التعرف علي الأنظمة الأخرى. وهذا الباب يضم ثلاثة مباحث : المبحث الأول – فى وجوب تنصيب الإمام وصفته وطريقة إختياره. والمبحث الثاني – في الواجب علي الإمام لكل فرد من أفراد المسلمين ، والواجب للإمام علي كل فرد من أفراد المسلمين وعلي جماعتهم ، حتي يتضح للشباب المسلم- سواءاً من كان في حقل الدعوة منهم أو في التنظيمات السرية التى أشاعت الرعب في البلاد ، أو في الجماعات الإسلامية- أنه وقع ضحية فكر الخوارج ، ذلك الفكر المتطرف الذي يحمل بذوره إلي شبابنا دعاة لهم قوة تعبير وحرارة تأثير ، أحبوا الدنيا والغرور بزينتها للشهرة والاستعلاء علي الناس لذلك : كان سبيلهم الخلاف مع غيرهم ، وانتصارهم لمذهبهم بتكفير وتشريك وتحقير غيرهم . فلو كانوا هؤلاء غيورين علي الإسلام لكانوا هداة للحق، لا بغاة علي الخلق ، لأن الهداة يدعون كل الناس إلي الله ، من كان ضالاً فليهتد ، ومن كان عاصياً فليتُب ، ومن كان جاهلاً فليتعلم، ومن كان كافراً فليسلم . والهداة لا يعملون علي عقوبة المخطئ بل يعملون علي هدايته ولا يتعقبون المرتد ليقتلوه ، بل يتتبعونه ليردوه إلي حظيرة الإسلام . ولكن هؤلاء أئمة أهل التكفير والتشريك والتحقير أعماهم التعصب والغلو والتطرف فشحنوا عقول شبابنا بهذه العقيدة المضطربة ، عقيدة الخوارج . فصدرت من شبابنا حركات ، وردود فعل ، تتسم بالسطحية والعشوائية في القول والفعل ، ليجني هؤلاء الدعاة الثمرة من هذا الشباب الغير ناضج ، عن طريق الثورة المسلحة لإقامة الحكم الإسلامي ، وهو الأسلوب الذي ترفضه تعاليم الإمام المجدد أبي العزائم ، والذي رفضته من قبل على مر العصور والدهور مذاهب أهل السنة والجماعة ، ولم يُعتنق إلا من أصحاب الإمتداد التاريخي لفكر الخوارج .

و المبحث الثالث- في الواجبات العامة ، كواجب العلماء والتجار والصناع والمزارعين نحو المجتمع الإسلامي ، وواجب الأبناء نحو الوالدين ، والواجب علي المسلم لإخوانه ولعموم الخلق ولمعلم الخير .

و في الباب الرابع : يحدثنا الإمام عن الجهاد ، وأنه ليس المراد به القتال فقط لأن قصر الجهاد علي القتال قصور في فهم الفكر الإسلامي ، فالجهاد له معني أوسع من معني الحرب، ولذلك يقسم الإمام أبو العزائم رضي الله عنه أنواع الأعداء الذين يتعين علينا جهادهم ، بأنهم :-

أولاً : عدو ملازم وهي النفس – جنودها جوارحها المنفذة لأغراضها اللسان والعينان والأذنان واليدان والذكر والرجلان والبطن - .
ثانياً : العدو المفارق وهو الزوجة والأولاد .
ثالثاً : العدو الخارجي وهو الظاهر العلني والمداهن السياسي
.

كل هذه ميادين لألوان وأنواع من الجهاد ، لا كما يقول أصحاب الإمتداد التاريخي لفكر الخوارج : إن الجهاد مقصور علي القتال والصراع المسلح.

و إني إذ أقدم كتاب ( النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين ) للشباب المسلم المعاصر، الذي ظهر في الآونة الأخيرة ، والذي لا علم له بالشريعة الإسلامية باعتبارها دستوراً للسالكين علي طريق رب العالمين ، لقلة بضاعتهم من فقه الإسلام وأصوله، وعدم تعمقهم في العلوم الإسلامية واللغوية ، الأمر الذي جعلهم يأخذون ببعض النصوص دون بعض ، أو يأخذون بالمتشابهات ، وينسون المحكمات ، أو يأخذون بالجزئيات ويغفلون القواعد الكلية ، أو يفهمون بعض النصوص فهماً سطحياً سريعاً ، وما وصلوا إلي هذه الجرأة الشديدة علي الكتاب والسنة إلا بعد أن شُحنوا بتعاليم أهل

التكفير والتشريك والتحقير وظنوها ديناً مقدساً يدافعون عنه بحماسة بلغت حد التهور ، ولهذا كان من وصايا الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم رضي الله عنه " عمل بلا علم باطل وعلم بلا عمل عاطل " .

و قد قال الحسن البصري رضي الله عنه " العامل علي غير علم كالسالك علي غير طريق ، والعامل علي غير علم ، ما يفسد أكثر مما يصلح ، فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم ، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتي خرجوا بأسيافهم علي أمة محمد صلي الله عليه وآله وسلم ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم علي ما فعلوه " .

و لم أخرج هذا الكتاب في هذه الآونة ، إلا لأني علي رجاء كبير ، وأمل أكيد ، بشبابنا المسلم المعاصر ، الذي سيشد الله أزره ليجتاز البلبلة الفكرية والعقائدية ، المنبعثة من فكر الخوارج والتى وسوس بها دعاة- سمعوا كتاب الله فحرفوا ، وقالوا في سنة رسوله فزيفوا ، واحتجوا بباطل عقيدتهم فزخرفوا ، وقضوا بحكم فكرهم فخرفوا ، عقولهم حائرة، وأحكامهم جائرة، لأن دينهم المكر وشرعتهم الغدر ، وعقيدتهم الكفر ، وأخلاقهم الهُجر ، وطبعهم عقوق ، وعبادتهم مروق- .

فاللهم أعذ شبابنا من فتنة أئمة خوارج هذا الزمان ، حتي يظهر لشبابنا النور المبين ، فيستقيموا علي طريق رب العالمين ، لينالوا سعادة الدارين .

إن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله .

**الخليفة الثاني**
**السـيد عـز الـدين ماضــي أبــو العزائم** υ

# التماس الطبعة الأولي
# **1332** هـ - **1914** م
# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الإنسان علمه البيان، سبحانه وتعالى، لا أحصى ثناء عليه كما أثنى على نفسه . أرسل رسوله سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . ختم به عقد الرسل الكرام فأنزل عليه القرآن تبياناً لكل شيء، حتى أغنى الله خلقه بما نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم عن الاحتياج إلى رسول يأتى من بعده، فكان صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الرسل ورسول للخلق كافة . بيّن الله لنا به صراطه المستقيم، وسبل نيل الكمالات النفسانية، والتخلق بالأخلاق الربّانية، والتشبُّه بعوالم الملكوت الأعلى، والمجاهدة فى نيل السعادتين فشرح لنا صلى الله عليه وآله وسلم بعمله وقوله وحاله ما يجب أن نكون عليه من الاعتقاد والعلم والعمل والحال، وبيّن لنا صلى الله عليه وآله وسلم ما يجب علينا لأنفسنا ولربِّنا _ سبحانه _ وما يجب علينا لكل حيِّ، وصلى الله عليه وعلى آله وسلَّم .

و بعد فأقول – وأنا العبد المسكين أحمد ماضي أبو العزائم .-: إنَّي بعد أملي عليَّ سيَّدي ومولاي والدي الإمام السيد محمد ماضي أبو العزائم. كتاب ( معارج المقرَّبين ) وبيّن لنا فيه جُملا من علوم النفس ، والفَرْق بين العلم والإيمان ، وغير ذلك من العلوم العالية ، ظهر احتياجي أنا وإخواني إلي كتاب يفصِّل لنا فيه الواجب علينا لأنفسنا ، ولله ولرسوله ( صلى الله عليه وسلم)وللوالدين ولأولي الأمر منا وغيرهم ممن له علينا حقوق ، تفصيلاً لا يحتاج بعده المُطالع إلي معلِّم يُبيِّن له ، ولا إلي كتاب يرجع إليه ، بحيث تكون عباراته مفهومة للعامَّة ليكون النفع به أكمل والعمل به أسهل ، وأن يكون مشتملاً علي الواجب مطلقاً : سواء كان واجباً وجوب الفرائض أو السنن أو الرغائب . فعرضت هذا الأمر علي الإمام ، والتمست منهُ- نفعنا الله بعلومه – أن يملي عليَّ جملاً يبين فيها ما لابد منه مما يتعلق بالمعاملات الحسنة الشرعية، والأخلاق المحمدية بالتفصيل . فانشرح لذلك صدره – أعزه الله وأكرمه- وافتتح يملي علَّي رضي الله عنه ، ونفعه ونفعنا به آمين ٠

# مقـــدمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام علي فاتح أبواب هذا الخير العظيم شمس الهداية المشرقة الممدة بأنوارها الربَّانية جميع الأرواح والعقول وآله وسلم .

( وبعد ) فإن العلوم إنما تُتلَقَّي للعمل بها ، وليس العالِمُ من عَلِمِ . إنما العالم من علم فعَمل. والعمل بلا علم لا يرفع . والعلم بلا عمل لا ينفع . وإني أكرر التنبيه لإخواني المؤمنين- ودَّني الله وإياهم – أن يوجهوا هممهم إلي تحصيل العلوم للعمل بها ، وإن الأخ في الله تعالي إذا طالع مسألة من العلم فلم يفتح له مغلقها ولم يظهر له مراد منها ربما أنكر العلم أو أنكر علي العالم ، أو سئم العلم وملَّه . وكل هذه قواطع عن إدراك العلوم ، وحُجُبٌ تُبعد الإنسان عن مكاشفة أسرار الفهوم. وأنبه إخواني- أمدّني الله وإياهم بروح منه – أن الأخ إذا قرأ جملة من جمل العلم وصعب عليه فهمها ، أو خفي عليه مدلولها ، أن يتوب إلي الله بإخلاص وصدق ، ويسأله سبحانه وتعالي أن يعلمه ما لم يكن يعلم ، فإن ورد علي قلبه وارد الفهم ، وإلا قام فتوضأ وصلي ، واستمد من روحانية رسول الله ( صلى الله عليه وسلم)أن يمن الله عليه بفتح هذا المغلق وفهم هذا السر .

و أنبه إخواني أيضاً – علمني الله وإياهم البيان- أن يضن كل أخ بما فتح الله له من غوامض العلوم إلا لمؤهل ، أو لمن كاشفه الله تعالي بما كاشف به أخاه ، أو مسلم راغب تأمن عليه أيها الأخ من أن ينقدح الشك في قلبه ، أو يشوب إيمانه ما ينقص به .

و أنبه إخواني أيضا إلي دوام دراسة العلم في أوقات الفراغ ، وأن الأخ إذا فهم مسألة من العلم يجب عليه أن يسارع بالعمل بها ، وأن

يبين لأخيه في الله تعالي بالعمل قبل القول ، حتي يكون إماماً يقتدي به في العمل .

و أنبه إخواني أيضاً أن ما وضعته في كتبي هذه تحرّيت أن يكون مطابقاً للحق بكل اجتهادي ، ولكني لا أبرئ نفسي ، فمن وجد في كتابي ما لا يوافق الحق ، مما وضعته بما فيَّ من العجلة والتسرع والغفلة والنسيان ، فالواجب علي الأخ- أيده الله بنور منه – أن يضرب بقولي عرض الحائط ، وأن يعمل بالحق الذي وضح له ، ولكني أرجوه أن يسأل الله لي المغفرة والعفو ، فإنما أنا بشر ، وحسن ظني في الله يطمعني في العفو ، لأني والحمد لله أكره الباطل وأحب الحق .

و أنبه إخواني أن يجتهدوا في العمل بتلك العلوم ، وأن يتباعدوا من أن يتكلموا بها إلا إذا كانوا علي بينة من فهم أسرارها ، وإمكان التعبير عنها ، بما لا يخل بمعانيها، وأجلُّ ما أحبه من إخواني أن يجعلوا غيرهم هو الذي يثني عليهم وعلي علومهم بأخلاقهم الحسنة ، وببيان تلك العلوم لكل طبقة علي قدر عقولهم ، وبالتواضع لله ورسوله ، وبالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وبدوام ذكر الله وتذكير عباده به ، وبالتباعد عن أماكن التُّهم ومواضع الريب ليسلموا ويسلم من شرِّه عباد الله .

و الله تعالي أسأل أن يمنحنا جميعاً العمل بالكتاب والسنة ، والحب في الله ، والبغض في الله ، إنه مجيب الدعاء . وصلي الله وسلم علي الفاتح لأبواب الفضل العظيم وآله وصحبه وسلم .

# تــمهيد

معلوم أن النفوس سريعة الانفعال بما توررده عليها الحواس ، ودليل ذلك ما تراه يحصل للمسرور إذا رأي ما يحزنه ، فإنه ينسي بسرعة بواعث السرور وينفعل بما يراه ، وكذلك المحزون إذا شهد ما يسره فإنه ينسي ما كان فيه وينفعل بدواعي السرور . وربما انفعل المتألم بمرض شديد ببُشري أو بصوت حسن أو بمعني بديع فعمه السرور ، فينسي ألمه حتي لا يكاد يحس به ، وذلك مشهود محسوس. وكثيرا ما نسي الإنسان ألم الجوع والعطش بمجرد سماع خبر أو رؤية عدوًّ أو حبيب . وقد يكون الرجل محصوراً فيشتغل بشئ فينسي ذلك . وليس ذلك الأمر قاصراً علي النفوس الفاضلة بل هو عام لجميع النفوس حتي النفوس الحيوانية ، كما يحصل لكلب الصيد إذا اصطاد مع شدة جوعه وعطشه ، فإنه ينسيه سروره بالصيد جوعه وعطشه ، ويرجع مسرعاً بصيده إلي سيده يبصبص حوله به ، وكما يحصل للاعب الشطرنج من نسيان ألم الجوع والعطش ونسيان الهموم . كل تلك المثل المحسوسة برهان حق علي أن النفوس جبلت علي التسلي عما دواعيه مؤثرة عليها ، فتتأثر النفوس بما تشهده تأثيراً يجعلها تألفه وتأنس به ، ولو كان باطلاً أو بدعة مُضِلَّة .

و قد ظهر هذا الأمر جليًّا وأصبح المسلم – إلا القليل ممن عصم الله- آنسا بما يشهده من رذائل الأخلاق التى حظر عليه الشرع ، آلفا لقبيح الأعمال التى نحصى عنها الشرع مستبدلاً جمالات الدين بقبائح البدع ، ناسيا مراقي الخير ومعارج السعادة ، فرحاً بمدارج الشر ومهاوي الشقاء ، ينقاد للرذائل كالسيل في البطحاء ، ويقلد في السفاسف والدنايا كتقليد القردة يذم ما مدحه الله تعالي ورسوله ( صلى الله عليه وسلم)وما كان عليه أئمه الهدي ، ويمدح ما يلائم حظه وهواه ، حتي هوي في حضيض الذلة ، وانحط إلي درك الخزي ، وصار عالة علي الناس بعد أن كان هو الناس . كل ذلك أشهده بعيني رأسي ، وأعلم حق العلم أن ذلك كله من عدم الذكري ، وإهمال

أهل العلم في تأدية الواجب عليهم لجماعة المسلمين خوفا علي أنفسهم من أذية الناس ، أو نسياناً للواجب عليهم ، وإن خالفني في هذا من لم يطلع علي روح الشريعة المطهرة ولم يقع به العلم علي حق اليقين ، ممن يري أن الدين الإسلامي كالأديان الأخري لا يرتقي أهله إلا بتركه ، لأن هؤلاء نظروا بعين رؤوسهم ، وجهلوا أسرار دينهم ، لأن القرآن الشريف أنزله الله تعالي ضامنا لمن تمسك به العزة والسلطان في الدنيا ، والسعادة الأبدية . ويعلم ذلك حق العلم أعداء الدين العقلاء ، الذين أسسوا سعادتهم في الدنيا علي الأساس الذي أسسه رسول الله ( صلى الله عليه وسلم)من الجِدِّ والعمل ، وإعداد العُدَّة والعَدد ، وانتشار العلوم ، وما نهج عليه أئمة الهدي : من إحياء الصناعات والزراعات والفنون ، وتقوية الأمة وتربية نفوسهم حتي نالوا ما نالوا من سعادة الدنيا ؛ ولا يزال أعداء الإسلام عاملين بالإسلام وأهله تاركين له!! .

و أنت تعلم أيها القارئ أن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم)بُعِثَ بين هذا الحيّ من العَ ْرَب وكانوا أذل الناس ذلا ، وأشقاهم عيشا ، وأجوعهم بطنا ، وأعراهم جلودا ، وأثبتهم ضلالا . من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات منهم ردي في النار . يؤكلون ولا يأكلون . والله ما نعلم قبيلا من أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منهم منزلا ، حتي جاء الله بالإسلام فَمَكّنَ به في البلاد ، ووَسَّعَ به في الرزق . وجعلهم به ملوكا علي رقاب الناس ؛ فبالإسلام أعطي الله ما رأيتم، فاشكروا الله علي نعمته ، فإن ربكم مُنْعمٌ يحب الشكر .وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالي . والشكر حقيقة هو العمل بشرائع الإسلام كما قال الله تعالي : (اعْمَلُواْ آلَ دَاوُدَ شُكْراً )[1] فأثبت أن الشكر عمل .

---

1() سورة سبأ آية 13

**عودة المجد بالعمل بأحكام القرآن والسنة :**

و متي عمل المسلمون بأحكام القرآن وبالسنة المحمدية ، عاد لهم هذا المجد ودام ما داموا عاملين بالكتاب والسنة . وإليك برهانا يقيناً ، وهو أن سلفنا الصالح تمسكوا بشرائع الإسلام علي الوجه الأكمل فمكَّن الله لهم في البلاد ، ومحا بهم الظلم والضلال من كل أقطار العالم ، وفتح لهم كنوز الصناعات والفنون ، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون من خواص الكائنات . وكان المجتمع الإنساني في كل بقاع الأرض بالنسبة لهم أتباعا وهم الرعاة والسادة والقادة ، لا لكثرة عددهم بل لعملهم بشرائع الإسلام ، فلما حدثت البدع ٱلْمُضِلَّةُ التى أنتجتها المطامع والأهواء والحظوظ ، وأوَّلوا أحكام الإسلام علي الوجه الذي يناسب حظوظهم وأهواءهم ، وقعت العداوة والبغضاء بينهم ، وقام أهل الأديان الأخري فرفضوا الدين وراء ظهورهم ، لأنه ليس دين الرقيّ ونهجوا علي الأساس الذي أسسه أئمة الهدي المأخوذ من القرآن والسنة ، فتقهقر الذين يدَّعون أنهم مسلمون لتركهم العمل بالدين الإسلامي ، وتقدم الأمم غيرهم لتركهم العمل بدينهم المؤسس علي خراب العمران والرهبانية ، والنفور من غير أهل الدين ، كما تري ذلك في صريح ما بأيديهم من الكتب السماوية . فنحن تركنا العمل بديننا فتقهقرنا وذللنا وخذلنا ، وهم تركوا العمل بدينهم واقتدوا بسلفنا الصالح فسلطهم الله علينا وآتاهم الله زينة وأموالا في الحياة الدنيا بما تمسكوا به من شرائع الإسلام . وذلك لأن القرآن الشريف أمرنا بالعمل للآخرة ، وجعل نيل السعادة في الآخرة متوقفا علي العمل للدنيا ، لأن كل ركن من أركان الإسلام لا قوام له إلا بالمال .

**مكنون العلوم التي أظهرتها أركان الإسلام :**

انظر إلي الصلاة فإنه اشترط في الجمعة المسجد، والمسجد محتاج إلي بنّاء ونجّار وحدّاد وعامل ، ولا يمكن أن يكون إلا بوجود الصنّاع والأموال . واشترط للصلاة ستر العورة ولا تكون إلا بالثياب ، والثياب تحتاج إلي مُزارع وغزَّال ونساج ونجار . وتلك الصناعات تحتاج إلي صُنَّاع كثرين وأموال لكثيرة . واشترط استقبال القبلة لكل

مصلٍّ، ولا يتسني ذلك إلا بعلم الجهات الأصلية والفرعية، وعلم تخطيط الأرض ومعرفة جهات الكواكب الثابتة، حتي يهتدي المصلي إلي جهة الكعبة . واشترط للصلاة دخول الوقت ، وهو متوقف علي علم خطوط الطول والعرض لكل نقطة من نقاط الأرض ، ومعرفة سير الشمس وتنقلاتها ، حتى أنتجت تلك الشروط اختراع الساعات والمزاول والبوصلة وعلم المواقيت وعلم الفلك. واشترط الطهارة وهذا الشرط أنتج علم العناية بالأبدان وحفظها من الأوساخ ، وعلم أمراض الجلد خصوصاً مسح الأسنان بالأراك ، فإنه قد ظهر أن أكثر أمراض الجسم الباطنة ناتجة من الأوساخ المتراكمة بين الأسنان وحواليها . فكانت الصلاة سبباً في إظهار مكنون علوم لولاها لم يشتغل أهل العلم بتدوين تلك العلوم .

و الصيام متوقف علي وجود ما يُقْتات به عند الإفطار وعند السحور ، ولا يكون ذلك إلا بزاد متوفر ، إذ كل مسلم لا يجد طعاماً عند المغرب وطعاماً قبل الفجر ساقط عنه الصيام وهذا لايكون إلا بكثرة المالُ .

والحج عبادة مالية أكثر من كونها بدنية ، لأن شرطه الزاد والراحلة بعد ترك ما يقوم به أهله حتي يرجع إليهم ، ولا يكون إلا بوفرة المال .

و الزكاة هي عبادة مالية صرفه . فإذا كانت العبادات المفروضة قوامها المال فهو دين عمل وكسب للمال ابتغاء رضاء الله ، قال تعالي : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأمُورِ)[1] هذه الآية الشريفة تدلنا دلالة صريحة علي أن المسلمين إذا تمسكوا بشرائع دينهم مكَّنهم الله في الأرض . وملّكهم علي من سواهم ، فإن

---

1() سورة الحج – آية 41

مكنهم في الأرض وتركوا شعائر الدين سلَّط عليهم أعداءهم فجاسوا خلال الديار . نعوذ بالله تعالي من مخالفة شرائع الإسلام المؤدية إلي الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة . وقال الله سبحانه وتعالي : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ )[1] هذه الآية الشريفة برهان جليّ علي أن المسلمين إذا أحسنوا في هذه الحياة الدنيا بإتباع شرائع الإسلام فتح الله لهم كنوز السموات والأرض ، وأذل لهم غيرهم من الأمم حتي ينقادوا لهم ، وفي هذا الوقت تظهر بشاشة الإيمان وحلاوة الإسلام للعالم جميعه بمحافظة المسلمين علي شرائع الدين ، فيعتنق أكثر أهل الأرض الدين الإسلامي لأنه مطلوب النفوس إذا تجردت من العصبية والحظ والهوى .

و المسلمون إذا أحسنوا في هذه الدنيا طهّروا نفوس الأمم المجاورة لهم من تلك الأمراض ، فصفت النفوس ورغبت في الحق وبحثت عنه فوجدته هو الدين الإسلامي .

**نظرة إلي حال السلف الصالح وحال المسلمين الآن :**

لو قرأت صحيفة من تاريخ السلف الصالح الذين أحسنوا في هذه الدنيا ، لعلمت كيف أقبل العالم علي الدين الإسلامي بسرور ، واعتنقوه مطمئنين فرحين ، لأن أصحاب رسول الله ( صلى الله عليه وسلم)جملهم الله بجمال الإسلام حتي ظهرت حقائق الدين الإسلامي جلية لكل من شهدهم أو جاورهم.

---

1() سورة النحل – آية 30

نشأ الإسلام بمكة فلم تمض سنون تعد علي الأصابع إلا وقد سرت روحه علي سواحل المحيط الأطلانطيقي ، وعلي الضفاف الشمالية للبحر الأبيض المتوسط ، وانتشرت بسرعة حتي أشرقت أنوارها علي سواحل المحيط الهندي والمحيط الهادي ، ولم تقف تلك الروح حتى سرت في آسيا وأفريقيا وأوربا والجزر ، واعتنق دين الإسلام أهل العقول والعلم ، ودان لسلطان المسلمين بقيتهم ، فكان المجتمع الإنساني إما يدين للإسلام أو يدين للمسلمين بالانقياد . لم يكن ذلك بعدد ولا بقوم كان لهم ملك فقاموا ليجددوه ، ولكن كان عددهم اليقين الحق ، وعددهم الأخلاق الطاهرة والحرص علي الخير لبني الإنسان . ثم انتقل العالم الإنساني من ظلمات الجهالة والضلالة إلي أنوار الفضائل والرقي فأحيوا الأفكار بالنظر في الآثار ، وبحثوا علي خواص الكائنات حتي استنتجوا منافع كل كائن ومضاره ، فاستعملوا المنافع وبينوا الوقاية من المضار ، كل ذلك كان باتباع شرائع الإسلام وبالعمل بالقرآن .

و لما ترك المسلمون العمل بشرائع الإسلام ، وحلَّ الطمع محل القناعة ، والأمل محل الخشية ، والغرور محل الخوف من الله ، والانتقام محل الرحمة ، والحرص علي الدنيا محل العمل فيها للآخرة ، والمزاحمة فيما يفني محل المنافسة فيما يبقى ، ومالوا إلي زينة الدنيا وبهجتها ونسوا يوم الحساب ، ووثقوا بكثرة الأموال وقوة الملك . عند ذلك التفت الله تعالي بوجهه الجميل عنهم ، ووكَلَهم إلي أنفسهم ، وحرمهم من معيته سبحانه وتعالي الخاصة بهم لعدم اتباع شرائع الإسلام ، وعاملهم بسر قوله تعالي : ( فَلاَ تُعْجِبكَ أَمْوَالُهُمْ ولاَ أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ) [1]

---

(1) سورة التوبة – آية 55

و حقًّا صارت الأموال سبب الفتن والخصومات بين الوالد وولده ، وصار الملك سبب الذل والتفرقة ، حتي صرفت الأموال في المصائب والخصومات ، وقتلت النفوس البريئة طمعاً في الدنيا ، وتفرقت الكلمة ، وتبَلْبَلت الألسن ، وذهب السلطان لضعف الإيمان وترك شرائع الإسلام .

**الغرض من الكتاب :**

كل تلك الحوادث دعتني أن أُلبِّي إخواني الذين التمسوا مني أن أكتب لإخواني المسلمين مختصراً أبين فيه الواجب للمسلم وعليه ، عسي أن تلك القلوب – النائمة نومة الغفلة ، الراقدة رقدة الجهالة – تستيقظ . وتلك النفوس – المسجونة في ظلمة الحظ والهوي والنسيان – تتجرد وتبحث عن طريق السعادة في الدنيا والآخرة ، وتنهج علي الطريقة المستقيمة التى تنال بها الحسنة من الله تعالي في الدنيا والآخرة . إذا تقرر ذلك فالغرض من الكتاب تحصيل العلم النافع تحصيلا يكسبنا الخشية من الله تعالي والعمل بشرائع الإسلام ، حتي تلين الأبدان والنفوس وتنجذب إلي السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة . هذا هو الغرض الباعث لجمع تلك المذكرات علي أني أبرأ إلي الله تعالي مما خفيّ عليّ في نفسي من الحظوظ الخفيَّة والنزوع الخفيِّ ، مما لا حول لي ولا قوة علي دفعه إلا بالله تعالي فإن ذلك من فطر النفوس البشرية .

و أنبه إخوتي المؤمنين إلي أن مختصري هذا إنما وضع ليفتح بابا من أبواب الخير ، تنبيها لأهل الفضل أن يوجهوا هممهم إلي الحث علي العمل بشرائع الإسلام . وأكرر الذكري لأني لست معصوماً فقد أخطئ وقد أصيب ، ولكني ما كتبت في كتبي إلا ما اعتقدته صوابا ، فمن ظهر له الخطأ فيها فالواجب عليه أن يسأل الله لي المغفرة ، وأن ينبه علي ذلك بعد البحث والتدقيق ، لا ليوقع المسلمين في الاختلاف بل رحمة بإخوته المؤمنين . وأنبه القارئ أن يقرأ تلك الكتب لا بقصد الاعتراض والانتقاد أو التحسس والتجسس ، بل يقرأها ليذاكر إن كان عالماً ، وليزداد إن كان طالبا ، وليتعلم إن كان مبتدئا . والله سبحانه أسأل أن يحي قلوبنا ، ويمكِّن لنا في الأرض بالحق ، ويمنحنا السعادة الأبدية بالاستجابة لله ورسوله إنه مجيب الدعاء آمين .

# البــاب الأول
# الإسلام دين الكمال الإنساني والسعادة الأبدية
## الفصل الأول
## بالإسلام نيل السعادتين

كل بني الإنسان لو تجردوا عن الحظوظ الحاجبة للعقول عن إدراك الحق ، والأهواء التى تعمي عين البصيرة ؛ لتحققوا أن الإسلام هو الدين الحق الذي به سعادة الدنيا والآخرة حِسًّا وعيانا. وذلك لأن الله سبحانه وتعالي جعل الإنسان نوعاً وسطاً بين عوالم الملائكة والحيوانات، ووهب له العقل الذي يعقل عنه سبحانه ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعا منه تقدست ذاته . خلق سبحانه آدم علي صورته سميعاً بصيرا متكلما مؤهلا لتلقي العلم مريدا ، وجعله خليفة في الأرض ، ومنحه سبحانه عيونا في قلبه يبصر بها أسرار الغيب من الآيات المنبلجة في الآثار ، وفطره علي الدين ، فلا تري فردا من أفراد بني الإنسان إلا وهو يخنع لقوة يسميها ( الله ) ، اهتدي إلي الطريق الموصل للحق فيها من هداهم الله ، وأخطأ طريق معرفته من حجبهم الله ، قال تعالي : ( مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا )[1] خلق الله الإنسان ليُشهده غرائب قدرته في مكوناته بما جعل له من النور في قلبه ويكاشفه بعجائب حكمته في آياته بما منحه من نور الفكرة ، وجعل له قوة يحكم بها ، وأعده لنيل الكمالات الروحانية أو ارتكاب النقائص الشيطانية قال

---

(1) سورة الكهف – آية 17

تعالي : ( وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) [1] وقال تعالي : (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)[2] و قال ( صلى الله عليه وسلم)(اْعْمَلُوا فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقُ له )[3]

**سر الحكمة العالية لعمل الإنسان**

فطره سبحانه مضطرا مفتقرا محتاجا إلي المعاونة ، وأحاطه سبحانه بكنوز من الخيرات والبركات ، وجعل سبحانه مفاتيحها العمل والفكر ، ولا لحاجة منه سبحانه إلي عمل الإنسان وهو الغَنِيُّ ، ولكنها حكمة عالية . سِرُّها قيام الإنسان بحقيقة الخلافة عن الرب تعالت ذاته ،وإظهار الأسرار المنطوية في تلك الآثار لقلبه ، ليذوق من ذلك حلاوة الإيمان بكمال التوحيد ، ويشاهد من تلك الأسرار معاني تنزلات الأسماء والصفات ، ويترقي حتي يتحقق بالعجز المطلق عن إدراك كمالات الذات ولا يكون فتح تلك الكنوز المحيطة بالإنسان إلا بالعناء والعمل ، قال الله تعالي : (يَا أَيُّهَا الإنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ* فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا *وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا *وَيَصْلَى سَعِيرًا )[4] فهذه الآية الشريفة تدل دلالة صريحة علي أن عناء الإنسان وتعبه وكده وجده لحكمة التقرب من الله تعالي ، ولا يكون ذلك إلا بالفكر الناتج عن الذكر : ذكر الذكري وتلقي الحكمة كما قال الله تعالي : (يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى

---

1() سورة البلد – آية 10

2() سورة الإنسان – آية 3

3() أخرجه البخاري في كتاب القدر 4 ، ومسلم قدر 6 ، 7 ، 8 والترمذي قدر 3 ، واحمد بن حنبل 4 / 67 وعند أحمد من رواية أخري : (( فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلا ميسر )) ومسند الإمام أحمد 2 / 77 .

4() سورة الانشقاق - آية 6 : 12

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ )[1] ففطرة الإنسان علي الاضطرار والحاجة ، سرها فتح كنوز الخيرات والبركات له حسا ومعني .

أنتجت الضرورة علم خواص الكائنات ، وإظهار غوامض الآيات واليقين الحق لِعَلـيّ قدرة القادر وعَلِـيِّ حكمة الحكيم . أنتجت تلك الضرورة الاحتياج إلي التعاون للتبادل ، الأمر المفضي بخراب العمران إذا لم يكن هناك شرع حافظ للقلوب من تقلبها في الرذائل والجهالات بما به تزكية النفوس وخشية القلوب ، وحافظ للأبدان من تحركها للظلم والمفاسد ، ولا يكون هذا الشرع بوضع مخلوق ، لأن كل ما وضعه المخلوق إنما يحكم علي الأبدان ، لأن المخلوق بنفسه يجهل طرق تزكية النفوس ، وعلم مبدئه ومعاده ، ولا يعرف قدر الخير الذي يناله من أخيه ، ولكن همه في جلب الخير لنفسه ودفع الشر عنها

**الأحكام الشرعية علي قدر ضروريات الإنسان :**

لما كان الإنسان في أول نشأته منذ أبينا آدم . قليل الضرورات . أوحي الله تعالي إليه بعد علم التوحيد ما لابُدَّ له منه ، ثم أخذ الإنسان لكثر ضرورياته فأرسل الله الرسل بأحكام شرعية علي قدر ضروريات الإنسان في كل زمان ومكان . ومن قرأ القرآن الشريف وقرأ أسفار الأنبياء في التوراة يظهر له حقيقة ما قلت .

أرسل الله شيثا . بما يناسب زمانه . ثم أرسل سيدنا نوحا بتوحيد الله وعبادته لما كانوا عليه من عبادة الأوثان . ثم أرسل سيدنا لوطا . لينذرهم عاقبة فعل الفاحشة.ثم أرسل سيدنا صالحا عليه الصلاة والسلام ليعلمهم العدل والمساواة، وجعل الله الناقة له آية بعد أن أرسل سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليطهرهم من رجس الشرك ويوجههم إلي الله تعالي .

---

1() سورة آل عمران – آية 191

فلما أن أخذ الإنسان تكثر ضرورياته وتشتاق نفسه إلي الكماليات ، بعث الله سيدنا موسي عليه الصلاة والسلام يدعو فرعون أوّلا إلي العدل والرحمة ومساواة جميع بني الإنسان ببعضهم ، ويدعو قومه إلي توحيد الله وعبادته ، وأنزل الله عليه التوراة . ومن قرأ سفر التالوت في التوراة تحقق قدر الأحكام الشرعية التى كان يحتاج إليها الإنسان في هذا الزمان . ولما كان بنو إسرائيل يهتمون بأعمال الأبدان حتي في زمان سيدنا موسي-ودليل ذلك أنهم اتخذوا العجل ليروه بأعينهم ، وزاد علي ذلك أنهم جعلوا الدين وراء ظهورهم وأبدلوه بأهوائهم وحظوظهم – بعث الله سيدنا عيسي . ليمحى تلك البدع التى ابتدعوها في التوراة ، وينبههم إلي عمل القلوب ، ويخفف عنهم أثقال الأعمال البدنية ، بما جاءهم به . من الحكمة والبيان .

فكان كل رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام بعثه الله تعالي بخُلق من الأخلاق التى يحبها الله تعالي ، أو عمل من الأعمال التى يرضاها الله تعالي ، كما أرسل الله سيدنا شعيبا . بخلق العدالة في وفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم . فكان كل رسول ينتظر رسولا بعده ، حتي أراد الله تعالي أن يختم الرسالة بسيدنا محمد ( صلى الله عليه وسلم)فأنزل عليه القرآن تبياناً لكل شئ من ضروريات الإنسان وكمالياته في الدنيا ، وفضائله النفسانية وكمالاتة الروحانية لنيل سعادة الأبد

**القرآن جامع لخير بني الإنسان**

أنزل الله تعالي القرآن علي حبيبه ومصطفاه ( صلى الله عليه وسلم)هدي ونورا مبينا جامعاً لكل خير في الدنيا والآخرة . نظر إليه العقل السليم من الحظوظ والأهواء نظرة إكبار وإعظام وتجلة وإكرام ، فتلقاه خاشعاً خانعاً فرحاً مسروراً، موقنا أنه السعادة الحقيقة للإنسان والخير الحقيقي له .

أنزل الله تعالي القرآن بالعقائد الإلهَية، فلما تليت علي العقل كشفت عنه ستائر الأوهام، وأزالت عنه سحب الجهالات ، وبثت فيه نور التوحيد الذي كان حائرا مترددا فيه لا يهتدي إلي طريقة الوصول إليه ولا محجة القرب منه . أنزله سبحانه وتعالي بالأخلاق الطاهرة الفاضلة التى بالتجمل بها يسعد المجتمع الإنساني في الدنيا والآخرة من الرحمة بِالْخَلقْ، والعاطفة عليهم، وحسن رعايتهم والسعي في نفعهم، وجلب الخيرات لهم ودفع المضرات عنهم، والبر والصلة والوفاء ، وإكرام الجار والضيف والرحمة بالحيوانات ، وغير ذلك من التخلق بأخلاق الله ، والتشبه بأخلاق الروحانيين سكان ملكوت الله ، حتي صار الإنسان إنسانا بصورته ومطعمه وضروررياته ، وملكا كريماً مقربا بعقيدته وأخلاقه .

**العبادات والمعاملات لسعادة المجتمع الإنساني :**

أنزل القرآن سبحانه بالعبادات المحبوبة للأرواح من صلاة وصيام وزكاة وحج وذكر وفكر وجهاد للنفس وللعدو مما به تزكية النفوس من لَقَسِهَا ، وتطهيرها من نزوعها ، وتذكيرها بنعم الله وبعظمته وكبريائه وجلاله ، وشكراً لجناب المعطي الوهاب القادر الحكيم . أنزل الله تعالي القرآن بمعاملات – وما ترك سبحانه صغيرة ولا كبيرة مما لابد للإنسان أن يعامل أخاه الإنسان فيها إلا أحصاها- ضمنت سعادة المجتمع الإنساني في الدنيا ، وراحته ووسعة البركات عليه، وراحة قلبه من العناء وجسمه من البلاء . ضمنت التحابب والتآلف لكل بني الإنسان لو تمسكوا بها ، وما من مجمل في القرآن الشريف إلا وفصَّله لنا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم)، ولا مبهم

إلا وبيَّنه صلوات الله وسلامه عليه . أنزل الله تعالي القرآن بأقاصيص الأولين وأخبار الماضين عبرة لأولي الألباب وذكري لكل قلب منيب .

أنزل الله تعالي القرآن منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب قبلها العقل ، وقام عاملا بها ، وأُخر متشابهات ليعلم العقل أنه مخلوق عاجز عن درك الأسرار الإلهية إلا بالالتجاء إلي المعطي الوهاب ، والاعتراف بالعجز عن إدراك كمالات الخالق البارئ المصور ، فكانت تلك الآيات المتشابهات نورا للعقول الكاملة ، وتزكية للنفوس الفاضلة ، بها كمل التوحيد بسر العجز عن إدراك معاني الآيات ن فكيف يمكن أن يدرك كمال منزل الآيات ؟ فدلنا القرآن وبيان رسول الله ( صلى الله عليه وسلم)أن القرآن خاتم الكتب ، وأن سيدنا ومولانا محمدا ( صلى الله عليه وسلم)خاتم الرسل ، لأن الله تعالي أنزل القرآن جامعاً لخير بني الإنسان إلي قيام الساعة ، وأن سيدنا ومولانا محمداً ( صلى الله عليه وسلم)أرسله الله سبحانه وتعالي فبيّن للناس كل ما يحتاجون إليه من الأمور المتعلقة بكل فرد فى نفسه منفرداً من الأحوال الشخصية ، ومع غيره من الأحوال الاجتماعية ، مما به كمال الإنسان الحقيقي ، والسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة .

و لم يكن قبل القرآن قانون جامع لبعض ضروريات الإنسان فضلا عن كمالياته إلا ما وجد في سفر التالوت من التوراة مما يحتاج إليه أهل زمانه . وربما اعترض عليّ معترض فقال: إن للرومان قانونا من قبل عصر المسيح . ، فأرد عليه قائلاً : إن المواد المدونة في الكتاب الذي تدعي أنه القانون الروماني مأخوذ من مذهب مالك من بلاد الأندلس ، ولكن الذين ترجموه خدعوا الأمة بالتدليس وادعوا أنه قانون روماني قديم .و من قرأ صفحة من تاريخ الرومانيين يعلم أنهم كانوا أهل مدن فاسقة لأن العدل كان عندهم أن يذل القوي الضعيف لينتفع منه وينفعه ، فكانت مدنهم مدنا ضالة لا شريعة لهم إلا القوة ، ولو تأملت في فتح المسلمين بلادهم وتحققت أن الأمم المحتلة بهم كانت تعين المسلمين علي الرومانيين، لعلمت كيف كانت

أحكـامهم الجاهليـة . فـأين كـان هذا القـانون الـذي ظهـر عنـد ضـعف الأندلس؟

جاء عيسي . فأمر الأغنياء بترك أموالهم ولم يلتفت إلى الدنيا بعين ، وفصل الدين عن الدنيا بكلمته التى قالها : (( أعط لقيصر مـا لقيصـر وأعـط لله مـا لله )) . لـم يُعـر الأرحـام نظـرة صـلة لأنـه عليـه الصلاة والسلام عندما جاءته أمه وأخوه يستأذنان عليه قال : أنـا لا أمّ لي ولا أخ لي ، ثم نظر إلي تلاميذه وقال : أنتم أمي وأخي . ترك مـا بـه بقـاء العمـران بحفـظ النسـل وهـو الـزواج . اهـتم بـالقلوب وتـرك الأبدان . قال : ما جئت لأهدم الناموس . ولكنه غض بصـره عن كل الأحكام المتعلقة بالأبدان . وصدق ، لأنه لم يهدم النـاموس كلـه . فلـو اقتـدي بــه عليــة الصــلاة والســلام كـل أهـل الأرض إقتـداء حقيقيـا لأصبحت المدن صحاري قاحلة، وانمحت الصناعات والفنون والعلوم .

حتـي بعـث الله خـاتم الرسـل ( صـلى الله عليـه وسـلم)فأعطي الجسـم حقـه والـنفس حقهـا ، وبنــي المسـاكن لنفسـه ولأهلـه والمسـاجد لعبادة الله ، وتزوج ، وادخـر الأمـوال لأهلـه ، وقضــي بـين النـاس فـي الحقوق والخصومات ، وزرع بيده ( صلى الله عليه وسلم)وحث علي الزراعـة ، وبـاع واشـتري بنفسـه وحـث علـي التجـارة . وكـان يصـنع لنفسه مالا بد منه ، وحـث علـي الصـناعات . وكـان ( صـلى الله عليـه وسـلم)يتجمل للوفـود بأجمـل الحلـل ، ويحـب الطيـب مـن المأكـل والمشرب إذا يسره الله له من حلال طيب . وكان نظيفا يحب النظافـة والجميــل مــن كــل شــئ ، مــع كمــال تواضــعه ( صــلى الله عليــه وسلم)ورضاه بالقليل من كل شئ . كل ذلك لأنه شمس مضيئة لجميع العـالم ، ولأنــه خـاتم رسـل الله ، بعثـه الله بكـل خيـر وفضـيلة وهـدي ورشاد . فلو تجردت العقول عما يعقلها عن الحق من عصـبية للآبـاء وغـــــرور بالســــيادة والرياســــة وطمــــع فيمــــا يــــزول، وطهـرت مـن الجهالـة لانقـادت لشـرائع الإسـلام ، ولمـا وسـعها إلا أن تمحق من يمنعها عنه ولو كان أبـا أو أمـا ، ومـا يمنعهـا عنـه مـن ملك

ومال . ولو أن بشاشة الإسلام باشرت القلوب لاتسعت وانشرحت الصدور ولم يبق من بني الإنسان إنسان إلا وهو يدين بدين الإسلام . والله تعالي أسأل أن يمن علي جماعة المسلمين بعناية تجمعهم ، ومعونة تؤلفهم ، ونور يزكي نفوسهم ، وقادة يحبهم ويحبونه ، وأسأله سبحانه أن يظهر أنوار الإسلام بقوة المسلمين ، وأن يزيل البدع الْمُضِلَّةَ بنور اليقين ، وأن يحيي السنة ، ويعلي الكلمة ، إنه علي كل شئ قدير ، وبالإجابة قدير .

**النجاة بالمصطفي ( صلى الله عليه وسلم)في الدنيا والآخرة :**

إذا تقرر هذا بالبرهان الساطع والحجة البينة ؛ ومعلوم أن الإنسان يهتم بنجاة نفسه وجلب السعادات لها ، ويعلم ويعتقد أنه لا نجاة إلا بعمل قلبيّ وبدنيّ تنال به السعادة . وتقرر أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليسوا مقصودين لذاتهم بل يقصدون لنيل السعادة في الدنيا والآخرة، وأنفعهم لبني الإنسان الرسول الكريم الحريص علي خير الناس ، الرءوف الرحيم بالمؤمنين ، الذي بعثه الله للناس عامة ، مبينا سبل النجاة ومناهج الخيرات ومحجة السعادة ، ظهرت أنوار وصاياه وأشرقت شمس الحقَّ به ( صلى الله عليه وسلم)لجميع العالم .

جاء بالعقيدة التى جعلت العقل يعقلها بأجلي برهان، والقلب يطمئن بها، والنفس تسكن إليها . محا الشرك ( صلى الله عليه وسلم)بحق اليقين بالواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. أنزل الله تعالي عليه القرآن مخاطبا له : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ )[1] . (يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ )[2] . وجعل أساس العقيدة أنه عبد صِرْفُ لذات الله : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ )[3] . (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ) [4] .

---

(1) سورة الأحزاب – آية 45

(2) سورة المائدة – آية 41

(3) سورة الإسراء – آية 1

(4) سورة النجم – آية 10

وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال الله تعالي : ( قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ )[1] . بشر به السيد المسيح . وثبت اسمه في انجيل يوحنا عندما سألوا يوحنا ( يحيي . ) : أإيليا أنت ؟ ال : لا . المسيح أنت ؟ قال : لا . ألرسول أنت ؟ قال : لا . فتبث بنص الإنجيل أنه يأتي إيليا والمسيح والرسول ، وقال المسيح في إنجيل برنابا : الرسول الذي يأتي من بعدي المسمي محمد هو الذي يدخل علي الرب ، أتمني أن أحمل حذاءه . والبشائر به ( صلى الله عليه وسلم)في أسفار الأنبياء لا تحصي موضِّحة اسمه ومحل مولده ومحل هجرته ( صلى الله عليه وسلم)، وأنه من بني عم إسرائيل ، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق ، وبنو عمه سيدنا إسماعيل . لأن إسماعيل . عم يعقوب . ولست في مقام إثبات البشائر به ( صلى الله عليه وسلم)ولكني في مقام إثبات النجاة به ( صلى الله عليه وسلم)في الدنيا والآخرة .

أَسَّسَ الدين علي التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك ، مُنَزِّها ذات الله عن الشبيه والنظير والضد والند والولد والوالد والوالده ، وأنه ( صلى الله عليه وسلم)عبد الله ورسول الله ( صلى الله عليه وسلم)سر قوله تعالي : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ )[2] وهي حقيقة النجاة وسر مساواة بني الإنسان . ولو نظرنا إلي الأديان الأخرى لوجدنا هذا الأساس الحقيقي وهذا النور المبين الذي هو العقيدة في الأديان الأخرى ينفر منه العقل السليم وتأباه النفس الزكية . وكيف لا وقد جعل بعضهم الشمس إلّهاً أو النجم إلّها أو جعل للإلّه ولدا أو شريكا تنزه وتعالى . ومنهم من جعله ثالث ثلاثة أو جعله مركبا من ثلاثة حكما علي الغائب بالمشهود , تعالي الله علواً كبيراً.

---

(1) سورة الأعراف – آية 188

(2) سورة الإخلاص

فانظر أيها العاقل بعين تنجو بها من هاوية الجهل بربك ، ومن أليم عذاب الشرك به سبحانه ، ومن جحيم الجحود به تنزه وتعالي ، واعتقد أن هذا الرسول النبي الأمي رءوف رحيم بك حريص علي خيراتك . دعاك للنجاة بعاطفة أبوة ورحمة وحنانة . جاءك بما يقبله عقلك ويطمئن به قلبك وينشرح به صدرك . لم يجعل نفسه إلّها ولا من الآله ولا حل فيه الإله ، بل قال أنا عبد ( قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ )[1] . كثيراً ما بكي رحمة ببني الإنسان . وكم تحمل الأذية شفقة علي بني الإنسان . لم يَدْعُ علي قومه كما دعا السابقون علي أممهم فأغرقهم الله في اليّم أو في الطوفان ، أو خسف بهم الأرض ، أو مزقهم شيعا ، أو أهلكهم بالطاعون كما حصل من الرسل السابقين قبله ، ولكنه رحمة حقيقية ورأفة وحنان ، حريص علي نجاة العالم أجمع .

و ما عليك أيها المعاند لو أنك جردت نفسك لحظة من العصبية ، ومن الحظ الذي يعمي البصيرة ، ومن الهوي الذي يطمس معالم السر ، وبحثت عن نجاتك الحقيقية لتستدل عليها عقلا وفكرا ؟ وما عليك أيها الإنسان إلا أن تنظر إلي الأساس الأول وهو العقيدة ، وإلي الأساس الثاني وهو تزكية النفوس وتطهيرها بالإخلاص في العبادة والفكر والصدق في المعاملة والرحمة ببني نوعك ، وإني علي يقين أيها الإنسان العاقل أنك إذا أعرت هذا الأمر نظرة عقلية لعلمت أن هذا السيد الرءوف الرحيم ( صلى الله عليه وسلم)يجب الإقتداء به والعمل بوصاياه والتصديق بما جاء به ، ولا تظن أني أقول لك هذا عصبية لديني . لا ومن فلق الحب والنوي . إنما ذلك بعد نظر واستدلال وبيان وبرهان . حتي انبلج الحق جليا . وظهر النور مضيا . فلا تجعل نصيحتي عداوة وبغضا ، وإرشادي لك أيها الإنسان خصومة وغيا . أرشدني الله وإياك لما به النجاة الحقيقية , وهداني وإياك الهداية الحقيقية .

---

1() سورة الأعراف – آية 188

# الوصايا الإسلامية

أنبه فكرك – أيها الناظر بنور قلبك ، المسترشد بنور فكرك ، الناظر بعيون عقلك – إلي نذر يسير من الوصايا القرآنية والإرشادات النبوية لتذوق طهور العلم ، وتتجمل بالكمالات الإنسانية التى تفوز بها بالسعادة الأبدية والفوز في الدنيا والآخرة . وإليك ما ورد من الآيات الدالة علي الحث علي مكارم الأخلاق والجد والعمل للدنيا والآخرة ، والأحاديث النبوية الدالة علي ذلك .

**الإخلاص لله والإحسان بالوالدين والقربى :**

قال الله تعالي : (وٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) [1] وقال الله تعالي : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا )[2] . وقال جلت قدرته : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولا تنهرهماوَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا )[3] وقال سبحانه : (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ ٱلْمِسْكِينَ وٱبْنَ ٱلْسَّبِيلِ ولاَ تُبَذِّرْ تَبَذِيراً ﴾[4] وقال تعالي : (وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

---

1() سورة النساء – آية 36
2() سورة الأنعام – آية 151
3() سورة الإسراء – آية 23 – 24
4() سورة الإسراء – آية 26

ْ)[1] . هذه وصايا الله سبحانه وتعالي في الإخلاص في عبادته سبحانه ، وبر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الجيران والرحمة بالخلق أجمعين ، تلوح منها أنوار الشفقة الإلهَية وأسرار العواطف الربانية وسوابغ المنن ، إذا تحقق العبد أن ربه سبحانه وتعالي بَّر يحب البار ، وهاب يحب الواصل لرحمه ، عطوف رءوف ودود محسن يحب من تخلق بأخلاقه سبحانه ، وتحقق العبد أن ذلك موجب لمزيد فضله وواسع نعماه في الدنيا ونيل الفوز والسعادة الأبدية من ربه سبحانه في الآخرة ، اشتاق إلي تلك المعاني وجاهد نفسه حتي يتجمل بتلك الصفات رغبة فيما عند الله ، وعملا بما أمر الله ، وحبا في الفضيلة وحسن الأحدوثة في الدنيا .

و قال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم): ( إِن ٱللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عقوق ٱلْأُمَّهَاتِ ، ووَأْدَ ٱلْبَنَاتِ ، وَمَنَعَ وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكثْرةَ ٱلسُّؤَالِ ، وإِضَاعَةَ ٱلْمَالِ) [2] وقال ( صلى الله عليه وسلم): ( الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالْعَرْش تَقُولُ : مَنْ وَصَلَني وَصَلَهُ ٱللَّهُ ، ومَنْ قَطَعَني قَطَعَهُ ٱللَّهُ ) [3]و قال ( صلى الله عليه وسلم): " لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا ". [4] وقال ( صلى الله عليه وسلم):" اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ "[5]و قال

---

1() سورة لقمان – آية 14-15

2() أخرجة البخاري في كتاب الرق : 22 ، والاعتصام : 3؛ وعند أحمد بن حنبل : (( لعن الله من عق والديه )) المسند 1 / 317 .

3() أخرجه مسلم في كتاب البر : 17 ، وأحمد 2 / 190-193-209

4() أخرجه البخاري في كتاب الأدب : 15 ، وأبو داود في كتاب الزكاة 45 ، والترمذي في البر 100 وأحمد بن حنبل 163/2 ، 100 ، 193

5() أخرجة الترمذي في كتاب البر : 55 ، وأبو داود في الرق : 47 ، واحمد بن حنبل 153،158،177/5 وعند أبي داود : (( أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ))

( صلى الله عليه وسلم): " لاَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصَيبُهُ " [1] .

تناول أيها الإنسان العاقل من هذا الشراب وتحقق أن تلك الوصايا النبوية هي معارجُ للسعادة ومنازلُ للفوز ، واشكر الله علي نعمته العظمي علينا بسيدنا ومولانا محمد ( صلى الله عليه وسلم), وسارع إلي نجاة نفسك بالعمل بوصاياه ( صلى الله عليه وسلم).

**الحث علي طلب الكسب الحلال :**

قال الله تعالي : ( فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ )[2] وقال سبحانه وتعالي : (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ )[3] وقال الله تعالي : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ )[4] وقال ( صلى الله عليه وسلم): " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ ـ . ـ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدَيهِ"[5].

و قال ( صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ ) [6] وإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تعالي : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ )[7]وَقَالَ تعالي ) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ )[8] ( ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبُّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ

---

1() أخرجه الترمذي في كتاب القدر : 6 ، وابن ماجة في المقدمة ، والفتن : 22 ، واحمد بن حنبل 5 / 277 .

2() سورة الجمعة – آية 10

3() سورة الملك – آية 15

4() سورة البقرة – آية 172

5() أخرجة البخاري في كتاب البيوع : 15 ، وعند ابن ماجة بلفظ : (( ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده )) ، ابن ماجة تجارات 1 / 35

()6

()7

()8

وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ) وقال ( صلى الله عليه وسلم): ( يَأْتِي عَلَي ٱلنَّاسِ زمانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْء مَا أخذَ مِنْهُ أمِنَ اَلْحَلاَلِ أمْ مِنَ الْحَرَامِ ) [1] وقال عليه الصلاة والسلام :( الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورُ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ ) [2] . وقال صلوات الله عليه وسلم : ( إِنَّ أطْيَبَ مَا أكَلْتُم مِنْ كَسْبِكمْ ، وإِنَّ أَوْلاَدَكُم مِنْ كَسْبِكمْ ) [3] وفي رواية : ( إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ ) عن عطية السعدي رضي الله عنه أنه قال : قال النبي ( صلى الله عليه وسلم): ( لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أن يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِين حَتَّي يَدَعَ مَا لاَ بَأسَ بِهِ حَذَراً مِمَّا بِهِ بَأسٌ ) [4] .

## وصايا الأخلاق

قال الله تعالي : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ )[5] .

و قال الله تعالي : ( أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ

---

()1

()2 أخرجه مسلم في كتاب الزكاة : 64 : 65 والترمذي في كتاب التفسير سورة 36/2 وأدب 410 ، والدرامي في كتاب الرق 9 ، وأحمد 2 / 328

()3 سورة المؤمنون – آية 51

()4 سورة البقرة – آية 172

()5 أخرجه الترمذي في كتاب الفتن 73 ، 79

يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ والله غفور رحيم)[1] وقال تعالي : ( قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[2] وقال تعالي : (خُذِ ٱلْعَفْوَ وأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ )[3] وقال الله تعالي : (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ )[4] وقال جل شأنه : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنينَ )[5] وقال سبحانه وتعالي : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ )[6] وقال جلت قدرته : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ )[7] وقال تعالي : (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ )[8] وقال سبحانه وتعالي : (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ )[9] وقال جل جلاله : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ )[10] وقال تعالي : (وَ ٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ

---

1() أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، الإيمان ، ومسلم في المساقاة ، وأبو داود في البيوع

2() أخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات ، واحمد 162/6 ، وعند النسائي بلفظ (( إن اطيب ما اكل الرجل من كسبه )) النسائي بيوع

3() عند البخاري بلفظ : " لا يبلغ العبد حقيقة التقوي حتى يدع ما لابأس به حذرا مما به بأس ))

4() سورة الحجرات – آية 11

5() سورة النور – آية 21-22

6() سورة الجاثية – آية 14

7() سورة الأعراف – آية 199

8() سورة آل عمران – آية 133-134

9() سورة المائدة – آية 2

10() سورة فصلت – آية 34

اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا )[1] وقال ( صلى الله عليه وسلم): " رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى ". [2] .

---

1() سورة القصص – آية 77
2() سورة الحج – آية 41

و قال ﴿ ρ وآله﴾ : ( إِنَّ رَجُلاً كَانَ فيمَن قَبْلَكُم أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحهُ فَقِيل لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خِيْرٍ ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئاً غَيْرَ أَنِّي كُنتُ أُبايعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وأجَازِيهِمْ فأنظِرُ الْمُوسِرِ وأتَجَاوَزُ عَن الْمُعْسِر، فأدْخَلهُ اللَّهُ الْجنَّةَ ) [2] ، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ( لاَ يَرْحَم اللَّهُ مَن لاَ يَرْحَمُ النَّاس ) [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( السَّاعِي عَلَي ٱلأَرْمَلَةِ والْمسْكِينِ كَالسَّاعِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وأَحْسَبُهُ قال : كَالقَائِم لاَيَفْتُرُ وكَالصَّائِمِ لا يُفْطِرُ ) [2] .

و قال ﴿ ρ وآله﴾: (" أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ وَلغَيْره، فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا ". وأشار بالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرّجَ بَيْنَهُما شَيْئاَ ) [2] وقال عليه الصلاة والسلام : (" الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا 0 ثم شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ) [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : " انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ". فَقَال رَجُل يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ " تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَذَلِكِ نَصْرُكَ إِيَّاهُ ) [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( ٱلْمُسْلِمُ أخُو ٱلْمُسْلِمُ ، لاَ يَظْلِمُهُ ولاَ يَخْذُلُهُ ولاَ يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَي هَاهُنَا (( ويُشِيرُ إلي صَدْره ثَلاَثَ مَرَّات )) بَحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَن يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ المُسْلِمِ عَلَي المُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ وَمَالُهُ وعِرْضُهُ ) [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( مَازَلَ جِبْرِيلُ يُوصِيني بِالْجارِ حَتَّي ظَنَنْتُ أَنَّه سَيُوَرِّثُهُ ) [2] .

---

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ قال: ( إنَّ اللهَ رَفيقُ يُحبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطي عَليَ الرِّفْقِ ما لاَ يُعْطِي عَليَ العُنف ، وَمَا لا يُعطِي عَلَي مَا سِواهُ ) [2] وقال : ( مَن يُحْرَم الرِّفْق يُحْرَم الْخَيْرَ ) [2] . وقال : ( إنَّ الْحيَاء مِنَ ألإيمَانِ ) [2]و قال : (الْحَيَاءُ لا يَأتِي إلاَّ بِخَيْرِ ) [2]. عن نُوَاسَ بن سمعان قال : سألت رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ عن الْبِرِّ وَاْلإِثْمِ فقال :( الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلقُ ، والإِثْمُ مَا حَاكَ في صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ) [2] . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقاً ) [2] . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : مَنْ أُعطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْق أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرَي الدُّنْياَ وَاْلآخِرَةِ ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِن الرَّفْقِ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرَي الدُّنْياَ وَاْلآخِرَة ) [2] . عن أسامة بن شريك قال : يَا رَسُولَ اللَّه مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الإِنْسَانُ ؟ قال : ( الْخُلُقُ الْحَسَنُ ) . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( إنَّ أَثْقَلَ شَئْ يِوُضَعُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقُ حَسَنُ وإِنَّ اللهَ يَبغْضُ الفَاحِشَ الْبَذِيَّ ) [2] . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( أَلاَ أُخْبُرِكُمْ بِمَن يْحرُمُ عَليَ النَّارِ وَبِمَن تَحْرَمُ النَّارُ عَلَيْهِ ، عَلَي كُلِّ هَيِّن لَيِّن قِريب سَهْلٍ ) [2] . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( اْلمؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنوُنَ كَاْلجَمَلِ الأَنِفِ ، إِنْ قِيدَ أْنقَادَ وَإِنْ أُنِيخَ عَلَي صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ ) [2] . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( مَن كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَي أَن يُنفِذَهُ ، دَعَاهُ اللهُ عَلَي رُؤُوسِ الْخَلاَئِق يَوْمَ القَيامَةِ حَتَّي يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ اْلحُورِ شَاءَ ) [2] .

أَيَا رِفْقَتِي يَا خِلّتِي يَا أَحِبَّتِي … عَلَي ٱلْعُرْوَةِ الْوُثْقَي فَسِيُروا وٱرْفُقُوا
أَلاَ فَاجْتِمَاعاً بِالْقُلُوبِ وَأُلْفَةً … وَ عَوناً عَلَي عَمَلِ الْمَكَارِمِ تُلْحَقُوا
و إِيَّاكُمُو أخْلاَقَ إِبْلِيسَ إِنَّهَا … لَقَدْ أَبْعَدَتْهُ وَهُوَ طَاوُوسُ رَامِقُ
دَعُوا الْكِبْرَ وَالْحَسَدَ الْقَبِيحَيْنِ سَادَتِي … دَعُوا طَمَعاً فِيمَا يَزُولُ ، وَسَابِقُوا
وَ سَتْراً لِعَوْرَاتِ ٱلأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ … وَ عَفْواً عَنِ الزَّلاَّتِ ، فَالْعَفُوُ أَرْفَقُ
وَ غُضُّوا عَنِ الْمَكْرُوهِ أَعْيُنَ عِفَّةٍ … وَجُودُوا بِبِشْرٍ ، فَالسَّمَاحَةُ رَوْنَقُ
وَ إِيَّاكُمُو وَعَدُوَّكُمْ سُوءَ خُلُقِكُمْ … وَ طَمَعاً ، وَحُبَّ الْجَاهِ فَهُوَ يُفَرِّقُ
تَوَادُّوا بِرُوحِ اللهِ بِاللهِ وَابْذُلُوا … لإِخْوانِكُمْ عِنْدَ اللُّزُومِ وَخَالِقُوا
وَ كُفُّوا عَنِ التَّنْفِيرِ وَاسْعَوْا لِجَمْعِكُمْ … عَلَي اللَّهِ فَالدُّنْيَا مَتَاعٌ مُفَارِقُ
أَلاَ مَنْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ بَعْضُ ذَرَّةٍ … مِنَ الْكِبْرِ وَٱلأَحْقَادِ مَا هُوَ ذَائِقُ
أَلاَ طَهِّرِ ٱلأَخْلاقَ وَالنَّفْسَ زَكِّهَا … و إِلاَّ فَسَهْمُ الْبُعْدِ يَرْمِي فَيَفْتِقُ
أَلا يَا أَخِي بالذُّلِّ تَرْقَي وَتُرْفَعَنْ … وَ بِالزُّهْدِ تُعْطَي مَالَهُ تَتَشَوَّقُ
تَخَلَّقْ بِأَخْلاقِ الإِلَهِ وَحَافِظَنْ … عَلَي مَنْهَجِ الْمُختَارِ فِي العِقْدِ تَنْسَقُ
وَ دَعْ عَنْكَ مَيْلاً لِلْحَضِيضِ وَزِينَةً … بِهَا اشْتَغَلَ اللاَّهُونَ عَنْهُ وَفَارَقُوا
وَ قُمْ دَاعِياً لِلَّهِ بالحكمةِ الَّتِى … بِهَا قَدْ حَبَاكَ اللَّهَ وَهُوَ الْمُوفِّقُ
وَ لاَ تَسْعَ لِلتَّفْرِيقِ واجْمَعْ لَهُ بِهِ … عَلَيْهِ أوْلِي التَّسْلِيمِ إذْ أَنْتَ وَاثِقُ
أَلاَ سَارِعُوا أَحْيُوا لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ … فَفِتْنَتُهُ هَذَا الْعَصْرِ كَالنَّارِ تُحْرِقُ
أَلاَ أَطْفِئُوهَا بِالْيَقِينِ تَجَرَّدُوا … عَنِ الْحَظِّ وَٱلأَهْوَاءِ فَالْحَظُّ مُفَرِّقُ
وَ جِدُّوا وَجُودُوا بِالنُّفُوسِ تَحَفُّظاً … عَلَي السُّنَّةِ الْغَرَّاءِ فَاللَّهُ خَالِقُ
أَلا بِعْتُمُو لِلَّهِ مَالاً وَأَنْفُساً … بِمَفْهُومِ ( إِنَّ ٱللَّهَ ) [2] وَالذِّكْرُ يَنْطِقُ
وَ عِلْماً بِأَنَّ الدِّينَ حُسْنُ عَقِيدَةٍ … وَ خُلْقٍ وأعْمَالٍ بِهَا الذِّكْرُ نَاطِقُ
أَلا خَلِّصُوا ٱلأرْوَاحَ مِنْ سِجْنِ نَأْيِهَا … وَجِدُّوا لِتَزْكِيَةِ النُّفُوسِ وَسَابِقُوا
أَلا جَاهِدُوا تِلْكَ النفُوسَ بِهِمَّةٍ … تَفُوزُوا بِرِضْوَانٍ مِنَ النَّارِ تُعْتَقُوا
عَلَي سُنَّةِ الْمُخْتَارِ سِيرُوا بِهِمَّةٍ … عَسَى اللَّهُ يُحْيِينَا بِهِ وَيُوَفِّقُ
وَ يَمْحَو بِنَا الْبِدَعَ الَّتِى عَمَّ نَشْرُهَا … لِيُشْرِقَ شَمْسَ الدِّينِ والشِّرْقُ مَشْرِقُ
أَلا فابغضُوا مَنْ أَكَّد اللهُ بُغْضَهُ … أَحِبُّوا بِحُبِّ اللهِ والحظَّ فَارِقُوا
أَلا فاحفَظُوا الأَرْكَانَ أَرْكَانَ دِينِنَا … صَلاَةً صِيَاماً ثُمَّ حَجًّا تَصَدَّقُوا
أَدِيمُوا لِذِكْرِ اللهِ فَالذِّكْرُ نُورُهُ … لأَهْلِ الْهُدَي ، وَالْغَيَّ لاَشَكَّ فَارِقُوا
أَلا عَظِّمُوا لِشَعَائِرِ اللَّهِ تَعْظُمُوا … بِهَا وَتَسُودُوا فِي الْقِيَامَةِ تَسْبِقُوا

**الوصايا بالوفاء وغيره من الفضائل الشرعية :**

قال تعالي : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً {25} وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً {26} إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً {27}وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً {28} وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً {29} إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً {30} وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً {31} وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً {32} وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً {33} وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً {34} وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً {35} وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً {36} وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً {37} كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ [2] . وقال تعالي : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ [2] . وقال سبحانه وتعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ﴾ [2] .

و قال الله تعالي : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [2] . وقال جل جلاله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ

نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ [2] . وقال تعالي: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {90} وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾[2] . وقال الله تعالي: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً {63} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً {64} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً{65} إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً {66} وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا

لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً {67} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً {68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً {69} إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً {70} وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً {71} وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً {72} وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً {73} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً {74} أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً {75} خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴾ [2] . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّي يَدَعَهَا : إِذا أُؤتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ) [2] . عن صفوانَ بن عسَّال رضي الله عنه قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلي هذا النبي ، فقال له صاحبه :لا تقل نبي إنه لو سمعك كان له أربع أعين ، فأتيا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ فسألاه عن تسع آيات بينات

فقال لهما رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ( لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً ، وَلاَ تَسْرِقُوا ، وَلاَ تَزْنُـوا ، وَلاَ تَقْتُلُـوا الـنَّفْسَ الَّتِـى حَـرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِـالْحَقِّ ، وَلاَ تَمْشُـوا بِبَرِئ إِلَـي ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَـهُ ، وَلاَ تَسْحِرُوا ، وَلاَ تَـأْكُلُوا الرِّبَـا ، وَلاَ تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً ، وَلاَ تُوَلوا الْفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ . وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً الْيَهُودَ أن لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ) . قَالَ : فَقَبَّلاَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْـهِ وَقَـالا : نَشْـهَدُ أَنَّـكَ نَبِيٌّ ، قَالَ : ( فَمَا يَمْنَعُكُمْ أن تَتَّبِعُونِـي ؟ ) قَالاَ: إِنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّـهُ أَن لاَّ يَزَالُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ وإِنَّا نَخَافُ إِن اتَّبَعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودُ ) وَقَالَ ﴿ ρ وآلـه﴾ : ( ثَـلاَثٌ مِـنْ أَصْلِ اْلإِيمَـانِ : الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لاَ إِلَـه إِلاَّ اللَّهُ لاَ تُكَفِّرْهُ بِذَنْبٍ وَلاَ تُخْرِجْهُ مِنَ اْلإِسْلاَمِ بعَمَلٍ ، وَالْجِهَادُ مَـاض مُذْ بَعَثَنِـي اللَّهُ إِلَي أَنْ يُقَاتِلِ آخرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لاَ يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلاَ عَدْلُ عَادِلٍ ، وَاْلإِيمَانُ بالأَقْدَارِ ) [2] .

هذه نماذج من وصايا الله سبحانه وتعالي ووصايا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ وهي قطرة من المحيط الأعظم جعلتها نوراً لقلبك وبرهانـاً لعقلك ، وهداية لنفسك، لتعلم حق يقين أن الدِّين الإسلامي هو دين الله حقًّا الذي خلق الخلق بقدرتـه، وجعل الإنسان وسطا بحكمتـه، وأَهّلَـهُ لأن يكون في أعلي عِلِّيِّين باتباع وصاياه. أو في أسفل سافلين بمخالفة أمره ومعصية رسله صلوات الله عليهم وسلامه. كتبت لك هذه القطرة من البحر اللُّجّيِّ لتعلم حق العلم أن تلك الوصايا والحكم دالـة علـي الخيـر الحقيقـي موصـلة إلـى السـعادة الأبديـة، بهـا سـعادة المجتمـع الإنساني، وباتباعها الفوز بالرضوان الأكبر من الله تعالي . وأن تلك الوصايا والحكم جامعة لخير الإنسان منفرداً ومجتمعا فـي كل أنـواع المجتمعـات . وهـي كُلِّيَّـات تضـمَّنت كـل جزيئـات العـادات الحسـنة ، والأخـلاق الفاضـلة ، والمعاملـة العادلـة ، وَشِـيَمِ النفـوس الكريمـة ، وأعمـال القلـوب الخالصـة لله تعـالي مـن عقائـد ونوايـا وَقُرَبٍ وخشـية وصدق وإخلاص ويقين وطمأنينة وَرَوَّيةٍ .

فلعلك أيها الأخ أن تجذبك يد العناية بما شَهِدْتَ من تلك الآيات البينات والأحكام المحكمات، فتتجمَّل بهذا الجمال الإسلامي وتتحصن بحصون الأمن المنيعة ، حتي تُحْفَظَ من عذاب ضميرك برذائل النفس ، وأليم العذاب يوم الحساب من اعتقاد العقائد الباطلة والسقوط في هاوية الجحيم بالأعمال المهلكة ، وإنما ذلك رغبة في سعادتك وحبا في خيرك . وكيف لا ، والدين يأمرني أن أرحم كل ذي كبد رطبة ، فشفقتي علي الإنسان واجبة علي كشفقتي علي نفسي ، والله سبحانه وتعالي يجعل لي قسطا من الخير ويمنحني الإخلاص في إرادة الخير والرحمة لجميع الناس ، ويمنح قارئ هذا المختصر نور هداية وقبول ، إنه علي كل شئ قدير ، وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

# الفصل الثاني
# تأثير الإسلام علي الإنسان
## من هو الإنسان الذي أريده ؟

قبل شرح هذا الموضوع أقدم مقدمة أبين فيها من هو الإنسان الذي أريده : لا أريد بالإنسان الهيكل المعتدل القامة العريض الأظفار الذي يمشي علي رجلين ، لأني سبق لي عند التكلم علي درجات تكوين الإنسان الإشارة إلي سر الحكمة في تطوره في تلك المراتب كما قال سبحانه وتعالي : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ

اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [2] . وأشرنا إلى ما أودعه الله من القوي في الإنسان ، فإنه سبحانه وتعالي قد جمع في الإنسان قوي بسائط العالم ومركباته ، وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكوناته ، فالإنسان من حيث أنه بَوسَاطة العالم حصل ، ومن أركانه وقواه أوجد : هو العالمَ . ومن حيث أنه صغر شكله وجميع ما فيه : كالمختصر من الكتاب ، وهو الذي قُلِّلَ لفظه واستوفي معناه ، والإنسان هكذا هو إذا اعتبر بالعالم . ومن حيث أنه جعل من صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته فهو كالزبد من المخيض ، والدهن من السمسم ، فما من شئ إلا والإنسان يشبهه من وجه ، فإنه كالأركان من حيث ما فيه من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . وكالمعادن من حيث هو جسم . وكالنبات من حيث ما يتغذي ويتربي. وكالبهيمة من حيث ما يحس ويتوهم ويتخيل ويلتذ ويتألم وكالسبع من حيث ما يحرض ويغضب . وكالشيطان من حيث ما يغوي ويضل . وكالملائكة من حيث ما يعرف الله تعالي ويعبده ويطيعه . وكاللوح المحفوظ من حيث قد جعله الله مجمع الحكم التى كتبها فيه علي سبيل الاختصار . فقد ذكر بعض الحكماء في بدن الإنسان أربعة ألاف حكمة وفي نفسه قريبا من ذلك . وكالقلم من حيث ما يثبت بكلامه صور الأشياء في قلوب الناس كما أن القلم يثبت الحكم في اللوح المحفوظ . ولكون الإنسان من قوي مختلفة قال تعالي : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [2] أى مختلطة من قوي أشياء مختلفة .

و لكون العالم والإنسان متشابهين ، إذا اعتبرا ، قيل : الإنسان عَالَمُ صغير ، والْعَالَمُ إنسان كبيرُ . ولذلك قال الله تعالي : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [2] . فأشار بالنفس الواحدة إلي ذات العالم .

و لما كان كل مركب من أشياء مختلفة يحصل باجتماعها معني ليس بموجود فيها علي انفرادها ، كالمركبات من الأدوية والأطعمة ، كذلك

في نفس الإنسان حصل معني ليس فيه شئ من موجودات العالم ، وذلك المعني هو ما يختص به من خصائصه التى بها تميز عن غيره من هيئات له كانتصاب القامة وعرض الظفر ، وانفعالات له كالضحك والحياء ، وأفعال كتصور المعقولات وتعلم الصناعات واكتساب الأخلاق . فالإنسان المقصود في موضوعي هذا هو الذي كملت فيه قوة التخيل والتصور والفكر والعقل ، فإنه هو الإنسان القابل للكمالات النفسانية وهو المراد بشرح هذا الموضوع الجليل . وليس من كملت فيه قوة النزوع كالنبات ، أوقوة جلب الخير ودفع الضر عن نفسه كالحيوان ، فإنه ليس عندي : بإنسان بمعناه الحقيقي سر قوله : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأنعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [2] . وقوله تعالي : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [2] . فالإنسان هو المقصود من العالم كله ، لأن الله خلقه بعد خلق جميع الكائنات ، فهو زبدة الموجودات وخلاصتها بِحِكْمَةٍ عِلِيَّة تظهر لمن ذاق حلاوة قوله تعالي : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [2] ومن تناول طهور شراب : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ {54} فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [2] فالإنسان المقصود بالذات ، خلقه الله تعالي ليجمل به ملكوته الأعلي . خلقه علي صورته . جمله بمعاني صفاته . أشهده بديع جماله . هو الإنسان المتخيل المتصور المفكر العاقل ، وما عداه فحيوان علي صورة الإنسان أو أضل من ذلك لجهله بمبدئه ومعاده وغروره بعاجل حظه وهواه .

## المقام الْعَلىُّ :

و هنا بعد أن علمت من أخاطب بعباراتي ، أشرح لك المقام وأكتفي بالتلويح عن التصريح وبالإجمال عن التفصيل لأني أخاطب :

ٱلألْمَعِيَّ الّذِي يَظنُّ بِكَ الظّنَّ    كَأَنْ قَدْ رَأيَ وَقَدْ سَمِعَا

معلوم أن الإنسان جمع الله فيه كما تقدم روحانيات العوالم العالية ، وخواص الأنواع الدانية من حيوانات ونباتات وقوي النفوس الإبليسية ، فهو وإن كان صغير الجسم عَالَمٌ كبير ، قال تعالي : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً ﴾ [2] فالإنسان إذا تَكَمَّلَ بالكمال الحقيقي المؤهل له وقهرت نفسُه الملكيةُ ( الناطقة) بقية القوي وسخرتها لجلب تلك الكمالات ، رقي علي القرب حتي يصل إلي مقام تخدمه الملائكة المقربون ، ويواجهه رب العزة جل جلاله ، ويكون مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهو المقام العلى الذي يتنافس فيه المتنافسون ، ويحن إليه العارفون ، وتتألـه لـه الأرواح الكاملة والنفوس الطاهرة .

**نتائج الجهل وإهمال التزكية :**

فإذا أهمل تزكية نفسة انزوت تلك النفس الطاهرة الملكية ، وتسلطت بقية القوي علي الإنسان ، فإن غلبت عليه النفس الإبليسية كان حسودا لجوجا جاحدا منكرا مفسدا متكبرا ، قال تعالي : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ {75} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ{76} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {77} وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [2] . أعماه الجهل والعياذ بالله عن فضل الله الذي يؤتيه من يشاء ، فظن لجهله أن عنصر النار خير من عنصر التراب وجهل الفضل الإلهي ، فكذلك الإنسان الجاهل المنقاد لقواه الإبليسية يهوي إلى حضيض الفتن والمقت كما قال الله تعالي توبيخا لمن أعماهم الجهل : ﴿ مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [2] . وقال تعالي أيضاً : ﴿ فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ {24} أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [2] .

أعماهم الجهل عن شهود الفضل الإلهي كما أعمي إمامهم إبليس عليه لعنة الله . فالإنسان يبلغ من الكمال النفساني الجسماني إلي أن يصير في مقعد صدق عند مليك مقتدر تخدمه الملائكة ، ويبلغ من النقصان وإهمال تزكية نفسه إلي أن يصير في هاوية الجحيم مع إبليس الرجيم الذي سنّ له تلك الضلالة .

## كمال الإنسان الحقيقي :

لا يكون كمال الإنسان الحقيقي إلا بقوة تؤثر عليه تأثير رغبة ورهبة ، ويكون التأثير حاصلا علي جميع القوي قلبا وجوارحا ونفسا وعقلا وخيالا وتصورا وفكرا . والعاقل لو نظر بعين فكرته يتحقق جليا أن تلك المؤثرات الحقيقية لا تكون إلا من الخالق المصور القادر الحكيم. ونعم ، فإن الله بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل عليهم الكتب كما قد منا بحسب كل زمان ومكان ، حتي أخذ الإنسان يشعر بكمال حقيقي وشرف ، فأرسل الله سيدنا ومولانا محمداً ﴿ ρ وآله﴾ وأنزل عليه القرآن طهورا للأرواح ، ونورا للعقول ، وجمالا للأفكار ، وحياة للخيال ، فاقتبس العقل من وميض أنواره ما به سجد خانعا ، وتناولت الأرواح من طهور شرابه ما به قوي حنينها إلي عالمها ، واشتد ولهها إلي وطنها الأصلي فتكاد لشدة شوقها إلي عوالمها العالية أن تهدم هذا الهيكل فرارا إلى مجانسها من مفارقها ، وسبح الفكر في محيط الحياة فاغترف منه ما به فتق رتق الكائنات حتي أشرف علي عوالم الملكوت الأعلي ، وصفا الخيال حتي تمثلت فيه حقيقة الآيات الدالة علي خالص التوحيد فانتشل من أوحال الأوهام وشكوك الأهواء وريب الحظوظ . فكان القرآن خمرا للأرواح ، ونورا للعقول ، وروضا زاهراً للأفكار . وجمالا جليا للخيال . تألهت الأرواح بطهوره الصافي . اطمأنت القلوب ببيانه الوافي . انشرحت الصدور ببشائره اليقينية . أقبلت العقول خانعة لأنواره ، سجد الخيال إكباراً لجماله .

هذا تأثير القرآن علي المؤهلين لرفيع الدرجات . عرجت به الأرواح إلي فسيح الملكوت ، ثم أشرفت علي حظائر العزة ، ثم خشعت وخنعت عندما أشرقت أنوار الجبروت . أخي : إنما أتكلم علي قدر ما شهدت وإنما هي قطرة في فم عصفور من محيط أعظم من تلك الأسرار ، وأستغفر الله ، بل هي قطرة صغيرة في فم بعوضة من هذا المحيط الأعظم .

اللهم عفوك ومغفرتك . هذا قسط النفوس الطاهرة سر قوله تعالي : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ {30} نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ {31} نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ (2) . وسر قوله سبحانه وتعالي : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾ (2) وسر قوله تعالي : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ﴾ (2) . وقوله سبحانه وتعالي : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً {23} لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ (2) . وقوله تعالي : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ{62} الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ {63} لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (2) .

## أنواع مدن الأرض عند نزول القرآن :

أخاطبك أيها الأخ علي قدر ما يقبل عقلك ، وما يتمثله خيالك ، وما ينتقش في لوح نفسك، فإذا أنت قبلت كان لك حظ من تلك الأنوار وقسط وافر من تلك الأسرار ، أنزل الله تعالي القرآن علي أمة جاهلة ، لا أعني العرب فقط ، ولكني أقول إن كل مدن الأرض في ذلك الزمان كانت بين مدن جاهلة أو مدن فاسقة أو مدن مبدلة أو

ضالة ، ولم يكن ثم فضيلة بمعناها ، إذ الأعمال الفاضلة قد تصدر عن القردة والخنازير والنسانيس والفيلة والنمل والنحل والجرذان أيضا ، ولكن لا نحكم أنها فضيلة وإنما هي أعمال إلهام فطرية ، وكذلك كانت الفضائل التى تصدر عن الإنسان إنما هي إلهامية فطرية ، لم يقصد بها تزكية للنفس ولا تصفية للخيال ولم تصدر عن روية بالفكر . وأنت أيها الأخ معي في هذا حسا ومعني لو جردت نفسك من حظك وهواك . ما هي المدن التى كانت قبل بعثة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ؟

كانت بين مدن جاهلية عربا وعجما ، أو مدن مبدِّلة نصاري ويهودا ، ولو أنك أثبت لي فضيلة بمعناها في مدينة ما لشخص ما بالاستقراء لأجبتك أن تلك الفضيلة لم تصدر عن قلب مؤهل يريد الكمالات النفسانية ، عالم بقدر رتبته في الوجود ومنزلته في الكون ، متيقن بيوم الحساب راغب في ملاذ الروح حقا ، عامل لخير بني الإنسان .

**نظرة إلي تلك المدن بعد شروق شمس القرآن :**

و لكن انظر نظرة حكيم إلى تلك المدن بعد شروق تلك الشمس ، وتأمل كيف سرت فيها الروح الإلهية كما تسري النار في الخشب اليابس ، فنوعت الأفكار وطهرت النفوس وجملت الأخلاق وحسنت المعاملات وجعلت الإنسان أخا الإنسان . انظر كيف صار بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وحارثة وزيد بن حارثة وأسامة بن زيد وأبو رافع النوبي رضي الله عنهم أئمة هدي وشموس بيان وقادة المؤمنين ، وهم من تعلم نسبا وحسبا ومنزلة وقدرا . جاء الحق فمحق الباطل ، أصبحت التيجان تحت الأقدام ولابسوها عبيدا ، بم ذلك؟ ولم ذلك ؟ أكِلُ الجواب إليك وأنبه فكرك إلى فهم قوله تعالي : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾[2] .

لم تقف أنوار الإسلام علي التأثير علي العقول والنفوس والخيال والبصائر ، ولكنها أشرقت بمعني أكمل ، فجعلت الزواجر والحدود حصونا مانعة للشر وأهله ، كابحة جماح أولي الطغيان ، ماحقة أهل الظلم والفساد ، إقرأ قوله تعالي : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [2] وقوله تعالي : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ [2] . وقوله تعالي : ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾[2] وقوله تعالي : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ [2] وقوله جلت قدرته : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ [2] .

و قوله ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [2] نزل القرآن فجذب النفوس الطاهرة بما سنَّه لها من أنواع التزكية وما كاشفها به من النعيم المقيم الأبدي والفضل الواسع السرمدي وحظر علي النفوس اللقسة بما جعله عقوبة لها في الدنيا من الحدود والزواجر ، حتي كان التأثير بالقرآن علي كل نفس ، فكانت روح القرآن النوارنية سارية في كل تلك الأرواح الكاملة والنفوس الطاهرة وسيوف القرآن الماضية مسلولة علي الأعناق الطاغية والقلوب القاسية .

نزل القرآن لسعادة المجتمع ، لم يسل سيفا ليقهر الناس علي اعتناقه ، وإنما ليزيل الفساد ويمحو أسباب التفرقة والعناد ، حتي أمرنا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ أن نعامل أهل الذمة بما نعامل به أنفسنا ، فكان سيف الإسلام رحمة لا نقمة ، وسياطه نعمة لا شقاء ، وآلامه لذة لا عناء ، فكيف يكون حال المجتمع الإنساني إن لم يغثه الله بتلك الرحمة الواسعة ؟ أكل الجواب إليك أيها القارئ الحكيم . لا أبعد بك . هذه

سِيرُ أئمته وأخبار علمائه وأعمال رجاله لم تمح من صحف التاريخ ، وهذه آيات القرآن شموس مشرقة لم يعتورها تبديل ولا تغيير ، ولم يذهب جماله العلي تأويل وتفسير ، فجرد نفسك من عصبيتك وحظك وهواك ، واقرأ متأملاً ، وفكر متدبرا ، وتناول من هذا الطهور بقدر ما وهب الله لك من العقل أو بنسبة منزلتك من الوجود ، ثم قم شاكرا ربك علي هذا التنزل الإلَهي بالرحمة الواسعة والشفقة والحنانة الحقيقيتين ، ذاكرا آلاءه، فاكرا في آياته ، حاضرا في معيته ، لترقي إلى أوج كمالك وتكون حلية للملكوت الأعلي ، وشمسا مشرقة في عوالم العرش العظيم ، أو إنسانا مُنَعَّما في جنات الخلد بأشهي وأجمل الملاذ الحسية والمعنوية .

**طلٌ من وابل القرآن ورذاذ من هاطل السنة :**

و وفاء للموضوع أبين لك أيها الأخ البار- أيدني الله وإياك بروح منه- أمراً خفي علي كثير ممن لم يذق حلاوة الإسلام والإيمان من المسلمين ، وهو أن ما تراه بعين رأسك من المخترعات والصناعات والفنون والعلوم التى يسمونها عصرية هي بعض نتائج القرآن المجيد ، وقطرة من نعمة الله علينا بهذا النبي الكريم ﴿ ρ وآله﴾.

برهان ذلك أن أحكام الإسلام أوجبت السعي علي الرزق ، وحصرت وجوه ذلك فيما يكتسب من تجارة أو زراعة أو صناعة أو عمل بدني أو غنيمة أو ميراث أو هبة ، وجعل ما يكتسب بالعمل أحل الحلال وأطيب الطيبات ، وأمرنا القرآن الكريم أن نتفكر فيما في السموات والأرض وأن نسعي بجد في إخراج كنوز الكائنات .

و أخبرنا ﴿ ρ وآله﴾ أن : ( الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ) [2] ، وكان ﴿ ρ وآله﴾ يعجبه الحسن من كل شئ سر قوله ﴿ ρ وآله﴾ : ( إن الله يحب العبد المتقن عمله ) [2] وكان ﴿ ρ

وآله﴾ يحث علي تعليم الصناعة والعناية بالزراعة ، ودليل ذلك أنه ﴿ ρ وآله﴾ جعل فدية بعض أسري قريش تعليم بعض المهاجرين والأنصار الكتابة [2] . وأمرنا الله سبحانه وتعالي بإعداد العدة والقوة ، ولا تكون هذه العدة والقوة إلا بالصناعات التى بها قوة المجاهدين في سبيل الله وحماية ثغور المسلمين . فهم سر تلك الأحكام الخلفاء رضي الله عنهم فنهجوا علي هذا السنن القويم والطريق المستقيم ، حتي تنبهت أفكار المجتمع الإسلامي ، وكان العرب إذ ذاك قليلين والذين اعتنقوا الإسلام وأهل الذمة كثيرون . فانتشرت تلك الصنائع بين من اعتنق الإسلام من الأمم الأخري وبين المسلمين ، وبلغت درجة رقي الصناعة مبلغا حتي كان طبيب الخليفة في زمن من الأزمنة نصرانياً ،وعمال بيت المال من أهل الذمة، وقويت تلك الروح في المجتمع الاسلامي حتي ارتقت الصناعة رقيا بلغ مبلغا أدهش عقول العالم بأجمعه . ومن اطلع علي آثار بغداد والأندلس ودمشق وغرناطة والعراق وباب السعادة [2] عاصمة المسلمين الآن ، ومصر المحروسة وما فيها من إحاكم الصناعات ودقائق الفنون والمخترعات وغرائب العلوم بالحكمة العملية وخفيات الفهوم في الحكمة النظرية يعلم حق العلم أن ما يراه الآن بعيني رأسه في كل المدن سواء كانت في الشرق أو الغرب إنما هو طل من وابل القرآن ورذاذ من هاطل السُّنَّة المحمدية .

أول من سعي في تخطيط الأرض بالتحقيق خلفاء المسلمين كما تقدم ، وهاهي الكتب الإسلامية لا تزال بحار يغترف منها غير المسلمين وينسبون لأنفسهم، ولا يزال الغرب مع ما بلغ من إتقان الصناعات طفلا صغيرا يرضع من لبان العلوم الإسلامبة والعلوم العربية والآثار الشرقية .

**تأثير الإسلام علي المجتمع الإنساني :**

نزل القرآن فسوّي بين الناس وأمر بالألفة والتحابّ ، وحث علي عمارة البلاد وسعادة العباد لا فرق بين المسلمين وأهل الذمة ، فأطمئنت القلوب وأمنت ، واستراحت العقول والأفكار فعملت . ولولا الإسلام لبقي المجتمع الإنساني هاويا في مهاوي الجهالات والضلالات . فبالإسلام عمت الرحمة المجموعة الإنسانية . وبالإسلام فتحت كنوز الكائنات وظهرت خواصها . وبالإسلام سمت النفوس وزكت ، وجالت العقول في رياض تلك الآثار واقتطفت ، وإني علي يقين تام أن المجتمع الإنساني إذا تخطي خطوة أمامه فانكشفت له أنوار الحكمة العملية والنظرية لانبلجت له أنوار تدعوه إلي ان يكون الإسلام هو الدين حقا ، والقرآن هو الإمام صدقا ، ولكنها حكمة بالغة وتقدير إلهي ، يهدي الله من يشاء ويضل من يشاء لا يسأل عما يفعل .

لعلك أيها الأخ علمت حق العلم قدر تأثير الإسلام علي المجتمع الإنساني ، وكيف عم خيره من اعتنقه ومن لم يعتنقه . ذلك لأنه دين الله حقا ورحمته الحقيقية التى تفضل بها علي بني الإنسان ونعمته الواسعة علي كل مخلوق . وقد تقدم لك فيما سبق أن الإسلام رحمة لكل موجود ذي كبد رطبة ، فإن الله – سبحانه وتعالي – أمرنا بالرحمة لكل مخلوق ، وأمرنا ﴿ ρ وآله﴾ بحسن رعايتنا لمن استرعانا الله ، وما استرعانا الله .

لعلك أيها الأخ المهتدي بنور عقلك المسترشد بضياء فكراك ، زالت عنك ستارة الوهم المسدلة علي نور الفكر ، فأيقنت يقينا أن ما تراه من الزينة والصناعات والفنون والحكمة العالية لم يكن إلا بعد شروق تلك الشمس الإلهية ، وأخشي أن تتوهم أني أجهل أن رجالا قبل الإسلام جالت أفكارهم في ميادين الحكمة العملية والنظرية . نعم ، ولكن علي غير أساس متين وعلي غير هدي . ولولا أن هذا المختصر لا يتحمل لأوردت لك ما بحثوا عنه وما تكلموا فيه من

مباحث الحكمة ، وكشفت لك جلية الأمر ، فعلمت حق العلم أنها أوهام انبعثت أشعة أنوارها علي ما أحاط بها من الماديات ، فجالت جولة حتي إذا قربت من فِنَاءِ أسرار تلك الآثار انعكس دخان تلك النار علي الخيال فَتَمَثَّلَ ظلمه وراء المادة سر قوله تعالي : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ {33} فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {34} يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [2] وكيف ينتصرون ولم تنمح حجب الأوهام عن العقول لتنفذ أشعة أنوار العقول السليمة فتخرق سياج المادة بكمال التوحيد ونور اليقين وسلطان العلم بالله تعالي ؟ لعلك إذا قرأت ما قاله الأقدمون في سياسة الملك ، وفي خواص بعض النباتات والحيوانات، وفيما استنتجوه من نظريات هندسية ومبادٍ حسابية قلت : تلك العلوم الرياضية التى تزكي النفس . ونعم هي تزكية النفس في طلب المزيد من الدنيا والانغماس في الشهوات البهيمية ، ولكن هل تمنح نفسك موهبة تفكر بها في سر الآيات في الأرض والسموات ؟ وتعلم بها حق العلم سر الحكمة التى لأجعلها وهب الله الإنسان العقل وسخر له ما في السموات وما في الأرض ؟ ما خرجت الحكمة عندهم عن فكر يجول في ضروريات لابد منها للإنسان بحياته الدنيوية ، لا للفضائل والمنافع العامة لبني الإنسان دنيا وأخري .

**قطرة من هذا اللجي :**

نزل القرآن فجعل كل فرد من أفراد المسلمين طبيبا حكيما صانعا مفكرا عَلِيَّ النفس ينافس في الفضائل ، حتي صار كل فرد من أفراد المسلمين أمة عظيمة ، فجمع الطب في كلمة قوله تعالي : ﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ ﴾ [2] وجمع الاقتصاد المالي والسياسي في كلمة : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [2] وجمع مكارم الأخلاق كلها في كلمة : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [2] وجمع فضائل النفس وكمالاتها في كلمة : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [2] ويبّين الحكمة القدسية و الميل إلى الكمال الأكمل واحتقار ما سوي الكمالات العلية في كلمة واحدة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [2] .

و حقَّر كل كائن في عين المؤمن الكامل إجلالا لعظمته وإعلاء لكبريائه ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ) [2] وقوله تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ {1} قُمْ فَأَنذِرْ {2} وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [2] ، أمرنا أن نقول كلمة في كل يوم فوق الخمسين مرة تجعل نفوسنا فوق الملائكة وهي : الله أكبر ، لا يقولها حاضر القلب إلا وانمحي من عين بصيرته ومن عين رأسه كل صغير وكبير ، وأحاطت به العزة وسرت في سويداء قلبه سر قوله تعالي : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] هذه هبي القطرة التى في قم البعوضة يا أخي من هذا المحيط اللجي فَآذُنُ واغترف وأنب الى الله واعترف . ولولا أني لا أريد أن اشق عليك بالاطالة لما وسعت تلك الأسرار أسفار ومجلدات . والله سبحانه وتعالي أسأل أن يجعلك أيها الأخ المسترشد ممن يكفيه قليل الحكمة ، فتسعي في خلاص نفسك بالتمسك بشرائع الإسلام وترك ما وراءه من الآراء والأوهام ، لتنال السعادة الأبدية وتفوز بقسط وافر من الحظ في الدنيا ، وتكون ممن عمل لخلاص نفسه وأنجاه الله من حبس حسه وحظه إنه مجيب الدعاء .

**الواجب المقدس :**

تذكر يا أخي – جملني الله وإياك بجمال وراثة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام – إن الإنسان بعد معرفة هذه الواجبات كلها لا ينال الكمالات القدسية حقا إلا بعد ان يعلم الواجب عليه لبني نوعه جميعا ، الذي هو فوق الواجب لجميع الناس ، المذكور بعد الواجب

للإمام الأعظم في آخر هذا المختصر ، لأن الواجب الآخر واجب أخلاقي لرغد العيشة وحسن المعاملة وصفاء الحياة وحقيقة المعاونة . هذا الواجب أيها الأخ واجب علي الذي أحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس . وهو الواجب الحقيقي الذي يقوم به العلماء الراسخون في العلم والعارفون الربانيون والمخلصون الروحانيون . وهو سر قوله سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(2) . هذا الواجب يا أخي-= أيدك الله بروح منه – هو الواجب المقدس .

فإذا من الله عليك بتلك المواهب العالية والخصوصيات الفاضلة ، وجمَّلك الله بحلل العزائم التى تكون بها من أهل الرضا أو الصبر ، وحلاَّك سبحانه وتعالي بزينة الحكمة والمعرفة ،وكشف لك حقيقة الدنيا وعرَّفك قدرها ؛ فقم يا أخي باذلا ما في وسعك لنجاة إخوتك المؤمنين أوَّلا مما ألمَّ بأخلاقهم أو بعاداتهم مما يخالف سنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، متَحُملاً يا أخي – وفقني الله وإياك – آلام هذا العمل الجليل بعزيميتة ماضية ونفس عالية وهمة لا تفتر . واحرص يا أخي كل الحرص علي نجاة إخوتك برحمة ورأفة وصبرا علي البلاء ودعاء بالخير للأعداء آنسا في عملك هذا بربك سبحانه ، مستمدا من روحانية رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، ثم يا أخي كن حريصا علي نجاة غير المؤمنين من بني نوعك فاجعل لهم قسطا من تلك الرحمة التى منَّ الله عليك بها ، وادعهم بالحكمة المناسبة ، وبين لهم يا أخي جمال الدين وسماحته ، وما أنزله الله تعالي علي سيدنا ومولانا محمد ﴿ ρ وآله﴾ من الكمالات التى لم ينزلها علي الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم ، لتكون يا أخي من عمال الله القائمين بأمر الله المجاهدين في سبيل الله . واعلم يا أخي أن هذا المقام العلي والمجد الذي منَّ الله به علي كُمَّل أولي العزم من الرسل ، ورَّثه – فضلامنه – لأهل خصوصيته من

أفراد عباده المخلصين ممن انعم الله عليهم . فتنبه يا أخي . وإياك إذا أقامك الله في هذا المقام العلي أن تخلد إلي الأرض وتتبع هواك وتنسلخ من آيات الله ، فإنَّ مَنٌ مَنَّ الله عليه بتلك المواهب فانسلخ منها بالميل إلى حظ فان ، أو بفتح باب الخصومات والعداوة علي الناس ن كان كمن قال الله فيه : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ {175} وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ (2) .

ليس الداعي الي الله حقيقة إلا من كشف عن جمال الدين لأعدائه وبين محاسنه لهم حتي ألفوه ، بعد أن جدد سنن رسول الله ﴿ρ وآله﴾ بين إخوته المؤمنين ونشلهم من أوحال التوحيد ، وبين لهم الطريقة المستقيمة فسلكوا عليها ، فهذا هو الوارث حقا لرسول الله ﴿ρ وآله﴾ ونور الله المبين ، الذي جعله الله حجة علي عباده وحجة للمؤمنين ، وشهيدا يوم القيامة علي الناس بما أتاه الله من العلم والحكمة . أكرر لك يا أخي التنبيه أن تكون بعد أن يقيمك الله في هذا المقام متلذِّذاً بما يؤلم ، آنسا مما يستوحش منه الجاهلون ، مُوَجِّها كل وجهتك إلي نيل فضل الله ورضوانه ، مُسْتَدِيراً العطاء من الله ، فرحا بإقبال الخلق علي الله مقبلا بِكُلِّيتَّكَ علي جناب القدس الأعلي ، مستصغرا نفسك في عينك وإن عظَّمها الله في عيون عباده ، جاعلا كل همك وقصدك أن يكون الله تعالي راضيا عنك وأن تكون راضيا عن الله ، ولا يكون ذلك يا أخي بمعناه الحقيقي إلا إذا كان الله ورسوله أحب إليك مما سواهما ، وكنت تحب المرء لا تحبه إلا لله ، ونزهت سرك عما يشغلك عن الله ، وطهرت سريرتك عما يلفتك عن الحق جل جلاله . عند ذلك يا أخي أبشرك بنزل المقربين ، ومشاهد المحبوبين ، والاتصال بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وهو المجد الحقيقي الذي تتشوق إليه النفوس الزكية والأرواح الملكية .

أسال الله تعالي أن يمن علينا بهذا المجد منه محفوظة من السلب ، وأن يديم لنا المزيد من هذا الفضل العظيم والمجد الحقيقي ، إنه هو المعطي الوهاب ، الكريم التواب ، وصلي الله علي سيدنا محمد وآله صحبه وسلم آمين .

**بهجة النفس وحظها وشهوتها :**

البهجة للنفس الملكية . والحظ للنفس الابليسية . والشهوة للنفس الحيوانية . فإذا تكملت النفس الملكية بحقيقة العقيدة ، ولا تكون منجية إلا إذا تلقاها المؤمن من القرآن وتزكت النفوس الإبليسية بقهرها بخوف العقاب وحرمان الثواب ، وطهرت النفس الحيوانية بالإعتدال فى جميع ما لابدَّ لها منه مما به قوامها، ومعرفة المضار الحقيقية والمنافع الحقيقية معرفة محسوسة للفكر ، وحصل ائتلاف بين القوي ونوع مشاكلة لاحتياج كل نفس إلي الأخري في تكميلها وبلوغها الغاية المطلوبة ، وخوف كل نفس من الآخرين أن يكون لها القهر الحقيقي علي جميع النفوس ، فيكون ذلك مؤديا إلي نقص الكمالات الإنسانية التى ينالها الإنسان في الدنيا بالنسبة لأنه خليفة عن ربه سبحانه ، وحرمانه من الكمالات الأخري التى أعدها ربه سبحانه وتعالي لأحبابه المقربين : من الرضا والفوز والرؤيا والشهود ومالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر ، مما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون .

فإن النفس الملكية إذا قهرت النفسين الأخريين أضر الإنسان بدنياه ، وهو مطالب من حيث أنه حليفة عن ربه ، مطالب برعاية ما استرعاه الله فيه من العمل النافع ، والنظر الصحيح ، والعلم الذي تطمئن به القلوب حتي تتحق بكمال الخلافة . وبقدر ما فاته من حقوق الخلافة يفوته من معرفة نفسه ومعرفة ربه سبحانه وتعالى، ويحرم من منازل الأفراد الخلفاء . وإذا تسلطت النفس الإبليسية عليه أذهبت منه نور الحق ، وأخلد إلي الأرض أرض القطيعة وسجن البعد ،

وكان أقل الأنعام وأضل منها سبيلا ، ويكون حربا علي نفسه وبني جنسه ، وعدُوّاً للحق وأهله ، عونا للباطل وأهله ، بل يكون هو عين الباطل فَيُمسَخُ بعد أن كان في أحسن تقويم ، ويصير إبليس في أسفل سافلين . أعوذ بالله من السلب بعد العطاء . وإذا غلبت النفس الحيوانية صار شهوانيا ويكون بحسب ما غلب عليه من النفوس . فقد يكون كالخنزير شهوة النكاح ، وكالنملة حرصا ، وكالثعبان أذية وكالثعلب ختلا ، وكالسبع افتراسا . لا يرعوي ولا يرتدع حتي يهدم صورته هادم اللذات ومفرق الحماعات . أسأل الله الحفظ والسلامة من سلطان الحظ والهوي .

رَوَّحِ النَّفْسَ فِي رِيَاضِ حُلاَهَا وَ تَجَرَّدْ عَنْ مَيْلِهَا وَهَوَاهَا
وَاصْرِفِ الوَقْتَ فِي نَوَال نَفِيسٍ ذَاكِراً فَاكِراً لِنَيْل صَفَاهَا
زَكْهَا بِالْيَقِينِ تَصْفُو وتَرْقَى و تجَمَلْ بِالفَهْمِ مِنْ مَعْنَاهَا
شَاهِداً مَا بَدَا مِنَ الحُسْنِ وَانْهَضْ بِجِهَادٍ فَحَتْفُهَا فِي رِضَاهَا
وَآهْدهَا للصَّرَاطِ بِالْقَهْرِ عَنْهَا وَ تَوَسَّطْ فِي السَّيْرِ عِنْدَ وَفَاها
سُنَّةُ المُصْطَفيَ صِرَاطٌ قَوِيمٌ حِصْنٌ أَمْنٍ لِمَنْ يَرُومُ حِمَاهَا

* * *

النَفْسُ طُهْرَتُهَا سُكُونٌ لِلْعَلِيِّ وَ زكاؤُهَا ثِقَةٌ بِمَولاَهَا الْوَلِيّ
و الْقَلْبُ فِي تِلْكَ الشُّئونِ مُقلَّبٌ بِسُكُونِهِ يُجْلَي لَهُ النُّورُ الْجَلِيّ

* * *

جِلاَ النَّفْسِ بَعْدَ يقينِهَا بِشُهُودِى وَ رِفْعَتُهَا عِنْدِي بِحِفْظِ حُدُودِي
و طُهْرتُهَا التّحْقِيقُ بالْغَيبِ عِنْدَمَا تُنَاوَلُ رَاحَ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ
و بَهْجَتُهَا مَرْاي جَمَالِي مُنَزَّهاً بِمِرْآةِ هَذَا الْكَوْنِ لاَ بقُيُودِ
لَدَيْهَا هِيَ النَّفْسُ الزَّكيَّةُ جُمَّلَتْ بسِرّ فَلاَحِ أوْ بِنُورِ شُهُودِى

## ( النفس )

هَيْكَلِي عَالَمُ كَبِيرُ وَنَفْسِى ... صُوَرةُ الْحقَّ فِي صَفَائِي وأَنْسِى
وَفُؤَادِى مَا بَيْنَ عُنْصُرِ جِسْمِى ... وَ مَعَانِي سِرِّي كَمِيزَابِ قُدْسِى
بَرْزَخُ حَاجِزُ يُلَطِّفُ حَالِى ... وَ بِسِرِّي دُرِّيٌّ كَشْفِى وَشَمْسِى
وَ أَرَي الْقَلْبَ عَرْشَ سِرِّ التَّجِلِّى ... وَ الَسُّوَيْدَا قدْ طُهِّرتْ مِنْ رِجْسٍ
هَيْكَلِي مَظْهَرُ صَغِيرُ وَلَكِنْ ... فِيهِ سرٌّلاَ يُشْهَدَنْ لِلرَّأسِ
فِيهِ كُلُّ الْوُجُودِ يُطْوَي وتُجْلَى ... لِي الْمَجَالي فِيهِ بِلاَ قَيْدِ حِسِّى
ضَاقَ كُلُّ الْوُجُودِ عُلْواً وسُفْلاً ... وَ وسَعْتُ العَلِيّ وُسْعَةَ أُنْسِى
عَالَمُ الْقَلْبِ كُلُ عَالَمِ عالين ... وَ عالَمُ الرُّوحِ فِي حَظَائِرِ قُدْسِى
كُلُّ ما فِى مِنْ مَعَانٍ وَحِكَمِ ... غَيْبُ غَيْبٍ عَنْ كلِّ مَلَكٍ وَحَدْسٍ
كُلُّ ما فِي الْوُجُودِ سُخِّر فَضْلا ... ◌لمَعَانٍ ظَهَرَتْ بِصُورَةِ نَفْسِي
قَلْبِىَ الْبَيْتُ عَامِرُ بالْمجَالى ... ظَاهِرِي الْعَرْشُ وُهُوَ لَوْحٌ وَكُرْسِى
لَوْحُ مَحْفُوظِه وَكُرْسِي جَلاَلِ ... بَلْ وَعَرْشُ الرَّحمُوتِ فِي فَهْمِ دَرْسِى
هَيْكَلِي عَالَمُ وَعِلْمُ وَنُورٌ ... وَ شِفَاءٌ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَبَأْسٍ
صَوَّرَتْهُ يَدُ الْعَلِيِّ تَعَالَى ... صُورَةً جُمِّلَتْ بِحُسْنٍ وَمَيْسٍ
آهِ ! لَوْ فُكَّ رَمْزُ تِلْكَ الْمَبَانِى ... عَنْ مَعَانِيهِ لَمْ أُجَاوِر رَمْسِى
يَا شُمُوساً بَهَيْكَلِى مُشْرِقَاتٍ ... أَبِفَضْلٍ أَشْرَقْتِ أمْ ذا بِحَبْسٍ
أَنْتِ نورٌ وَهَيْكَلِى مِنْ مَبَانٍ ... لَسْتِ مِنْ شَكْلِهِ وَلَسْتِ بِجنْسِي
أَنَا فِي حيرةٍ مَشُوقٌ مُعَنَّى ... كَيْفَ أَ◌ْرأَي حَمَأً يُضِيءُ بِقُدْسِى
ذاكَ غيْبٌ لَوْ يُكْ◌شفَنْ سِرُّ مَعْنَاهُ ... لَ◌َ◌لاَحَ الْخَفَا لِعَقْلٍ وَنَفْسٍ

**المسلم الحقيقي أمة عظيمة :**

المسلم الحقيقي هو المُسَلِّمْ أمره لله تعالي تسليما حقيقيا عن تبصرة وهدي ومعرفة وبيان . نظر بنور قلبه إلي نفسه فعلم حقيقة عجزه إذا اشتغل بتدبير نفسه ، وتحقق قصوره الذاتي- إذا اقتصر علي رؤيته – عن إدارك الكمالات التى أعدها الله تعالي للمسلم

الحقيقي ونيل السعادة الأبدية التى وعد الله المسلم بها في جوار حضرته العلية ومنازل رضوانه ، وتحقق اضطراره إلي نيل الكمال الدنيوي والأخروي اللذين بفقد أحدهما يُحْرمُهُمَا ، لأن طلب الدنيا للمسلم بالمعني الحقيقي والعمل فيها طلب للآخرة ولله تعالي وعمل لجنابه العلي سبحانه . وأن المسلم مطالب بحقوق بقدر أنفاسه ، لا يمكنه أن يقوم بجميعها إذا أهمل في نفس من أنفاسه ، أو ظن لجهله أن السعادة قاصرة علي عكوف الهم علي عمل واحد دون غيره ، فإنه بذلك يضيع الدنيا والآخرة ، وكيف لا ؟ وهو كما أنه مطالب بحق عليه لنفسه من تدبيرها وتزكيتها وتقويم معوجها وحفظ الصحة عليها ، فهو كذلك مطالب بحقوق مثل هذه الحقوق وهي أوكد لكل مسلم من المجتمع الإسلامي العام أين كان المسلم وكيف كان ، بحيث تتفاوت الواجبات إما بتدبير خاص ومعونة ، أو بتدبير عام ونصيحة ومشورة ، بحث يكون كل مسلم لكل مسلم خزانة مدخرة هند الحاجة إن بمعونة أو بنصيحة أو برأي أو بمنع عن ظلم ، أو بتضامن علي إحياء سنة أو محو بدعة وضلالة ، أو مشاركة بالضمير والشعور الذي يطلق الألسنة بالدعاء والتضرع إلي الله تعالي أن يكشف السوء الذي لا قبل للكل بدفعه عن أنفسهم .

و بهذا يكون المجتمع العام الإسلامي كجسد واحد يمثل كل فرد من أفراده عضوا من الأعضاء فيكون الإمام الأعظم لهم هو القلب ، وكل فرد بقدر منزلته عضو من الأعضاء الباقية ، وبذلك يكون كل مسلم منهم كاملا في إسلامه، عاملا للدنيا والآخرة عاملا من عمال الله المخلصين ، بل ويكون كل واحد منهم خليفة لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ في القيام بمعني من معاني الرسالة ، ويكون المجموع بأكمله صورة كاملة لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ تمثل أخلاقه ﴿ ρ وآله﴾ ومعانيه ﴿ ρ وآله﴾ وأحواله ﴿ ρ وآله﴾ ، ويكون كل فرد من أفراد المسلمين كأنه في معية رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ لأنه متجمل بجمال أهل

معيتـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــه ﴿ ρ وآله﴾ ، متصف بما وصفهم الله تعالي به رضي الله عنهم .

و بهذا يكون المسلم الواحد أمة عظيمة قوية ، لأنه جاهد نفسه مجاهدة في ذات الله حتي تحققت أن الله تعالي اولى بها منها وأعلم بخيرها منها ، واقدر عليها منها ، وإن العقل الإنساني وإن كمل ، والفكر الآدمي وإن رقي ، لا يستقل بإدراك ما هو خير في الحقيقة ونفس الأمر ، ولا يقتدر أن يقهر النفس علي الأعمال التى بها نيل السعادة الحقيقية لما جبلت عليه النفس من حب النزوع الي الملائم والرغبة في العاجل ، فكانت أحكام الله تعالي ووصاياه وتعاليم رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، وهدي أصحابه رضوان الله عنهم والتابعين لهم بإحسان هي المراقي التى يرقي بها المسلم إلي منازل السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة ، ونيل الخير الحقيقي في الدنيا والآخرة .

فلو أن مسلما واحدا جعل القرآن إمامه وحكم علي نفسه بوصايا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ واقتدي بهدي السلف الصالح محافظا علي الكتاب والسنة ، عاملا بهما حق العمل ، فإنه بمفرده يمكنه أن يسود من هو بينهم ، وأن يجعلهم جميعا يدينون بدينه ويعتقدون اعتقاده ، لأنه باتِّباعه للقرآن الشريف وعمله يالسنة يكون عاملا نافعا لنفسه ولجميع بني جنسه بالشفقة والرحمة والفضيلة والنصيحة والإرشاد والمعونة والمشاركة ، لأن المسلم الحقيقي أوجب عليه القرآن أول ما أوجب تعلم العلم الحقيقي النافع للدين والدنيا معا . فيتعلم العقيدة الحقة والعبادة المطابقة للسنة ، والأخلاق الكريمة التى هي أخلاق رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، والمعاملة الحسنة التى تجعله يألف ويؤلف ، والفنون والصنائع التى تنفع بني جنسه لينتفع بما لديهم مما لابد منه له حتي يكون نافعا منتفعا ، ويكون ما يقدمه لغيره من المنافع اعم وانفع مما يناله من غيره . فمسلم مثل هذا أذا وجد منفردا بين أمم من النصاري أو اليهود أو المجوس أو الأمم المتوحشة لا يلبث إلا

قليلا حتي يكون كشمس مضيئة ، يستضئ بنور عقيدته الحقة العقلية ويقلده في أعماله النافعة وأخلاقه المرضية ومعاملته الحسنة ومزاياه الجميلة كل من رآه أو سمع به ، لأنه إنسان تكمل بجمال يشتاق إليه كل إنسان ويدعي أنه مكتمل به ولو كان في دركات الجهل والشرور ، لأن الإنسان بفطرته يمدح الخير ويذم الشر وإن عمل الشرور .

و رب قائل يقول : إنا نري أكثر الناس أعداء للرسل عليهم الصلاة والسلام ولورثتهم القائمين لتجديد سننهم . فأقول له : لم يكن أكثر الناس أعداء للرسل ، وإنما اعداء الرسل هم المتسلطون علي العامة بالقوة القاهرة أو لدعوي الصبغة الدينية بالزور والبهتان ونري العامة يقلدون الزعماء بغير روية ولا تمييز بين الحق والباطل ، ولكن بعد ظهور الحق وانبلاج أنواره تتقلص ظلال الباطل وتنجذب القلوب إلى الحق . وكم هوت عروش ملوك ، ومالت تيجان عن الرؤوس ، وفُلِقَتْ هامات ملوك بأيدي أعوانهم وأنصارهم والمعضدين لهم والمتعصبين لهم عندما انبلجت انوار الحق وأشرقت علي القلوب ، وأسكرت النفوس بما ثلجت به القلوب ، عند ذلك تنجذب النفوس بكليتها إلى الحق ، وتري من كان يمنعها عنه ويُزَيِّن لها الباطل كأنه أوقعها في الشقاء الأبدي ، وأبعدها عن السعادة الدائمة ، فتقوم منتقمة منه مَا حِقَةً له ولذويه فالمسلم الكامل منفردا يتلذذ بالآلام ويفرح بالشدائد ويميل إلى المصاعب ليقينه أنها تنتج السعادة الحقيقية له ولبني جنسه ، ويفيد العالم بأجمعه من نوعي الإنسان والحيوانات خيرا عاما وعيشة طيبة في الدنيا وسعادة دائمة في الآخرة .

لقائل أن يقول : إذا كان المسلم منفردا لا يقيم بين قوم يخالفونه إلا قليلاً حتي يصير مُقْتَدىً به من الجميع أو من عقلائهم ، فلو كان هذا كما تقول فمالنا نري أربعمائة مليون [2] مسلم كلهم يقلدون غيرهم ؟ وهم أنفسهم يعتقدون أنهم لا يمكنهم الاستقلال

بانفسهم ولا تدبير مصالحهم إلا اذا أدار شئونهم غيرهم ، ونراهم يسارعون في تقليد الأمم الأخري الذين يخالفونهم في الدين والعقائد والأخلاق والبلاد والهواء، والمسلمون جميعا الآن كعالة علي غيرهم يُعْمَلُ فيهم بغير كتابهم ، ويُحْكَمُ عليهم بغير سنة نبيهم . القبيح شرعا صار حسنا لديهم ، والحسن شرعا صار غير مألوف لديهم . وهذا المشهود المحسوس يغاير ما تقوله . فأجيبه قائلا : إنك بعد معرفتك بالمعاني والصفات التى لا يكون المسلم مسلما إلا بها يمكنك أن تحكم أن مجموع الأربعمائة مليون الذين تسميهم مسلمين لو اجتمعوا جميعا لم يُمَثِّلُوا مسلما بمعناه الحقيقي ، لأن مجموع المعاني التى يتمسكون بها من الوصايا الإسلامية بعض أعمال بدنية معتادة مجردة عن روح المراد منها . وجميع الوصايا الإسلامية أهملت أو أبدلها أهل الأغراض والحظوظ بما تأولوه بآرئهم الملائمة لهم ، أو قلدوا فيه أهل الجهالة والبدع حتي صار الإسلام غريبا بين أهله ، وبهذا تتحقق أن الوصايا الإسلامية لو تمسك بها واحد لأمكنه أن ينفع أمة عظيمة . ولو أن جماعة تمسكوا بحقيقة الإسلام وفهموا أمر الله سبحانه وتعالي من تنزيل احكامه وبيان حكمه ، والمراد لرسوله ﴿ ρ وآله﴾ لملكوا المعمورة ودانت لهم أكابر ملوكها وأذلوا أعداءهم .

و لعلك أيها المفكر تقول : إن أربعمائة مليون لابد وأن يكون بينهم أربعة ملايين فهموا أسرار الشريعة واستبصروا في أحكامها وحِكَمِهَا ، فلِمَ لم تتكون منهم هيئة تبث روح اليقين وتجدد دارس الأخلاق ، وما أهمل من السنن الإسلامية ؟ وهل السواد الأعظم من أهل الطرق والعباد وطلبة العلم كل هؤلاء ليس بينهم من أدرك تلك المعاني وفهم روح الشريعة حتي كان يوجد منهم من يجدد للمسلمين أمر دينهم ؟ فأقول : معلوم أن الأمة لا يمكن أن تنشر بينها الصناعة الحقيقية المؤسسة علي القواعد العلمية والأصول التجريبية الا بصانع انكشفت له أسرار الصنعة . وتحقق من معرفة ما ينتج من المنافع والفوائد والمضار، وفهم فهما حقيقيا خيرية تلك الصنعة ، وبذل

للتحصيل عليها نفيس زمنه ونفائس أمواله ، وفارق لأجلها عزيز أوطانه وأقرب أقاربه ، معتقداً أن ما يناله خير من النفس والنفيس ،و خير من الوطن والأهل ، ثم يرجع إلى وطنه فينشر بينهم تلك الصنعة المفيدة النافعة ، فيصبحون جميعاً صناعا متقنن . وإن لم يوجد هذا يكونوا في صناعتهم بحسب ما يحسنه لهم حالهم في الضرورة والرخاء . فهل لو اجتمعوا جميعا يمثلون هذا الصانع منفردا ؟ لا : فكذلك تري أن بين المسلمين كثيرين مؤهلين لأن يكونوا مسلمين بالمعني الحقيقي ، وأكثرهم أهل التسليم والانقياد الذين يسلمون أنفسهم لعلماء السوء ودعاة الضلالة ، معتقدين أن كل ذلك ليس من الدين في شئ ، فإن القرآن الشريف والسنة المحمدية السمحاء الحنيفية البيضاء قد بينا أوصاف المسلم وأعماله القلبية والبدنية والمالية منفردا في نفسه ، ومع أفراد عائلته ومع جيرانه وأهل قريته ، ومع أهل الأمصار ، ومع كل المسلمين ، أين كانوا وكيف كانوا وبَيَّنا منزلة كل فرد من أفراد المسلمين بالنسبة لبقية المسلمين .

و قد وصف الله سبحانه وتعالي المؤمنين في كثير من آيات القرآن وبين صفاتهم في آخر سورة الفتح وفي أوائل سورة الأنفال وغيرها ، وبين ﴿ ρ وآله﴾ أوصاف المسلمين وأخلاقهم وما يجب أن يكون عليه كل فرد في نفسه ومع بقية المسلمين في أكثر من ألف حديث ، منها قوله ﴿ ρ وآله﴾ : ( كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْـمُسلِمِينَ عَلَي ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ ٱلإسْلاَمِ ، فإِذَا تَهَاوَنَ إِخْوَانُك فَاشْدُدْ لِئلاَّ يَدْخُلَ الْعَدُوُّ مِنْ قِبَلِكَ ) [2] بَينَّ ﴿ ρ وآله﴾ في هذا الحديث أن كل فرد من أفراد المسلمين مطالب بنفسه أن يحافظ علي السُّنَّة والكتاب، ولوترك العمل بهما كل مسلم ، قال ﴿ ρ وآله﴾ في الحديث الطويل : ( المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ، والمؤمن من أمن جاره بوائقه ) [2] فلو أن أربعين متحققين بالصفات الإسلامية والكمالات الإسلامية لجددوا مجد الإسلام وأعادوه كما كان .

و أسأل الله تعالي أن يهدينا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبين والصدّيقين والشهداء ، وأن يعيذنا من الاقتداء بالمغضوب عليهم من اليهود وبالضالين من النصاري ، إنه علي كل شئ قدير وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

**الشـفاء :**

هو كتاب الله تعالي وسنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، لأن الكتاب والسنة من عمل بهما مصدِّقا مقرًّاً زكت نفسه ، وأشرقت عليه أنوار اليقين فتحقق قدر الدنيا والآخرة ـ فيعمل في الدنيا ليجمعها وينفع بها جماعة المسلمين لنوال الآخرة، وبذل نفسه لنوال رضاء الله تعالي . وقد جمعت السنة حقيقة العقيدة وأجمل المعاملات وأكمل العبادات والقربات والأخلاق والسياسات النبوية التى بها سعادة الدنيا والآخرة .

**أصل مرض الأمة الإسلامية :**

أصل مرض الأمة الإسلامية ناشئ من ثلاثة أنواع : أمراء السوء .و علماء الفتنة . ودعاة الجهالة.

**1ـ أمراء السوء :**

أمراء السوء مالوا إلى الترف والطمع والغرور ، وتقريب أهل المفاسد ، وسرعة الغضب والانتقام ، وإذلال المصلحين ، ومعاداة العلماء العاملين والأشراف المتقين ، والنفور من الموعظة ، والتكبر علي العاملين بالتقوي ، والاشتغال باللهو واللعب والغفلة عن أمور العامة ، والظلم في جمع الأموال ، والإهمال في إقامة الحدود ؛ لأنهم لا يبالون بعمل المنكر 0وساعدهم علي ذلك علماء السوء الذين اتخذوهم أعوانا لهم ،وأيدي لتنجيز شهواتهم ، وسيوفا لقطع الحق وإحقاق الباطل ، فشغلهم الظلم عن الإعداد للأعداء كما قال سبحانه : ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو

الله وعدوكم ) [2] وصـار الأمير لا عدو لـه الا النصـحاء الأمنـاء مـن المسلمين ، فقاومهم وأضعف قوته ، حتي استولي الأعداء، علي ثغور المسلمين لخلوها من الحصون المانعة والجيوش الراغبة في الدار الآخرة ، لأن الناس علي دين ملوكهم ، وبشغله أهملت الصناعات والتجارات لاشتغال الأمة بالوشايات وتفرقة كلمتهم بالتحزب .

**2- علماء الفتنة:**

ثم قام علماء السوء فتقربوا إلى الأمراء بجدل الكلام ، وتأويل السنة والكتاب بما يهواه الأمير، وما ينالون به المنزلة العالية والسيادة والشرف ، حتي يكون منهم الْمُفْتُونَ بالضلالة ، والدَّالُّون علي غير الهدي مع إهمالهم للأعمال الشرعية ، والازدراء بالفقراء والعمال وأهل الذِّكْر من العارفين ، وأهل علوم اليقين. وقد بلغ بهؤلاء الضالين المضلين أن أبتدعوا في الدين بدعا فرقوا بها بين المسلمين ، وأوقعوا المسلمين في تكفير بعضهم ولعن بعضهم حتى بلغ حالهم من العداوة والبغضاء أن تساهلوا في أمور الجماعة وإحياء الكلمة وتجديد أمور السنة ، حتي ذلوا وخذلوا وتمكن منهم العدو ، وداخلهم الشيطان فصاروا تبعا بعد أن كانوا أئمة وسادة لجميع العالم . كل ذلك للطمع في الدنيا وايثارها علي الآخرة ، وترك الحق وراء ظهورهم طمعا فيما لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة من الشهرة والسمعة ونفوذ الكلمة ، ودعاهم الطمع والغرور وطلب زهرة الدنيا إلي أن ألَّفوا كتبا في بدعهم يردون فيها علي أهل الإخلاص والصدق والتوكل والعلم اليقين والعمل بالحق ، وسعوا في الأرض ينفرون المسلمين من أئمتهم وقادتهم ، حتي إذا تسلط الكافر علي المسلمين تركوا أمراء المسلمين . وقاموا لِذمَّهِم وموالاة المتسلطين عليهم لنوال الرتب والشرف والأموال والجاه والرفعة . فواعجباً لكلاب الدنيا الظاهرين في حلل المؤمنين ، المتجملين بجمال العلماء الراسخين ، كيف لا ينهاهم نُهاهم ولا تمنعهم عقولهم ولا معقولاتهم ولا أحكام دينهم عن الغرور بالدنيا

وهدم أركان الدين ؟ ولابد أن تظهر الحقيقة في يوم ما والله غالب علي أمره.

**3ـ دعـاة الجهالة :**

دعاة الجهالة إن لم يساووا علماء السوء في جلب المضرة علي المسلمين فهم أضر منهم لأنهم يموِّهون علي العامة إنهم الدعاة إلى الله تعالي ، الوارثون لأحوال الأقطاب والأبدال ويموِّهون عليهم أنهم يمكنهم النفع والضر ويلفتون المسلمين عن العمل الواجب عليهم شرعا وعقلا من العلم والعمل للدنيا .

ثم إنهم بجهلهم يوهمون أن التوكل ترك الأعمال ، وأن الرضا عدم المعارضة وترك الناس يعملون ما شاءوا . ومنهم من يتقرب إلي الأمراء أو المتسلطين فيكونون أعوانا لهم علي حب العامة والرضا بأحكامهم وأعمالهم ، بل ويفهمونهم أن هذا هو الخير ، وأن هذا فضل من الله ونعمة ، وهو في الحقيقة سخط من الله ونقمة . ثم إنهم لطمعهم يوقعون العامة في بغض العلماء والأتقياء والدعاة إلي الخير فتحصل التفرقة ويقوم كل فريق لمناوأة الآخر فتتفرق الجماعة ، ويسارع كل فريق إلى المتسلطين أو الأمراء فيستعينون بهم علي أهل الحق ، حتي يضعف القائمون بالحق ويختفون وينشر الباطل . وأول فتنة حصلت فتنة مسليمة الكذاب ، ثم حوادث الخوارج ، ثم ينى أمية ، ثم بني العباس ، ولكن كان نور الكتاب والسنة مشرقا علي جميع المسلمين .

**دواء ذلك المـرض :**

من نظر بعين العبرة في مرض المسلمين الآن وما أصابهم يجد ذلك ناشئا عن تلك الأسباب المتقدمة . ودواء ذلك المرض أن يتحد الأمراء والعلماء والدعاة بالقلب واللسان علي العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﴿ ρ وآله﴾ وإحياء سيرة السلف مع الزهد في الدنيا ، والتوبة ببذل أنفسهم وأموالهم في إحياء سنة الرسول الكريم ﴿ ρ وآله﴾ بالحكمة والموعظة

الحسنة . وإلا فالله سبحانه وتعالي له عباد أحبهم وأحبوه يجعل إحياء ذلك الأمر علي يدهم ، لأن الله غيور علي دينه وسنته وكتابه وسنة نبيه ﴿ ρ وآله﴾ . وما الله بغافل عما يعمل الظالمون . أسأل الله تعالي أن يوفقنا لما يحب من القول والعمل والحال ، وأن يجمع قلوبنا علي الحق ، وان يهب لنا عناية يحيي بها السنة إنه مجيب الدعاء ، وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

## تجدد الإسلام سعادة المسلمين

**حال المسلمين فيما مضي :**

المسلمون وإن كانوا قليلاً في العدد والعدد ، وكان أهل المعمورة أعداء لهم يناوئونهم ويكيدون لهم حتي جيرانهم وأقاربهم ، ومع ذلك كانت تميل التيجان من علي رؤوس الأكاسرة والقياصرة والتبابعة هيبة لهم ورهبة منهم . خامر الرعب قلوب الملوك في قصورهم ، والخوف قلوب الشجعان في أكمل لأمتهم ، حتي كان المسلم المنفرد كخميس [2] جرار ، فأخضعوا الأمم للحق وقادوا العالم وسادوهم . كان القرآن حاكمهم إذا قال لهم أقيموا أقاموا ولو علي جمر الغضا ، ولو قال لهم أقدموا أقدموا ولا يتكلمون إلا إذا أمرهم القرآن ولو علي الموت ، فكانوا لا يأكلون إلا إذا أمرهم القرآن ،ولا يتكلمون إلا إذا أمرهم القرآن، فالقرآن هو الإمام والقدوة . وأميرهم أعلمهم بأسرار القرآن وأكملهم في العمل بالقرآن . فإذا سها نبهوه ، وإذا نسي ذكروه ، فإذا خالف خلعوه . وإن حكم القرآن بقتله قتلوه ، لأن الحاكم الحقيقي والحكم العدل هو القرآن ، فما مضت فترة قصيرة من الزمن إلا والعالم جميعه إما مسلمون أو خاضعون أهل ذمة للمسلمين . وكان المسلم إذا عمل عملا وقيل له : لم عملت هذا ؟ يقول أمرني القرآن ، فيسأله عن الأمر فيخبره به ، فيقول : إني أفهم في هذه الآية غير تلك

، فيقول : إن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ بيَّنها أو قوله كذا ، فيسلم له أخوه ويعمل بعمله وعلمه . هكذا .كانوا كلامهم القرآن وعلمهم القرآن ، لاءم ذلك نفوسهم أو لم يلائمها .

سعدوا وسادوا ليس في الآخرة فقط بل- والله – وفي الدنيا قبل الآخرة ، ملكوا الممالك فلم تخرجهم عن التواضع لله تعالي ولرسوله ﴿ ρ وآله﴾ ، ودانت لهم الأكاسرة والقياصرة وصاروا أرقاء يباعون في الأسواق وتباع نساؤهم . فكان ذلك أشد في قلوبهم موعظة وعلما بدناءة الدنيا وحقارتها فزهدوا فيها ، ورغبوا في الدار التى لا يزول نعيمها ولا يبلي جديدها .

**عمل العلماء :**

قام العلماء بالواجب عليهم فزهدوا الدنيا وخالفوا أهلها ، وكانوا قدوة حسنة أمام أفراد الأمة حتي في زمن الخلفاء الراشدين ، كان أبو ذر الغفاري وأبو هريرة وسلمان الفارسي وغيرهم يكتبون لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً يخوِّفونه من الدنيا فيقبل منهم ، وخالفوا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقام أسامة بن زيد لعلي بن أبى طالب عندما قال له إن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ قال : ﴿ مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيّ مَوْلاَهُ ) [2] وطلب منه موالاته علي معاوية ، فقال يا أمير المؤمنين : أنت مولاي ولكني سمعت رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ يقول لي : ﴿ أقتلت رجلاً ... يقول لا إله إلا الله ؟ ﴾ [2] ، فأنا لا أواليك في هذا الأمر . وقال محمد ابن الحنيفه رضي الله عنه في يوم صفين : إنها لفتنة ، وأراد أن لا يقاتل فوكزه أبوه بكعب الرمح وقال : اتكون فتنة أبوك قائدها ؟ . وما حصل لمعاوية رضي الله عنه من النساء اللاتي كنّ يمدحن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب υ ويذممن معاوية رضي الله عنه . وما فعله ابن جريج مع المنصور . وما فعله الفضيل مع الرشيد ومالك بن أنس معه مما هو مشهور . كل ذلك كان عمل العلماء . وقد ضرب أبو حنيفة علي تولية القضاء مرارا حتي

رضي أن يكون عداداً للطوب خوفا علي نفسه من معاونة الخلفاء مع أنهم كانوا أئمة الهدي . كل هذا نذر من كثير من عمل العلماء الذين رضوا بخدمة العلم والفقر إيثاراً للآخرة علي الدنيا ورغبة في النجاة منها .

و كان المسلمون في هذا العصر لا يمضي يوم إلا و تفتح فيه الممالك ، وتدخل الأمم في الإسلام رغبة وحبا في التمسك به لا رهبة ولا خوفا علي ضياع مال أو هلاك نفس ، ولكن شاهدوا من المسلمين حكما عادلا، وعملا مقبولا للعقول ، وحالا تميل إليه النفوس ، وزهدوا فيما في ايدي الناس ، وسلامة ضمير ، وإعلانا بالحق والنصيحة لكل إنسان حتي كان يضرب الشريفُ الأمير قصاصا إذا ضرب أحقر أهل الذمة ، مع الرحمة العامة والشفقة الحقيقة والمعاملة الطيبة . فكان المسلم يعامل الذمي كما يعامل أهله . إن كان كبيرا وقَّرة ، وإن كان صغيرا عطف عليه ورحمه ، فعشقتهم النفوس ومالت إليهم العقول ، إلا أكابرهم من أهل السيادة الدنيئة الذين خافوا علي سيادتهم ، فإنهم تعصبوا لدينهم حفظا للسيادة الفانية . هكذا كانوا وبهذا يكون من بعدهم .

**دعوة إلي تجديد سنن ديننا :**

أما نحن الآن فقد كثر عَددنا وعُددنا ومالنا ولكنا صرنا تبعا أذلاء لا لقلة العدد أو لضعف الأجسام ، أو لأن بلادنا قاحلة لا تنبت ، أو لأن ديننا دين الكسل والبطالة وترك الدنيا وعدم الرقي والاختراع . لا ، بل ديننا في دين العلم والعمل للدنيا والآخرة . دين البحث في الآثار والفكر فيما أودعه الله تعالي فيها وإظهار مكنون أسرارها المنطوية عليها للنفع العام . دين المجاهدة . دين الأخلاق الطاهرة . دين المعاملة الحسنة دين التوحيد والاتحاد والائتلاف . دين الرحمة والشفقة . دين العمل النافع والسعي

في النفع العام لجميع خلق الله – سبحانه – والرحمة حتي بالنباتات والحيوانات فضلا عن بني الإنسان . دين العدل والإنصاف . ليس دين رهبانية وخراب للدنيا وترك للعمل فيها كدين النصرانية . ولا دين تعصب وبغض لغير أهله والعمل لخاصة أهل الدين كدين اليهودية . بل هو الدين الذي أوجب علي المسلم معاملة الذمي كنفسه . أوجب علي المسلم أن يسعي ويجد ويجتهد . فرض الزكاة ليعمل المسلم في جلب المال . فرض الحج ليسعي المسلم وينتقل ويسافر . فرض الصيام ليرحم المسلم الفقير من أي دين كان . جعل المنازل في الجنة بالعمل الصالح وعمل الإصلاح والصلح . حث علي الزراعة وعلي التجارة وعلي الصناعة . وأمر بإعداد العدة بقدر الاستطاعة . كل ذلك لا يتوفر إلا بالتجارة والصناعة والزراعة . وفضَّل المتصدِّق علي المتصدَّق عليه والرجل علي المرأة بما أنفقه عليها . كل ذلك حث علي العمل . أمر بالاقتصاد وتوفير المال وأخبر أن من أسرف يعاقب بالفقر ، حث علي الطب حتي من يعالج نفساً مريضة كأنه أحياها . هذا وكل خير وفضيلة وسعادة في الدنيا والآخرة لا يمكن نوالها إلا بالتمسك بالسنة ، ومع ذلك فإنا تركنا السنة وأهملنا العمل بها حتي رمانا أعداء ديننا بأن ديننا دين الخمول والتأخر . ذلك مِنَّا لا من ديننا . وإلا فمتي تمسك قوم قليلون بالدين علي حقيقته وتأخروا ؟ فهلم بنا نجدد سنن ديننا . وذلك لا يكلفنا أن نبذل أموالنا ولا أن نقتل أنفسنا ولكنا نأتمر بما أمر ، وننتهي عما نهي ، ونوالي من والي الله سبحانه ونعادي من عادي الله سبحانه ، ونقتصد في زمننا ومالنا ، فلا ننفق الزمن إلا في كسب علم أو فن أو رزق أو محمدة أو قربة أو صلة ، ثم نحب إخواننا حبا يجمعنا . ولا يكون ذلك إلا بالزهد في الأمل وفي الجاه عند الناس ، وفي الشهرة بينهم ، بأن نعطي كل أخ حقه في غيبته كحضوره وننشط العمال ونستر الزلات ، ونعامل الله تعالي في خلقه ، ونجعل معاملتنا خفيفة علي إخواننا حتي تنحصر الأموال والصناعة والفنون فينا . فإن حصر المعاملة فينا تنشطنا وتجدد ملكة الاختراع والجد في العمل ،

ونبغض من أبغضهم الله تعالي من المجرمين والفساق والعصاة ولو كانوا آباءنا أو أبناءنا ، ونحب من أحبهم الله تعالي ولو كانوا غرباء فقراء بغضاء . والله الموفق لا غيره .

الدِّينُ إِيمانٌ وصِدْقُ طَوِيَّةٍ ... و عُلُوُّ نَفْسٍ عَنْ هَوًى وَدَنِيةٍ
وَ يَقِينُ حَقٍّ صَادِقٍ بِتَحَقُّقٍ ... بِالْحَقِّ فِي حَالٍ صَفَا أَوْ شِدَةٍ
ثِقَةٌ بِرَبِّكَ عَنْ شُهُودٍ خَالِصٍ ... وَ عَزِيمَةٌ فِي مَحْوِ كُلِّ ضَلاَلَةٍ
وَ تَوَجُّهٌ لِلهِ مِنْهُ بِهِ لَهُ ... في نصْرةٍ وَتَوَكُّلٍ بِعَزِيَمةٍ
الدِّينُ إِقْدَامُ عَلَي الْمَعْرُوفِ فِي ... مَرْضَاتِهِ بِظَوَاهِرٍ وسَرِيرَةٍ
حتَّي يُجَاهِدَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ بَلْ ... وَ يُجَاهِد الأَعْدَاءَ بَعْدَ طَهَارَةٍ
وَ يبَيِعَ لِلهِ النُّفُوسَ وَغَيْرَهَا ... مَحْواً لِكُلِّ غَوَايَةٍ وَضَلاَلَةٍ
فَإِذَا تَطَهَّرَ كُلُّ فَرْدٍ مُسْلِمٍ ... جُمِعَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ بِحِكْمَةٍ
و تَأَلَّفَتْ وِبَجمْعِهَا يَبْدُو الْهدَي ... وَ يَلُوحُ نُورُ الشَّرْعِ ﴿ يَهْدِي لِلَّتي ﴾ [2]
وَ يَسُودُ جَمْعُ الْمسلمِين وَفَرْدُهُمْ ... وَ يَذِلُ أَهْلُ الْكُفْرِ بَعْدَ مَعَزةٍ

**الخلاص بالإخلاص :**

تقدم الكلام علي تعريف الإخلاص وبيان معناه يمُثُلٍ محسوسة يعقلها العالمون في كتاب ﴿معارج المقرين ﴾ [2] ولما كان الإخلاص محله القلب الذي تنبعث منه الإرادة فالهمة فالعزيمة فالعمل ، كان عمل القلوب ولاشك هو الأول وعليه الإثابة والعقوبة ، ولا يظهر لعمل الجوارح كائنا ما كان . قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ أنَّ الله رَفَعَ عَنْ أُمَّتِي السَّهْوَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيه ﴾ [2] ولما كان الخلاص متوقفا علي معونة الله تعالي للمريد بالإخلاص ، ولا إخلاص إلا بعمل قلبي بدني ،ولا عمل إلا بعلم ، قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ النَّاسُ هَلْكَي إلاَّ الْعَالِمُونَ ، والْعَالِمُون هَلْكَي إلاَّ الْعَامِلُونَ،وَالعَامِلُونَ هَلْكَى إلاَّ الْمُخلِصُونَ ، والْمُخْلِصُونَ عَلَي خَطَرٍ عَظِيمٍ ﴾ فتصريف المواجيد القلبية وأسرارها بالأعضاء العاملة لا يكون إلا بعد علم بأصول الشريعة وفصولها ، مؤيد بنور الفقه من الله

تعالي ومعونة بتوفيقه سبحانه وتعالي ، حتي تتميز المواجيد وتقوي العزيمة علي عمل ما يوجبه الوقت مما هو خير في الحقيقة ونفس الأمر ، ويحبه الله تعالي ويرضي عن عامله ، وما لو تركه العاقل في وقته وعمل عملا آخر ولو كان واجبا – لكان آثما. مثال ذلك : لو أن رجلاًَ يصلي الفرض في آخر الوقت ورأي أعمي علي بئر يكاد يسقط فيه فأقبل علي صلاته وتركه لكان آثما عند الله تعالي . والواجب في مثل هذا أن يخرج من الصلاة بتأدية واجب الوقت . وفقيه القلب يكفيه قليل الحكمة . إذا تقرر هذا ، فليس لجاهل عمل مقبول لجلهة بحقيقة الإخلاص في العمل وعدم معرفته بواجب الوقت ، فقد يكون الواجب عليه شرعا السعي علي المعاش فيصرف الوقت في غير ذلك ، أو يكون الواجب عليه في الوقت نوع من أنواع العبادة المالية البدنية أو القلبية كالصلاة والحج والصيام والصلاح والذكر والفكر وتعليم علوم الدين ، فيستعمل الوقت في غير الواجب لجهله بحقيقة الإخلاص . وقد يكون المريد طاهر السريرة والنفس ولكنه جاهل بحقيقة الإخلاص فيسقط في أوحال التوحيد ، ويكون العمل الذي يجب أن يكون لله معمولا لغيره ويحسب أنه يحسن عملا وذلك لتهاونه بنصيحة أهل العلم العارفين بالله وتلقيه منهم ما لابد منه للمريد المخلص . وقد كان المسلمون في ماضي زمانهم لا تخلو مدينة من المدن من قائم لله بحجة ، بل كان أكثر الأمراء والقضاة والأئمة العلماء أنجم هدي ، حتي لو وقع الرجل منهم في شبهة أو مرضت نفسه يجد له مائة طبيب يستطب بهم كما تجد في زماننا من كثرة أطباء الأبدان .

**الإنسان في زماننا هذا يفوق الشيطان :**

أصبحنا في زمان إذا ارتكب الرجل كبيرة تأباها نفوس الحيوانات ويبرأ منها العقل ويوعد القرآن فاعلها بالنار ، ويعمل هذا العمل مجاهرا أمام الناس بكونه أَضَرَّ أخا له أو اكتشف عيوبه أو احتال حيلة في أذيته أو قطع عيشه ، أو سعي به إلي ذي سلطان أو اكتسب

من الميسر كذا ، أو شرب خمرا جيدا ، أو أفسد أمرأة علي زوجها مما لا يحصي . رأي جلساءه يثنون عليه ويفتخرون به في مجالسهم ، فيستحسنون عمله ويسارع كل منهم إلي أن ينال من منزلته من الشهرة .

انظر بعينك إلى ما يرونه مدنية وشرفا وحضارة وفخرا، تر ما يذهب المروءة ويمحق الفضيلة ويفسد الأخلاق الطاهرة وينجس النفوس الزكية ، حتي أصبح القبيح مألوفاحسنا ، والحسن مهجورا مسترذلا ، ذلك لأن الصغير يستحسن عمل الكبير ويألف عوائده فينشأ علي تعوده صغيرا ، ومن شب علي شئ شاب عليه . صار الهوي إماما متبعا حتي اكفهرت معاني الإنسانية وتبدلت بالصفات البهيمية . فكأن الصورة الإنسانية صارت هيكلا يحوي نَفْسًا بهيمية . بل قد يتبرأ الحيوان الأعجم مما عليه الإنسان ، ويقيم الحجة عليه بأنه إنما يرتكب الشدائد لسد ضرورياته ويعمل ما يعمل بغير روية وفكر . فالإنسان في زماننا هذا يفوق الشيطان ، لأن الشيطان يزين للناس مختفيا عن أعينهم ، وأشرار الناس يعملون القبيح ويجاهرون به ويفتخرون بوقوعه ويعظمون فاعله : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [2] .

**الإسلام دين الرقي والمدنية :**

أيها المسلم الذي أطعت هواك فعصيت ربك . غرك مال تكتسبه أو جاه تفرح به أو قرب من ذي سلطان يستعملك لأغراضه فتأثم لخير غيرك ، ثم إذا بلغ مراده أخزاك فصرت عدوا لجميع الناس ممقوتا من الله وخلقه . تهاونت بشعائر الله التى أمرك بتعظيمها لشهوة تفني وأمل كاذب . لا بالعقل اقتديت . ولا بالقرآن اهتديت . ولكنك غرتك الدنيا عن الآخرة فهويت في مهواة الخزيان وأُلبِسْتَ لباس الذل . تمسكك بالدين عزٌّ لك في الدنيا والآخرة . انظر كيف صار حالك . صرت ذليلا بعد العز . يحكمك من كنت تملك رقابهم وتراهم عبيدا تتجر فيهم. بل بلغ بك الجهل بفضيلة دينك إلى أن حَسَّنْتَ رذائلهم

ورأيتها فضائل ، حتي بلغ بك الذل أن حكموا فيك بغير كتاب ربك ، وجعلوك في وطنك وبلدك لست أهلا للإكرام ولا محلا لأن تحكم نفسك بنفسك . بعيشك كيف كان ذلك ؟ أأنت كما يرمونك به أيها المسلم من أن دينك ليس دين الرقي والمدنية ؟ أو أنك لست إنسانا بمعناه الحقيقي ؟ لا، وكذبوا ، بل سبب ذلك تركك وصايا ربك وسنة نبيك . أمرك ربك فقال تعالي : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ (2) ، وقال تعالي : ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (2) أوصاك سبحانه فقال تعالي : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (2) وقال سبحانه آمرا : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (2) وقال سبحانه : ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾ (2) .

و قال سبحانه : ﴿ لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (2) وقال تعالي : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (2) .

هذا بعض ما وصانا به،وأرمنا جلَّ جلاله بما يتعلق بمعاملة المسلم لغيره . ووصاياه سبحانه فيما يتعلق بالرحمة والعطف والود والصلة والبر والإحسان ومكارم الأخلاق وتعظيم شعائره سبحانه من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ومراقبة جل وعز، ودوام الفكرة في نعماه والمحافظة علي الإخلاص لذاته والخوف من عظمته ، والخذ بالعزائم من سنن نبيه ﴿ ρ وآله﴾ آيات لا تحصي عدًّا ، يدركها من ألقي السمع لكتاب الله تعالي وهو شهيد . حثك الله سبحانه وتعالي علي العمل في الدنيا للآخرة ، قال تعالي : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ (2) وقال تعالي : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ

فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [2] وقال تعالي : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [2] وقال تعالي : ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [2] .

و الحسنة أعم من أن تكون قولا أو اعتقادا أو صدقة أو عملا نافعا للمسلمين أو علما نافعا أو فنا من الفنون مفيدا ،أو إحياء صنعة من الصنائع الضرورية ، إذا قصد بذلك النفع ابتغاء مرضاة الله ، أو اختراع ما به قوة سلطان المسلمين وراحة أبدانهم وتيسير حوا ئجهم ، وقال تعالي : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [2] الآيات في العمل في الدنيا لطلب الله تعالي وطلب الآخرة لا تحصر في كتاب الله .

هذا ما أمرك الله تعالي به . أفمن كان يدين لله بأحكامه هذه بإخلاص وصدق بذل لغير الله ،

أو يري غيره ممن دينهم يامرهم بترك العمل في الدنيا وبالرهبانية أنهم يصيرون ملوكا عليه وهو ذليل بينهم ؟ .

**المجد الذي ناله السلف الصالح :**

ارجع أيها المسلم إلي تعظيم شعائر ربك ، والعمل بوصاياه سبحانه ، وتذكر المجد الذي ناله أسلافك وهم قليل عددهم ، مدقع فقرهم ، في جاهلية مظلمة ، فما أشرق عليهم نور الإسلام وسرت في قلوبهم روح الإيمان ، إلا وقاموا عمالا لله مقتدين برسول الله ﴿ ρ وآله﴾ . فما كان إلا برهة من الزمان حتي ظهرت الفضيلة قي جميع الأنحاء وانبعثت الأنوار علي جميع الأرجاء ، وساد العدل بين الناس ، وحصلت المساواة بين الخلق ، حتي صار المسلم أخا المسلم ، والكل عبيد الله ، إمامهم القرآن وهدي رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، فأصبحوا كأنهم شموس أشرقت فأزالت ظلمات الظلم والجور ، ونور علم انبعث فمحا الجهل وهزم ظلمات الأوهام فكأنهم كما قال الله تعالي : ﴿ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ

الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ [2] ملكوا الأرض شرقا وغربا وكأنهم ليسوا ملوكا . وذلك لأن الملك الحقيقي هو القرآن يرضون إذا رضي ويغضبون إذا غضب . إذا أمر أطاعوا وعملوا . وإذا نهي امتنعوا وتركوا . حتي كان الرجل منهم إذا أمره القرآن أن يقتل ابنه أو يخرج من ماله لفعل بسرور ورضاء . هذا بعض ما كانوا عليه ، وأكل إليك ما وصلوا إليه في الدنيا من الحضارة والمدنية الحقيقية المؤسسة علي الفضائل الكاملة ن والحضارة الفاضلة المشيدة علي العدل والمساواة والتعاطف والتراحم . كان الذمي يرفع شكواه من أمير ولايته إلى الخليفة – أي الإمام الأعظم – فيقتص للذمي من أميره ، كما يقتص من أمير لأمير مثله ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

أنتجت تلك النتيجة التى كان القصد من مقدماتها وجه الله تعالي وإحياء لكلمته تعالي ومرضاة له سبحانه ، ولا لسياسة يقصد بها إرضاء المحكومين من الأمم أو انتشار الشهرة فإنهم رضي الله تبارك وتعالي عنهم مبرءون من تلك المبادئ الفاسدة المؤسسة علي آراء أهل المدن الضالة والجاهلية . وبئست الأعمال ، أعمال ظاهرها خير يقصد بها غير الله تعالي ، ويراد بها استعباد الأمم بالقوة القاهرة ، بحالة ظاهرها الرحمة وباطنها سلب الحقوق والأموال والقوة والسلطة من أيدي المستعبدين . أنتجت تلك الأعمال المؤسسة علي قواعد القرآن المجيد وقصد وجه الله الكريم وإحياء سنة نبيه ﴿ ρ وآله﴾ أن أكثر المخالفين من النصاري واليهود والمجوس سارعوا إلى الإسلام ، واعتنقوه بسرور ويقين كامل ، واعتقاد انه الحق ، وقاموا لخدمته بعد أن تركوا لغتهم ودينهم وعوائدهم بغضا لكل ذلك ، وحبا فى لغة القرآن وسنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ فأتقنوا اللغة العربية وخدموا القرآن بالتفاسير الجميلة ، وبحثوا عن أحكام الدين وبينوها ، وبينوا غرائب أسرار القرآن وأسرار فصاحته وبلاغته . ولو نظرالعاقل إلى ما ألف من الكتب في فنون الفصاحة والبلاغة والتفسير وعلوم حكم القرآن وغير ذلك ، لرأى أكثر ذلك منسوبا إلى غير العرب لم يكن

هذا لسياسة عمياء يريدون بها التقرب إلى الأمراء والوزراء . لا ، ولكن باشر اليقين الحق قلوبهم فانعقدت علي محبة القرآن ومحبة السنة ومحبة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ وأن كان بعض الأعاجم بلغ به الحب في سبيل رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ وفي عترته الشريفة إلي أن تغالوا في تعظيمهم ، فذلك لما عاينته أبصارهم وفقهته قلوبهم من أخلاق فاضلة . وأسرار غالية وعلوم عالية .

**قوم يحبهم ويحبونه :**

هكذا يكون تجدد هذا المجد وإعادة هذا الشرف بالعمل بالسنة والكتاب ، ومجاهدة النفس والحظ والهوي ابتغاء مرضاة الله تعالي .

علي أني لا أقنط من روح الله تعالي، ولا أزال علي يقين أن الله تعالي يأتى بقوم يحبهم ويحبونه ، يجدد بهم سننه ، ويحيي بهم معالم القرآن ومناهجه . يزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة ويمنحهم الإخلاص لذات الله في القول والعمل والحال والعقيدة ، حتي تزول تلك السحب الظلمانية عن شموس القرآن العلية ، وترتفع ستائر الحظوظ والأهواء والطمع والغرور عن قلوب المسلمين . والله سبحانه وتعالي بشر بذلك في كتابه المجيد بقوله سبحانه﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [2] وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

**جمال القرآن وأسراره :**

مما يدلك علي جمال القرآن الذي إذا تجلي للأرواح تألهت بحبه ، وشاهدت من كنوزه الخفية وأسراره الغامضة ما لايحصر من الحكم والعلوم جميعها ، ما تراه قام به علماء الإسلام غير العرب من الروم وبلاد العجم .

فقد دَّونوا رضي الله عنهم في أسرار القرآن ؛ مما يتعلق بإعجازه وبلاغته وفصاحته ، وكشف ما فيه من أسرار علوم الطب

والحكمـة والفنـون والقـوانين التـى أنزلهـا الله تعـالي لعمـارة الكـون وسـعادة العبـاد ، وشـرح أسـرار مـا أودع فـي الكائنـات مـن الخـواص والآيات والآثار ، وما جاري به العقل من البراهين القائمة علي حقيقة التوحيد وجميل الأخلاق ، وتزكية النفوس وأسرار تكميلها حتـي تبلـغ من الكمالات أن يكون الإنسان في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ومـا فـوق ذلـك مـن الأسـرار الغيبيـة المتعلقـة بمعـاني الصـفات الإلهيـة والأسرار الربانية ، مما ينطلق به إلا مشاهد لأسرار الملكوت الأعلي ، عالم بغوامض أسرار الحكمة ، مطلـع علـي مراتـب الوجـود، عـالم بالنسب التى بين تلك المراتب من العلوم والفهوم التى لم يتكلم بهـا إلا نبي مرسل أو صِدِّيقُ لرسول من أولي العزم. ولم يختص بهذا الفضل مسلم دون مسلم بل عمَّ ذلك ، فتري علمـاء بخـاري وخوقنـد وسـمرقند ونيسابور وعلماء العراقين وأفغانسـتان والهنـد وعلمـاء الشـام والـروم والأنـدلس ومصـر والمغـرب ممـن لا يحصـي عـددهم ـ قـد قـاموا فاسـتنبطوا جميـع العلـوم مـن القـرآن ،وخـدموا القـرآن الكـريم بجميـع العلـوم ، فكانـت العلـوم منـه مـأخوذه ، وكانـت العلـوم وسـيلة لإدراكـه وفهمه .

لـم تخـتص تلـك الأنـوار والأسـرار للعـرب دون العجـم ، لأن القرآن انزله الله للناس كافة فكانت بشاشته تباشر القلوب فتطمئن بها ، والنفس فتتألَّه لها فتنطلق الألسن بالحكمة العالية . وقد استقبل جماعـة المسلمين كتـب العلمـاء مـن غيـر العـرب برضـاء تـام واستحسـان تـام وقبـول وإقبـال . وكـان العلمـاء يكـدون لنـوال أرزاقهـم ، ويفـرون مـن الشهرة من معرفة الأمراء والولاة ، ابتغاء مرضاة الله وخدمة للصالح العام . ولن يزال هذا النور ساريا ، وتلك الشموس مشرقة . ولـو أن الملائكـة والعلمـاء العـاملين اجتمعـوا جميعـا لكشـف غـوامض أسـرار القرآن لما كوشفوا منـه إلا بقـدر مـا تـأخذ العصـفورة مـن المحـيط ومـا يعلم تأويله إلا الله تعالي .

## الفصــل الثـالث
## اليقظة من نوم الغفلة ورقدة الجهالة

قــال ﴿ ρ وآلــه﴾ : ﴿ إنَّ الْقُلُــوبَ لَتَصـْـدأُ كَمَــا يَصـْـدأُ الْحَدِيــدُ وَجَلاؤُهَا ذِكْرُ اللهِ تَعَالِيَ ﴾ وقال سبحانه وتعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّـاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَـاةُ الدُّنْيَا ﴾ (2) من هذا الحديث الشريف نفهم أن نوم الغفلة هو صدأ القلب بالغفلة عن ذكر الله ونعلم من الآية الشريفة أن رقدة الجهالة من الغرور بالحياة الدنيا ، وبإطاعة شيطان الحظ والهوي والشح والإعجاب بالرأي.

**المراد من الذكر وأنواعه :**

لما كان ذكر الله تعالي جلاء القلوب من الصدأ ، لزم أن نبين المراد من الذكر هنا بيانا يشرح للمطالع حقيقته . معلوم أن الغفلة عن الشئ لا تكون إلا بالاشتغال بغيره، والغرور بالشئ لا يكون إلا بحبه وعلم أنه خير وسعادة ولذة حتي يجنح ويميل عن غيره متساهلا . فإذا حصل هذا فإنما يكون الجهل بحقيقة ما رغب فيه وما رغب عنه . إذ مَن رغب في الفاني وَجدَّ في طلبه تاركا الخير الباقي الحقيقي نحكم عليه بالجهل والحمق. ونبين له ضرر ما رغب فيه وخير ما رغب عنه ، ليتحقق خطأه ويعلم ضلاله ، فيتوب ويرجع إلى الصراط المستقيم ، ويندم علي ما فرط في جانب الحق . فإذا نبه من نومه غفلته وأوقظ من رقدة جهالته ولم ينتبه ، علمنا أنه شَقِيٌّ لا حظ له في السعادة الإنسانية ، ولا قسط له من الخيرات الحقيقية، إلا أنه يجب علينا أن نعالجه بالأدوية المفيدة من الحكمة والموعظة الحسنة ، حرصا علي نجاته بالهداية واتباع سبيل المؤمنين . ويكون بتعليم وكشف مبدئه ومعاده ، وبيان نعم الله عليه ، وتذكيره بعاقبة البغي

والجهالة ، وإظهار ما في نفسه وما في آفاقه من غرائب قدرة الله وعجائب حكمته سبحانه . كل ذلك مع إدخال البشائر عليه والمسرات ليحسن الإصغاء فلا ينفر ولا ينزعج . حتي إذا قام المرشد بهذا العمل ولم ينجح في هذا الإنسان يكون الداعي قام بالواجب عليه حق القيام .

فيظهر من هذا أن ذكر الله تعالي محصور في نوعين : تذكير بالله في البداية حتي يعلم المريد قدر منن الله عليه ، ويذوق حلاوة نعمه سبحانه ، ويعترف نفسه وما فيها من الآيات ، حتي تُنكشف له الآيات ويسكن إلى الله سبحانه . وهذه هي الرتبة الأولي للذكر . ثم يكون الذكر في الرتبة الثانية وهو قسمان . الأول : ذكر القلب خاصة والثاني : ما يشترك فيه القلب مع الجوارح .

**ذكر القلب :**
قال تعالي : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [2] إشارة إلى ذكر القلب : ﴿ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾ [2] إشارة إلى ذكر الجوارح ، لأن الظاهر عنوان الباطن ن وتارك الشكر بأعمال الجوارح كالكافر لنومة قلبه بالجهالة ورقدته بالغفلة عن مراقبة القادر الحكيم . وإنما تذكر الجوارح بالمحافظة علي شعائر الله ، إذا علم القلب العلم الحقيقي الذي تكون به الخشية من جلال الله تعالي ، قال الله تعالي : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ [2] والخشية عمل من أعمال القلوب خزانته القلب . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : يقول الله تعالي : ﴿ مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُه أفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائلينَ ) [2] وشرح ذلك والله أعلم ، أن السائلين الذين يثنون عليهم الله تعالي بأنه – جل ذكره- يعطيهم الفضل إنما يسألونه فضله ورضوانه ، وليس شئ أفضل من الفضل والرضوان إلا المتفضل بهما سبحانه . فمقام الذكر هو هنا أرفع المقامات ولا يكون ذلك إلا بالقلب ، فإنه قوله ﴿ ρ وآله﴾ في الحديث : ﴿ شغله ذكري ) أي شغل قلبه ، لأنا نري كثيرا من الذاكرين

بجوارحهم فلوبهم مشغولة بغير معاني المذكور فهم – مع ذكرهم بالجوارح – مشغولون عن الله تعالي .

تِلْكَ الْمَظَاهِرُ والشُّؤونُ مَرَائِي ... فِيها تَلُوحِ لِمَنْ صَفَوْا أَسْمَائِي
فَالْعَارِفُونَ يَرَوْنَ سِرَّ تَنَزُلِي ... وَ الْجَاهِلُونَ مُرَادُهُم آلائِي
أَنَا ظَاهِرٌ لأُولِي الْقُلُوبِ مُشَاهَدٌ ... لِأُولِي الصَّفَا مِنْ صَفْوَةِ الأُمَنَاءِ
أَنِسُوا بِأَنْوِارِه فَطَابُوا وَارتَقَوْا ... عَنْ ظُلْمَةِ الأَكْوَانِ وَالأَهْوَاءِ
نَظَرُ لِوَجْهِي بَعْدَ نَيْل رِضَائِي
فَهُمُو مَعِي بِقُلُوبِهِمْ وَمُرَادُهُمْ ... فَمَنَحْتُهُم مِنِّي جَميلَ عَطَائِي
لَمْ يَشْهَدُوا غَيْرِي مُرِيداً خَالِقاً ... شَمْسُ التَّجلِّي فِي سَمَا الأَرْجَاءِ
فَرِحوا بِفَضْلِي فَانْجَلَتْ لِقُلُوبِهِمِ ... بَعْدَ الشَّرَابِ بِصِحَّةِ الأَنْبَاءِ
شَرِبَوا مُدَامَ مَحبَّتي فَتَحَقَّقُوا ... غَابُوا بِحُبِّي لاَ يَرَوْنَ سِوَائِي
طَابُوا بِهَا وَعَنِ الْوُجُودِ بِأَسْرِه ... فَأَنَا وَلِيُّهُمُ بِسِرِّ قَضَائِي
شُغلُوا بِذَاتِي عَنْ شُؤونِ تَنَزُّلِي ... وَ تَبَتُّل وَتَضَرُع بِفَنَائِي
مَا بَيْنَ شُكر لِي وَذِكْر خَالِصٍ ... فَأَبَحْتُهُمْ رُؤْيَا جَمَالِ بَهَائِي
عَكَفُوا عَلَي ذَاتِي بِنُورِ قُلُوبِهِمْ ... وَ أَنَا الْقَرِيبُ لَهُمْ بعزٍّ خَفَائِي
فهُمُ العَبِيدُ سُرُورُهُمْ بِيَ دَائِما ... فَهُمُو شُمُوسُ أَشْرَقَتْ بِسَمَائِي
طَرِبُوا بِراحِ مُدَامَتِي وَمَحَّبتِي ... وَ عَنِ الْبَقَاءِ بِصُحْبَةِ الأُمَنَاءِ
لَمْ يُلْهِهِمْ كَوْنُ أَلْفَنَاءِ عَنِ الصَّفَا ... وَ نُفُوسُهُمْ تَاقَتْ إِلَي الْعَلْيَاءِ
فَقُلُوبُهُمْ عَمُرَتْ بِنُورِ مَكَانَتِي ... حَتَّي بِهِ وَصَلُوا بِكُلِّ هَنَائِي
نَهَجُوا عَلَي سُنَنِ الْحَبِيبِ مُحَمَدٍ ... أَبداً عَلَي شَمْسِ الْهُدَيِ وَضِيَائِي
يَارَبِّ صَلِّ مُسَلِّماً وَمُبَارِكاً ... وَ تَولّنَا بِالنُّورِ والآلآءِ
و الآلِ وَالأَصْحَابِ وامْنَحْنَا الِّرضَا

إذا تقرر هذا فذكر القلب هو العلم بآيات الله تعالي المشرقة أنوارها في الأنفس والآفاق ، ثم بأسرار القدرة والحكمة ، ثم مشاهدة حقيقة الآيات عن قادر حكيم . ثم شروق أنوار معاني الصفات لبيان حقيقة النفس للمشاهد وانكشاف مراتب الوجود وتميز المكانتين :

مكانة واجب الوجود وممكن الوجود . وظهور النسب الحقيقي بين العبد وربه ظهورا يتحقق به العبد بكمالات منزلته من الفقر والاضطرار والعدم وغيرها ، ويتيقن بكمال ولاية الله ورأفته ورحمته حتي يذوق لذة أنه سبحانه أولي به من نفسه ، فتمتزج الرهبة بالرغبة ، والخشية بالرجاء والخوف بالطمع ، والعظمة بالمحبة . عند ذلك يكون الحق أقرب للعبد من حبل الوريد . وليس شئ هو أقرب للإنسان من حبل وريده إلا قلبه الذي هو منبه حياته وقوام حواسه وخزانة ذخائرة وكنز تحفه . وهو مقام يكون القلب فيه بيت الحق لاحيطة وإدراكا ولا علماً للحقيقة والكنه و لكن بعلم يتحقق به أنه سبحانه القادر الحكيم المبدع المصور المعطي الوهاب القريب المجيب إلى آخر الأسماء والصفات ، علماً جعله يحب الله تعالي ويخشاه سبحانه ، فلا يغيب ولا يغفل ، ومتي كملت مشاهد القلب والقلب سطان الجوارح . قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ أَلاَ وإنَّ فِي الْجَسَدِ لَمُضْغَةٌ إذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُهُ ألاَ وَهيَ الْقَلبُ ألاَ وهي القلبُ﴾ [2] ومعني هذا الحديث الشريف أن القلب إذا صلح صلحت الجوارح لأن تقوم بما أوجبه الله تعالي عليها ورغبها فيه ، قياماً يكون فيه رضوان الله ومحبته .

يا قَلْبُ حَالُ الصَّفَا تَبْدُو مَعَانِيه    تَكُونُ عَرْشَ اسْتِوَاءٍ عَنْ تَجَلِّيهِ
تَكُونُ يَا قَلْبُ مَعْمُوراً وَمُبْتَهِجاً    بِمَا تَنَزَّلَ نُورًا مِنْ أَيادِيهِ
يَدُومُ أنْسُكَ بِالْمَحْبُوبِ إنْ ظَهَرَتْ    شَمْسُ اْلمِثَالِ بِرَمْزٍ عَنْ مَجَاليهِ
يَا قَلْبُ يَا بَيْتَهُ الأَعْلَي وَصُورَتَهُ    تَقَلَباً فِي الْمَعَانِي لاَ مَبَانِيه
أَنْتَ الْمُحِيطُ بِأَنْوَارٍ مُقَدَّسَةٍ    قَدْ ضَاقَ عَنْهَا مُحِيطُ الْكَوْنِ عَالِيهِ
وَ سِعْتَ شَمْسَ الْمَجَالِي عَنْ تَنَزُلِهَا    وَ الْعَرْشُ قَدُ ضَاقَ عَنْهَا ذُقْ مَبَادِيهِ

**مراتب ذكر القلب :**

و للقلب مراتب في الذكر ، فأول مرتبة من مراتب ذكره بعد العلم المتقدم : مقام التوبة وهو مقام عليٌّ تُنَاولُ به محبة الله تعالي .

قال سبحانه وتعالي : ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ [2] . وقد شرحنا مقام التوبة في كتاب : ﴿ أصول الوصول ﴾ شرحا بين مجمل مسائله ، فليراجعه من أحب أن يتجمل بهذا المقام .

الرتبة الثانية من مراتب ذكر القلب : مقام المحبة ، فالخشية ، فالخوف ، فالطمع والرجاء ، فالصدق ، فالإخلاص ، فالتوكل ، فالتفويض ، فحق اليقين بالتوحيد . فمراتب الكمال لذكر القلب تقدم الإشارة إليها رمزا في المواجيد التظيمة ، إذ حقائق التوحيد لا تسطر في الأوراق ولا تسعها العبارة . ولذلك كان بيانها من اللسان للأذن للقلب بالإشارة ورسمها في الكتب بالرمز صونا لسر الحق جلت قدرته من أن تتناوله الأنفس اللقسة ، فوضع بالرموز والكنايات والإشارات ليذوق منه الواجد علي قدر مقامه من الذكر وهذه مقامات ذكر القلب وقد شرحنا جملا منها في كتاب : ﴿ أصول الوصول ﴾ وكتاب : ﴿ معارج المقربين﴾ وكتاب : ﴿ مذكرة المرشدين ﴾ وفصلنا بعض ما أجمل منها في كتاب : ﴿ شراب الأرواح ﴾ فراجعها عن احتياجك لتزن حالك وتعلم مقامك والله ولي المؤمنين .

**إشارة إلي أسرار القلوب :**

وإليك ما يمكن وضعه في مثل هذا المختصر من الأبيات التى تشير إلي أسرار القلوب من غير خفاء ولا رموز :

أَيُهَا القَلبُ بِالجَمَالِ العَلِيِّ — فأَنَساً لاَ بِزَهَرَةِ وَدَنِيِّ
يَافُؤَادِي وَأَنْتَ بَيْتُ عُلاهُ — عَرْشُ أَنْوَارِهِ بِمَعْنيً جَلِيِّ
وَاجهَنْ نُورَهُ بِهِ وَ تَنَعَّمْ — بِجَمَالِ مُقَدَّسٍ أَزَلِيِّ
وَ مِنَ الأُفْقِ أُفْقِ جَهْلِ وَظلُمٍ — فَتَجَرَّدْ لأُفْقِ أَعْلَي أُخَيِيِّ
أَيُّها الرُّوحُ بَعْدَ صَفْوِي وَقُرْبِى — فَاكْشِفِ الْحُجْبَ عَنْ جَمَالٍ خَفِيِّ
سَالِمي هَيكَلِي وَكونِي سِرَاجاً — فِي سَبيلِي وَمُؤْنِساً فِي رُقِيِّ
نَاوِليهِ بِقَدْرِه الرَّاحَ حَتيَّ — يَتَهَنَّي فِي حِصْنِه الشَّرْعِيِّ
وَ لَدَي الْحَالِ لاَحِظيه بِرِفْقٍ — كيْ يَنَالَ الْبُشْرَي بِمَعْنَي الْوَفيِّ
أَيُهَا الرُّوحُ أَنْتِ مَلَكٌ كَرِيمٌ — وَ الْمَبَانِي مِنْ عُنْصُرٍ آدَمِيِّ
رُكِّبَتْ مِنْ عَنَاصِرَ وَاسْتَعَّدتْ — لِلْمَقَام الدَّنِيِّ أَوْ لِلْعَلِيِّ
هِيَ بَيْتُ إِمَّا لإِبْلِيسَ مَأْوِيً — أَوْلِنُورٍ مُنَزَّهٍ وَاحِدِيِّ
إِنْ تَزَكَّتْ مْنْ حَظِّهَا وَهَوَاهَا — فَهِيَ كَالْعَرْشِ لِاسْتِوْاء الْوَلِيِّ

* * *

إِنْ أَضَاءَتْ لِلرُّوحِ شَمْسُ التَّجَلِّي — أَشْهَدُ الْوَجْهَ حَيْثُ كُنْتُ أَوَلِّي
هِيَ شَمْسُ إِنْ أَشْرَقَتْ لِفُؤَاد — صَارَ بَيْتاً مُجَمَّلاً لِمُصَلِّيِّ
شَمْسُ قُدْسٍ تَلُوُحُ فِي حَالِ صَفْوٍ — لِمُرَادٍ صَفَا بِسِرِّ التَّخلِّي
أُفقُهَا اْلقَلْبُ إِنْ أَضَاءَتْ تَرَاءَي — أَنَّ ذَا الْقَلْبَ عَرْشُ مَجْدٍ وَوَصلٍ
يَتَحَلي نَاسوتُهُ بِجَمَالٍ — وَ هُوَ لوحٌ لآيِ نُور وقول
آهِ لَوْ أَنَّهَا تَرَاءَتْ لعَيْنٍ — شهدت نور مبدع متجلي
لاَ تَرَاهَا إلاَّ قُلُوبُ تَحَلَّتْ — و تخلت عن مقتضي كل سفلي
أَيُهَا القَلْبُ بَعْدَ أَنْ صِرْتَ عَرْشاً — لظهور المعني وسر التجلي
هَلْ تَفِيضُ اْلأَنْوارُ حَتيَّ أُهَنَّي — بشهود المراد من غير ظل

* * *

| | |
|---|---|
| الْقَلـبُ فِـي بَهْجَـةٍ بِجَمَـالِ رُؤْيَتِـهِ | وَ الـروح سـكري بكشـف جميـل طلعتـــــــــــــــــهِ |
| وَ العَيْنُ فِي لَهْفَـةٍ تَشْتَاقُ تَشْـهَدُ مَـا | ۚبَـه فـؤادي فـي أنـس ببهجتـهِ |
| وَ الـنَّفْسُ مَـا بَـيْنَ قَلْبِـيٍ بَـلْ وَبَاصـــــــــــــــرِتي | تَألهـت لمعـان مـن حقيقتــهِ |
| فِيهَـا أَضَـاءَتْ وَلَكِنْ سُتِّرَتْ بِسَنَـا | أنـوار غيـب بمعنـي سر صـورتهِ |
| تُـرَي الزُجَاجَـةُ والْمِشْـكَاةُ وَهِـيَ عَلَـــــــــــــــي | غَرامهـا فـي اصـطلام فـي معيتـهِ |
| إنْ شَـاهَدَتْ أيَ مَعْنَـاهُ مُنَـزَّهَةً | تاَقت إلى الغيب في ولـه لحيطتـهِ |
| و إِنْ مَحَـا نُـورُه الأَعْلَـي مَعَالِمَهَـا | حَنت إلى مظهر عن نـون نسبتهِ |
| وإِنْ تَجَلَّـتْ مَعَـانِي سِـرٍّ وِحْدَتِــهِ | تُنبـي بعظموتـه وعجيـب حكمتـهِ |
| ۚتَتَيَّمَـتْ بِشُـهُودِ ألآيِ وَاجِـدَةً | وَجـد المؤلـه مـن آيـات قدرتـهِ |
| مَـا بَـيْنَ نَفْسِـي وَرُوحِـي بَـلْ وَبَاصِـــــــــــرَتِي | كَـالثلج والنـار قد جمعهـا برحمتـهِ |
| لِلـرُّوحِ مَجْلَـي كَمَـال فِـي نَزَاهَتِـهِ | وَالقلب كشـف التجلـي عين بغيتـهِ |
| وَ عْينُ رَأسِـيَ سِـرُّ الآيِ مَطْلَبُهَـا | وَ الآي قـد سـترت بجمـال عزتـهِ |
| صِـرْتُ الْمؤلَّمـهَ لاَ أَنْفَكُّ مِـنْ وَلَـهٍ | نَفسي وروحي وعيني بعد رؤيتـهِ |
| لاَ يَنْتَهِـي وَلَهِـي أَبَداً وَقَدْ جُمِعَتْ | كمـا علمـت معـاليمي بحكمتـهِ |
| عَنَاصِرِي هِيَ اَرِكَـانُ الْوُجُودِ إِذَا | فقهتهـا سـكنت نفسـي لحضـرتهِ |
| عَجِيـبُ قُدْرتِـهِ وَغَرِيـبُ حِكْمَتِـهِ | و جلـي آياتـه وعمـيم نعمتـهِ |
| قَدْ حَيَّرَتْ أَنْفساً طَهُرَتْ لَطَائِفُهَا | و أوقفـت كـل عقـل عنـد رتبتـهِ |

**الذكر الذي يشترك فيه القلب مع الجوارح :**

هو الذكر العملي الذي يسمي شكرا ، قال تعالي : ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (2) فعمل الجوارح ذكر وشكر في آن واحد كما قال الله تعالي : ﴿ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (2) فجميع الجوارح تشترك في عمل الذكر ، ولا يكون هذا العمل عملاً شرعيا معتبرا إلا إذا كان صادرا عن القلب بحسن نية وإخلاص وجهة ، ويقين حق عن شهود أو علم ،

حتي تكون المواجيد القلبية والإرادة والعزيمة لذات الله في مقام حق اليقين، أو لنوال الفضل والرضا في رتبة عين اليقين ، أو خوف من جلاله وعقوبته في منـزلة علم اليقين ، وتكون أعمال الجوارح بعد هذا التحقيق علي طريقة سنية ، واقتداء بالأئمة الهداة الراشدين المرشدين ، مع ملاحظة مقتضي كل نفس عند أهل التمكين ، وكل وقت عند أهل التلوين ، وكل يوم عند السالكين ، حيث تكون الأنفاس عند أهل التمكين في مشاهدة ومراقبة . والساعات عند أهل التلوين في خوف ورجاء وحيرة وأحوال، والأيام عند السالكين في توبة واستغفار ، قياما بالتكاليف ، وطلبا في التعرف والفوز بالخير الأبدي الذي هو خير في منـزلتهم .

هذا هو الذكر الذي يشترك فيه القلب مع الجوارح .

إذا لاح من قلبي ضياء بصيرتي ... تنور ناسوتي بانوار شرعتي

ولاحت له انوار غيب مصونة ... تعالت عن التشبيه أو عن إشارة

و ذاق من العين العلية راحها ... شرابا صفا من حضرة واحدية

و في الواد : وادي القدس يرتع سـابحا ... يشاهد أنوار العلوم الجلية

و يشرب من حوض الشهود سـلافة ... مداما صفا يعطي لأهل المعية

لديها يلوح النور من ظاهر الي ... عوالم أرجاء الفؤاد الخفية

فإذا لم تصدر أعمال الجوارح عن مواجيد القلب فذاك عناء وغفلة ، وإن صدرت أعمال الجوارح عن قلب يقصد غير رضوان الله وفضله وغير ثوابه والنجاة من عقابه ، بأن صدرت عن القلب لشهرة وسمعة أو لعلو في الأرض ورياء أو لطلب دنيا فانية فذاك النفاق بعينه نعوذ بالله منه . والنفاق هو أن تكون العلانية علانية الصديقين ، والسريرة سريرة الشياطين ، والمغرور الذين يطلبون الدنيا بعمل الآخرة ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ [2] فما من عمل من أعمال الجوارح

إلا و هو يتعلق به عدة أحكام شرعية في كل مرتبة من مراتب الرجال. منها ما يختص بالقلب و هو من أعمال القلوب ، كأن يلاحظ العامل القادر الذي منحه القدرة علي الحركة ، وخلق له الأعضاء التى تتحرك ، والمكان الذي يتحرك فيه ، وأمده بالنسيم الذي يتنفس منه ، والنور الذي يري به الأشياء فيتحرك إليها ، والعضو الذي يبصر به الشئ الذي تحرك إليه ، ويشاهد الحكيم – سبحانه – الذي منحه العقل يدرك به النافع فيتحرك إليه والضار فيجتنبه ، يدرك به خواص الأشياء وفوائدها فيستعملها فيما لابد منه وأكمل ، فيكون بقلبه مشاهدا لربه حاضرا معه، ويستحضر القلب في هذا الوقت حكم الشرع في تلك الحركة واجبة هي أو مندوب إليها أم مباح عملها أم منهي عنها ، فيكون عاملاً بسنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ .

**ما يلزم للمريد في أعمال الجوارح :**

هذا ما يتعلق بالقلب مما لابد منه للمريد السالك حتي يتجمل بحقيقة علم التوحيد ، فإذا قصر عن هذا فهو غافل القلب بعيد عن الرب محجوب عن مشاهد المقربين والأبرار . أما ما يتعلق بالجوارح فيلزم أن يلاحظ في كل عمل من أكل وشرب ونوم وتعظيم وبيع وشراء وحرفة وصلاة وصيام وزكاة وحج وزواج وختان ومجالسة ومعاشرة وجيرة ، وغير ذلك من جميع الأعمال كيف كان يعمل ذلك رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، ثم يقتدي في ذلك بأئمة الهدي فلا يعمل عملا إلا بعد العلم اليقين أنه مطابق لسنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ وعمل السلف الصالح ؛ حتي يكون علي طريقة سُنِّيةٍ وحالة سنية ، فإذا كملت مواجيد قلبه وعمل بجوارحة علي غير الطريقة السنية متساعلا بتعاليم سنته ، والتلقي عن العلماء حبا في العمل وجهلا بقدر العلم واهله ، فذاك قد يمن الله عليه لكمال إخلاصه بمحبة العلم والعلماء حتي ينتقل إلي السير علي المنهج الحق . وإن ترك التعلم لجهلة بقدر نفسه فذلك مبتدع ، وربما ابتلي بمرض الكبر و العياذ بالله فأنساه

الغرور ذكر الله ، قال الله تعالي : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ (2) .

**الأعمال المشتركة بين القلب والجوارح :**

محصورة في أعمال بدنية خاصة . أو مالية خاصة . أو بدنية مالية . أما الأعمال البدنية فالصوم والصلاة وذكر الله القلبي فكرا واستحضارا ويقينا ورغبة ورهبة وتعظيما وخشية وخوفا وطمعا وحبا ، وغير ذلك من مقامات اليقين ، والجهاد في سبيل الله بالنفس للمعدم ، ومعاونة المسلمين بغير المال : كالعيادة وتشييع الجنائز وإماطة الأذي عن الطريق وقيادة الأعمي والمساعدة بالجاه ورد غيبة المسلم ، وكطلب العلم وتعليمه ، وحفظ القرآن المجيد، والصلح بين الناس ، وكغض البصر عن العورات ، والبشاشة وحسن الإصغاء والمخاطبة وحمل أحوال الإخوان علي أجملها ، والإحسان إلي المسئ بالقول الحسن ، والعفو وكظم الغيظ والصبر عند لزومه ، وحب المسلمين ، وبغض أعمالهم المخالفة للسنة بغضا يجعله يكره العمل ويكره أن يقع فيه وينفر منه وتنزعج نفسه من رؤيته أمامه ولو كان العمل ملائما للطبع ولذة عاجلة أو خيراً فانيا من حظ أو شهرة أو سيادة أو مال أو أصدقاء ما دام هذا العمل منهياً عنه شرعا ، فيكون لبعضه فيه متمثلا قبح صورته ، ومستحضرا عاقبته ومشاهدا عقوبته ، وعالماً انه رزيلة لأن الشارع سبحانه وتعالي حرمه ، ويبغض الكافر ، وينفر منه بقلبه وجوارحه . اللهم إلا أن يتقي منهم تقاة، فالمداراة أسلم ، وليحذر ذات الله من أن توقعه الملابسة والمجالسة في المجانسة ، فيبوء بسخط الله وغضبه ، نعوذ بالله من ذلك ، وليستحضر قوله تعالي : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {26} تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (2) .

استحضارا يعلم به سبل النجاة من السقوط فيما يسلب الإيمان من القلوب ولو كانت الأبدان عاملة بالطاعات قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إن الله لا ينظر إلي صوركم ولا إلي أموالكم ، ولكن ينظر إلي قلوبكم وإلي أعمالكم ﴾ [2] والمداراة إما طمعا في تأليف للدين أو دفعا لمضرة لا قبل له بها ، وليس هذا بالدعوي فإن علام الغيوب لا تخفي عليه خافية .

و من الأعمال البدنية النظافة لله ، وتحسين الهيئة تحدثا بنعمته ، وتعلم حرفة أو صنعة أو عمل يعمله ليستغني عن سؤال الناس بالله تعالي ، ومنها تعلم السباحة والرماية والكتابة وتدبير النفس والمنزل حتي يكون عضوا عاملا في الجسد الإسلامي ، مقتديا بالسلف الصالح وإما ما لمن بعده، والأعمال البدنية الخاصة بالبدن لا تخفي علي بصير ، خصوصا أعمال الفطرة كإعفاء اللحية وحف الشارب وقص شعر الرأس ونتف الإبط وقلم الأظفار وحلق العانة والختان والخفاض ونظافة الجسم وغير ذلك ، مع النية بأن هذا العمل لله تعالي اقتداء بسنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ حتي يتشبه به صلوات الله وسلامه عليه بقدر الإستطاعة.

**الأعمال التي يحتاج فيها الفرد إلي الاشتراك مع غيره**

**في المجتمع المنزلي :**

إما أن تكون في المجتمع المنزلي كمعاملة والديه وأخواته وإخوانه وزوجته واولاده ومواليه ، وهذا المجتمع الصغير هو الكبير في حقيقة الأمر ، وأحوج إلي الحكمة والتدبير مع كل مجتمع واحق بالمحافظة عليه والعناية به والحرص علي أن يكون منظما تنظيما يضمن رغد العيش وطيب الحياة ودوام الراحة وإسباغ النعمة . والحكيم الحقيقي من أمكنه أن يدبر منزله تدبيرا حقيقا ، فإن المنزل هو الأم وأس المجتمع وسبيل سعادة الأفراد والجماعة ، ومن أمكنه

حسن نظام منزله امكنه أن يكون إمام لأكبر مجتمع . فإن تدبير المنزل به تربية رجال عاملين لخير المجتمع ، ونساء عاملات لسعادته ، ومتي أهمل تدبير المنزل ساءت حالة الأمة وشب الأبناء علي الأهمال والإسراف في الوقت وفي المال والعرض ، وتولدت الضغائن في قلوب الأهل والأقارب ، وجهلوا قدر التعاون وقدر حقوق النسب وصلة الرحم ، وغفلوا عن معرفة قدر المجتمع المنزلى مع شهود فوائده حسا ، وتحقق كل فرد باحتياجه الشديد لمعاونة الآخر المعاونة التى لا يمكنه أن يعيش بدونها ، الأمر الذي يكفي أن يكون داعيا لتوثيق روابط المحبة وتبادل أسباب الألفة ، والإخاء ، وتربية النفس علي حب الأهل وبذل المال والجاه لاستجلاب مودتهم وألفتهم ، لأنهم هم الأعضاء المتممة لجسمه ولغيره بل لجميع ضرورياته . فإذا نمت تلك المحبة الطيبة لنمو الجسم ، وسرت تلك الفضيلة في أفراد العائلة بل في أعضاء الجسد الممثل لعائلة ، كان كل فرد كعضو نافع لجميع الجسد بقدر صحته وعافيته بحيث لا يستغني عنه . ويكون للجسم من القوة والراحة والسعادة بقدر ما يكون للجسد من المنفعة بأكمله أعضائه ، فيكون الأخ الشقيق أو لأم أو لأب في المنزلة الواحدة كاليمني بالنسبة لليسري ، أو كالعين بالنسبة لأختها ، ويكون الأخ كاملا بالنسبة للوالد فيكون الأبناء مقتدين بالآباء ، ويؤي الولد عمه بالعين التى يري بها والده ن وخاله بالعين التى يري بها والدته ، يبذل كل رخيص وغال فيما فيه سعادة الجميع ليعيش المجتمع المنزلى سعيدا راقيا ، يحب الخير لكل فرد منهم لأن خير كل فرد هو خير الجميع . فإذا كمل المجتمع المنزلي وتكمل مجتمع الحلة أو السكة يتكمل بهما مجتمع القرية ثم المدينة .

**الأمة علي نمط المجتمع المنزلى :**

ثم تتكون الأمة علي نمط المجتمع المنزلي حتي تكون الأمة جميعها كجسد واحد قائم بكل عضو منه ، وكل عضو قائم بكل الجسد ، بحيث تكون السعادة الحقيقية منقسمة علي كل فرد بقدر منزلته من

الجسـد الإسـلامي ، ففـرد كالقلـب وآخـر كـالعين وكاليـد وكالرجـل وكالأذن وكاللسان وكالأصابع وكالمعدة والأمعاء والكليتين والطحال ، وتكون أعمال الأمة منقسمة علي الأفراد كتقسيم أعمال البدن علي جميع أعضائه ويكون الرئيس هو القلب ، والنور الذي يستمد منه القرآن المجيد والسنة النبوية وهدي الأئمة الراشدين المرشدين ، ويمد بهذا النـور جميـع أعضـائه العاملـة عمـل الـوزراء كالكبـد والكليتـين والرئتين ، وكأعضائه المنبثة في النواحي كالعنين والأذنين والأنـف والذوق واللمس الممثلة بكبار الجند ، وكأعضائه العاملة لحفظ الجسد والعناية به كالمعدة والأمعاء والأسنان واللسان المعين علي بلع الطعام والأجهـزة البوليـة وغيرهـا ، وهـم الصـناع والعملـة أهـل الكـد فـي المجتمع الإسلامي .

فيكون الإمام الأعظم عالما بقدر فوائد أصغر عامل للجسد وأصغر صانع ، ومقدراً قدر المزايا التى تنال الجسد الإسلامي منـه ، ناظرا إليه بعين الأخ النافع والعضو العامل ، حتي يكون كل فرد فى عون كل فرد لعلمه بضرورة ذلك ، وتحققه من أن ذلك هو السعادة في الدنيا والآخرة ، ويكون أصغر صانع عالما بقدر النفع العائد عليه من بقية الأفراد من الأمن والعدل والسلامة وإعلاء الاسلام وإحياء السنة وسعادة المسلمين ، فيحصل الحب الحقيقي لله تعالي ولجميع الإخوان المسلمين ، ويكون المجتمع الإسلامي في أي بلد وأي جهة متماسكا تماسكا حقيقياً، مؤتلفا ائتلافا حقيقياً ، ينمو في كل نفس ويعلو في كل يوم وتدوم سعادته وخيره وبره ابداً ، بل ويكون سكان الأرض من مشارقها إلي مغاربها في سعادة وسرور بهذا المجتمع . المسلمون وغيرهم .

و هذا التدبير المنـزلي وغيرة لا يمكن أن يكون كاملاً حقيقة الا إذا كانت التربية مطابقة للقرآن المجيد ، وسائرة علي وصايا النبي ﴿ ρ وآلـه﴾ وعمل الأئمة بعده ، حتي يكون في كل قلب غيرة علي

الحق وحب في الحق ، ورغبة في نوال السعادة الحقيقية التى تنال إلا بكمال التمسك بالكتاب والسنة قولا وعملا وحالا .

**نتائج إهمال التربية:**

فإذا أهمل المسلم تربية نفسه حتي فسدت أخلاقه وساءت عقيدته وصار كالحيوان الأعجم ، او الشيطان المارد أفسد المنـزل كما تري الآن . تري المسلم وهو يدعي الإسلام يقطع رحمه ليصل الدنيا ، ويعق والديه لينال شهوته ، ويتمني لقريبه الموت ليرث ماله ، بل يقتل أخاه لأبيه وأمه لينال مالا يدخره لأولاده ، ويجهل المغرور أن أخاه أولي به من أولاده وأن أولاده الذين يرثون ما جمع لهم بظلم أخيه يأتى عليهم وقت ربما قتلوه ليأخذوا أمواله ، وعمل كل واحد منهم في أخيه ما عمله أبوهم في أخيه . انظر إلي المسلم تراه واقفا أمام الحاكم الذي يحكم عليه بغير الكتاب والسنة ، ينتظر أن يحكم علي أخيه له ثم يطلب عقوبة أخيه بالحبس ، ويخرج مع أولاده ومع زوجته وأقارب زوجته كأنهم فتحوا بلادا للمسلمين .

فهل مثل هذا يكون قد هذب أولاده وعلمهم صلة الرحم ؟ لا والله ، ولكن أفسد أخلاقهم وجعلهم كالطاعون لبعضهم . ثم انظر إلي المسلم يسعي ليسقط أخاه المسلم عند من له عليه سلطة من غير المسلمين لينال وجاهة أخيه أو منـزلته او ماله ، بل ليؤذيه ويضره بدون أن ينال كسبا إلا السرور بأذية أخيه علي يد غير المسلم ، ثم يتوجه فيخبر زوجته وأقاربها أمام اولاده ويفتخر بهذا العمل، ويمدح من عمل مثله فيخلق ( الحاضرين ) بأخلاقه . وقد يسعي بهمه في إظهار عيوب المسلمين أمام غيرهم ليتمكنوا من مؤاخذتهم عليها وإذلالهم . هذا لعمري عمل الشياطين وأشر الوحوش الضارية . فمن كان هكذا فهو والله من أشر الشياطين ، وأضر الأمراض علي المسلمين . كيف يفرح مسلم أن يحكم علي أخيه غيره بغير الكتاب والسنة له ؟ فيرضي بحكم غير القرآن ويفرح بإساءة أخيه وينسي قدر

الإساءة التى أساءها إلي نفسه وإلي الإسلام المسلمين وإلي المروءة والفضيلة ، ويجهل قدر ما خسر في جانب ما اكتسب ، والله سبحانه وتعالي يمن علينا بالنور والهدي آمين .

## مـراتب اليــقظة

**المرتبة الأولي :**

العلم بالْحسَن شرعا ، والقبيح شرعا ، بعقل يعقل علماً يمكِّن النفس من استحضار فوائد الحسن العاجلة والآجلة ، حتي يحصل له الشوق والميل إلي عمله مع ما فيه من ألمها وهجر مشتهياتها لما تناله في العاجلة من حسن السمعة والاحترام والقرب من أهل الجاه والتقوي في عاجلة الأمر وما هي واثقة بنيله بعد مفارقة كون الفساد ودار الزوال ومنــزلة النُّقلة إلي النعيم المقيم في دار البقاء ونزل السعداء ، مع ظهور قبح القبيح حساً وإن كان يلائم النفس وتشتهيه لما تجده من الألم العاجل ، لتعلم من سوء السمعة ونفور الناس والشهرة بالرذائل وقبح الحال ، حتي ان ضمير الإنسان قد يحكم عليه بالدناءة والخزي ويكون دائما محتقرا أمام نفسه ، ويستحي أن ينكر القبيح ويخجل من مقابلة الناس العقلاء الصالحين المصلحين ، ويشتد خوفه إذا ذكر عقوبة ذنوبه يوم الحساب ، إذا لاحظ الإنسان تلك الملاحظات دل ذلك علي يقظة قلبه ،وتلك الملاحظة تجعله يقلل المعاصي ويميل إلى الطاعات .

**المرتبة الثانية :**

التوبة والإقلاع عن فعل القبيح مطلقا خلقا أو عملا أو قولا ، نادما علي ما حصل منه عازما علي أن لا يعود إلى الذنوب ، ولا تكون التوبة خالصة حقيقة إلا إذا كان الداعي إليها التصديق الجازم عن علم يقين بيوم الحساب ، والرغبة الحقيقية فيما عند الله بالقلب المخلص ، لا لفقد ما يعينه علي العمل او فقد ما يعمل به أو خوف عقوبة الخلق أو طلب شهرة وسمعة أمام الناس او منــزلة ووظيفة

حتي إذا تمكن عمل . فمن أخلص لعلمه اليقيني وأقلع وأناب عازما علي أن لا يعود وقع في الذنب فله أن يتوب ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ [2] ومن أقلع لغرض أو مرض أو فقد فليس بتائب عند العلماء ولو لم يعد ، حتي يطهر قلبه من المرض الملمَّ به ويجد لذة التوبة الخالصة ، فمن وجد تلك اللذة ، وعلامتها طول الحزن علي الذنوب وتمثيل مشتهياته ﴿ بهاوية ﴾ تهوي به في نار جهنم ، علي أن لا تخطر علي قلبه إلا وهي مبغوضه مرذولة متيقن أنها باب العذاب الأليم . وبذلك يتحقق بصحبة التوبة ، والله هو التواب الكريم الغفور الرحيم .

**المرتبة الثالثة :**

المجاهدة وهي ثلاث مراتب : مجاهدة النفس وقهرها علي عمل الواجب والمستحب . ثم مجاهدتها علي ترك الحرام والمكروه . ثم مجاهدة العدو .

أهل السلوك علي الطريق الأقوم    ساروا بإخلاص وصدق عزائم
زكت النفوس وطهرت من    فتجملوا بجمال دين قيم
رجسها    نالوا القبول وأكرموا بغنائم
و تخلصوا بجهادهم من غيهم    بحقيقة التوحيد نور العالم
حتي إذ زكت النفوس تجملت    منحوا الوصول ألي الولي الدائم
شربوا شراب الجمع بعد جهادهم    أسراره بهم بنور أعظم
حجب المجانس والمفارق اشرقت    فتهيموا بشهودة بمعالم
الغيب أشرق بالصفا لقلوبهم    في حال جميعهم بغير طلاسيم
فهم النفائس حجبت لا تظهرن    بالفرق أوصاف المجيب الراحم
حتي يصافوا بالطهور فتجتلي    سبل النجاة بمحض وهب الراحم
و هم الأئمة انجم تهدي الي    بل انجم في أفق شمس القائم
أبدان رسل الله وراث الهدي    وصلوا علي وسط الصراط
هم وهم الهداه الوارثون أئمة    الأقوم
اخلاقهم وصفاتهم وعلومهم    وهبت لهم من ذي الجلال المنعم
و رثوا بفضل الله نور رسوله    فهم البدور بها ضياء المظلم

و المرتبة الأولي من مراتب المجاهدة : مجاهدة النفس علي عمل الواجب والمستحب ، فالواجب مالابد منه ، وهو ما بتركه تحصل المضرة في الدنيا والعقوبة في الآخرة ، وبالقيام به علي الوجه الأكمل تحصل السعادة في الدنيا والآخرة – والواجب إما واجب للنفس أو عليها .

**الواجب للنفس :**

فالواجب للنفس الذي يجب المحافظة عليه عند حصوله والعمل لجلبه عند عدمه هو: العافية والأمن والقوت . فإذا تحصَّل الإنسان علي تلك الضروريات لزمه أن يحافظ عليها بكل غال ورخيص . ثم يجب علي النفس تحصيل السعادة الحقيقية بتلك المعاني ؛ أي بالأمن والعافية والقوت . فكأن تلك الواجبات لابد منها حتي تتمكن النفس في عالم البقاء والنعيم ودوام المسرات . و هذه الواجبات للنفس قد سهل الله

تعالي سبلها ، فإنه سبحانه منح الخلق العافية فضلا منه، ومنحهم الرسل والعقل الذي يعقل عنهم وصاياهم ، فبينوا للناس طرق الخير ، ووضَّحوا لهم سبل النجاة ، وخوفوهم من كل الرذائل وأنذروهم عاقبتها ، فمن أحب أن يكون آمنا علي نفسه من سلب العافية ، وعلي ماله من الضياع ، وعلي نفسه من الهلاك بعد الموت فعليه بالتمسك بالسنة المحمدية . وتفصيل ذلك لا يحتاج إلي بيان . فإن أوامر الله تعالي محصورة في خيري الدارين ، ونواهيه سبحانه محصورة في ترك الشرور . أما القوت فقد أوجد لهم سبحانه في الأرض معايش ، وأنزل لهم سبحانه من السماء ماء ثجاجا فأخرج به سبحانه حبا ونباتا وجنات ألفافا ، وسخر سبحانه وتعالي الشمس والقمر والكواكب ، وأجري الأنهار وخزن الماء تحت طبقات الأرض ليحفظه لنا ، وجعل البحار العظيمة ملحة ليحفظ لنا الماء من التعفن ، فجعل رزقه من الضروري لجميع خلقه بوسعة ، بحيث أن الهواء والماء والضوء والنبات والأثمار والحيوانات النافعة والمعادن وغير ذلك من الجبال والكواكب أكثر مما يحتاجه الخلق بما لا يحصي من العدد : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾[2]

هذا وتحصيل السعادة لا يكون إلا بمجاهدة النفس علي القيام أولا بما هو واجب لها من تحصيل الكمالات التى من أهمها العلم بالنفس وبمبدئها ومعادها ، وبما أودعه فيها مُبْدِعُها سبحانه ، وبما أكرمها به سبحانه من النعيم فيها وحواليها مما لابد منه وأكمل ، حتي تتحقق برتبتها في الوجود وتعلم مقدار النعيم بالعجز عن حصرها ، وتتيقن بحقيقة الاضطرار إلي جناب المنعم المتفضل ، فيحصل لها السكون إلى حضرته الْعَلِيةِ ، ويحصل لها الحب والرهبة والرغبة ، وعند ذلك تتمكن النفس من العمل الواجب لها والقيام بالواجب عليها حقيقة، وقد شرحت طرفا من هذا فكتاب ﴿ معارج المقربين ﴾ في باب قسم علوم النفس فليراجع.

**الواجب علي النفس :**
لما كانت معرفة الواجب لا تكون كاملة إلا بعد معرفة الإنسان نفسه التى وجب عليها الواجب ، والحقوق الواجبة عليها ، ومعرفة من يجب له الواجب ، والعلم بكيفية تأدية الواجب ، لزم لمن أحب أن يعلم الواجب عليه ليقوم به أن يسعي في علم ما أولا بُدَّله اولا . .

**الواجب علي المسلم أنواع :**
إما واجب لله ، أو واجب لرسوله ﴿ ρ وآله﴾ أو لأولي الأمر منا ، أو للوالدين ، أو لمعلم الخير أو للأرحام والزوجة والأولاد ومن استرعاه الله عليهم وما استرعاه الله عليه ولجيرانه وأهل محلته وأهل المدينة ، ولخاصة المسلمين وعامتهم ، ولأهل الذمة ممن داموا علي ذمة المسلمين ما وفوا بعهودهم . وكل نوع من هذه الحقوق يحتاج في تفصيل إجماله إلي أسفار ، ولكني أكتفي بشرح ما به يدرك المريد مالا بد له منه ، ويستبين للعالم بقية اللازم عليه مما أبينه ، فيتضح له ما لم أذكره خشية الإطالة وخوف الملل ، قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ﴾[2] .

و قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ المؤمن يكفيه قليل الحكمة ﴾ [2] وقبل البيان نقدم مقدمة.

معلوم أن مقاصد العمال محصورة في أربع : إما ان يكون المقصود الله تعالي . أو الدار الآخرة . أو المال . أو الذكر الحسن والشهوات النفسانية . فمن كان مقصوده الله تعالي يفوز بقسط وافر من كل تلك المقاصد بدون أن يكون مقصودا لذاته ، بل لأنها وسائل للسالكين ومظاهر لمشاهدة معاني صفات الحق للمقربين ، فيكون قاصدا الله تعالي فائزا بكل تلك المقاصد بدون قصد منه لها لأنها معارج له ، لأن من طلب الله مخلصا أقبلت عليه الدنيا راغمة ، وملأ الله قلبه غني به وأمنا ، ومنحه حلل الكمال التى يكون بها وسطا

عاملا من عمال الله تعالي عارفا بالله ، ومن طلب الآخرة أضر بالدنيا وهو الزاهد . ومن طلب الدنيا ( المال ) أضر بالآخرة من حيث صرف جميع همته في جمع المال ، قال تعالي :
﴿ أَلْهَكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ من كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره في قلبه وملأ يديه شغلا ولم ينل منها إلا ما كتبت له ﴾ [2] . وهو المغرور . ومن كان مقصده شهوات نفسه أضاع دنياه وآخرته و الذكر الحسن وأفسد صحته وهو الشيطان أو البهيم .

**إذا تقررت تلك المقدمة فأقول وبالله التوفيق والمعونة :**

**الواجب لله تعالي :**

هو أول الواجبات وأحقها بالأوَّلية شرعا وعقلا ، بحيث لا يتقدم عليه واجب قط وليس بإنسان من أهمل معرفة الواجب عليه لله والعمل بما علم . أقول ليس بإنسان وإن كان إنسانا صورة فإن الصورة الإنسانية قد تنقص عضو السمع أو البصر أو هما مع اللسان أو مع اليد ، وتحكم عليه بأنه إنسان صورة ، ولكنه لا يعتبر إنسانا بمعني الإنسانية علما وعملا ونفعا وضررا ، فكذلك قد تكون صورته صورة الإنسان كاملة في المبني ، وهو في الحقيقة والمعنى حقيقة سبع مفترس ، أو سعالة ( ثعلب ) خادع ، أو خنزير سفاد ، أو نملة حريص ، أو طاووس معجب بجماله ، أو بهيم لا يحسن تدبير نفسه .

أو شيطان مارد إن أغناه الله تعالي استعان بنعمة الله على مخالفة أوامره، و إن أفقره دعاه الفقر الى الكفر و ارتكاب المعاصى، وإن توسط حاله نظر إلي ما في أيدي الناس من النعم فحسدهم ، ورأي نفسه مظلوما وسب وكفر بالقضاء .

هذه الأنواع من الناس صورهم صورة الإنسان وحقائقهم غير حقيقة الإنسان وفي البحار أسماك علي صورة الإنسان ، وفي الغابات قردة علي صورة الإنسان ، والمعاني تتفاوت ،فكذلك المعانى فى صورة الإنسان تتفاوت ومن هذه الدلائل الحسية نحكم أن من لم يبتدئ بالواجب عليه لله تعالي – مبدع الكائنات وممد الكل بالأيادي والعطايا – ليس بإنسان .

# الباب الثاني
# واجبات المسلم
# الفصل الأول
# الواجب لله سبحانه وتعالي

**أولاً : المعرفة هى الواجب الأول لله سبحانه وتعالي :**

أول واجب معرفة الله سبحانه وتعالي ، وقد اختلف العلماء في طريق معرفته - سبحانه – علي مذاهب شتي حتي تفرق الناس فرقا وأحزابا ، يري كل فريق منهم انه علي الحق وأن من خالفه على الباطل . وقد بينت أشهر مذاهب المختلفين وشرحت طرقهم في كتاب ﴿ معارج المقربين ﴾ إجمالا ، وبينت أنهم جميعاً لاخلاف بينهم إلا في اللفظ ، فإن أصول الدين الإسلامي لا توجب الاختلاف بين المسلمين ، وإنما الخلاف حصل في الطريق الذي تكون به المعرفة . فمنهم من قال : الرياضة والمجاهدة . ومنهم من قال : النظر والاستدلال . واختلفوا في وضوح الدلائل وغموضها حتي كان القائلون بالنظر والاستدلال فرقا مختلفة . ومن أراد الإطالة في هذا الموضوع فليراجع كتاب ﴿ معارج المقربين ﴾[2] . هذا والإنسان بمعناه الحقيقي يمكنه أن يتحقق أن القرآن المجيد بيَّن لنا طريق معرفته سبحانه ،

وحصرها سبحانه في التدُّبر فيما أبدعته قدرته وأحكمته حكمته سبحانه وتعالي – وأمدنا به من الفضل العظيم ، بحيث لو نظر العاقل في نفسه – نظر عالم بها فاهم لما أودع فيه من غرائب الحكمة وعجائب القدرة ، ولما في أعضائه الظاهرة والباطنة من الأسرار المدهشة والحكم المحيرة للألباب والمنافع الجمة. وتفكَّر في اعضائة الظاهرة وفي أعمالها الغريبة من شحمة تبصر ، ولحمة تسمع ، وأخري تشم، وأخري يذوق بها ، وأخري تحس ، ولسان ينطق، وعقل يعلم الغيب بالاستنتاج ويدرك حقائق الأشياء بالاستنباط ، ونظر ألى ما حوله من مجموعة الأفلاك المنتظمة وتصريف الرياح المختلفة وتسخير السحب الهاطلة وجريان الأنهار والبحار المفيدة ، وما بين ذلك من نباتات وحيوانات وجمادات ومعادن ، وما في كل ذلك من خواص ومزايا وأسرار وقوي فاعلة ومنفعلة وما يتجدد في كل نفس من الشؤون والأحوال والمحو والإثبات – يعلم حق العلم أن له مبدعا أبدعه وأمده بما به كماله وبقاؤه ونعيمه ، ومن قرأ القرآن متدبرا يتحقق من آياته – خصوصا الآيات التى ذكر فيها التفضل علي الإنسان بما فيه وما حوله والتمنن عليه بإيجاده وهي آيات لا تحصي – يعلم حق العلم أن الطريق إلى الله سبحانه وتعالي هو النظر في آياته الكونية وفهم آياته المتلوة .

**قول سيدنا علي في تنـزيه الله تعالي :**

و هنا أورد ما قاله سيدنا علي كرم الله وجهه في تنـزيه الله تعالي قبل ان انبه فكرك بآيات الآثار المحيطة بك لتذوق رحيق الأئمة وتقتطف أزهار رياض العلم بتنـزيه مبدع الكائنات والله الموفق:

﴿ الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالاً ، فيكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا . كل مسمي بالوحدة غيره قليل . وكل عزيز غيره ذليل . وكل قوي غيره ضعيف . وكل مالك غيره مملوك . وكل عالم غيره متعلم . وكل قادر غيره يقدر

ويعجز. وكل سميع غيره يُصَمُّ عن لطيف الأصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها . وكل بصير غيره يعمي عن خفي الألوان ولطيف الأجسام . وكل ظاهر غيره باطن وكل باطن غيره ظاهر . لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان . ولا تخوف من عواقب زمان . ولا استعانة علي ند مثاور . ولا شريك مكاثر . ولا ضد منافر . ولكن خلائق مربوبون. وعباد داخرون . لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن . ولم ينء عنها فيقال هو منها بائن . لم يؤده خلق ما ابتدأ . ولا تدبير ماذرأ . ولا وقف به عجز عما خلق . ولا ولجت عليه شبهة فيما قضي وقدر . بل قضاء متقن .
و علم محكم . وأمر مبرم . المأمول مع النقم . المرجو مع النعم ﴾ .

هذا ولما كانت الحكمة أشد تأثيرا علي النفوس إذا ظهرت للنفوس في الفاظ منظومة أحببت أن أورد لإخوني المؤمنين – روحني الله وإياهم بريحان آياته الظاهرة في مكوناته ، ومنحنا طمأنينة القلب بشهود أسراراه الباطنة في آياته ، فإنما هي مكونات قائمة بآيات ، وتلك الآيات دالة علي أسرار مكون الكائنات وأنبه القارئ لتلك المواجيد النظيمة ، أن يلتقط لآلئها الحكيمة الغالية من أصدافها اللفظية غير منتقد علي عدم مراعاة المحسنات اللفظية فإن المقصود منها الروح لا المباني . والله أسأل أن يمنح القارئ نورا يستبين له به سر تلك المباني وخفي تلك المعاني ، إنه مجيب الدعاء .

**كيف تتفكر فيما أحاط بك**

أيا أيها الإنسان من طين فخار
و من نطفة أنشئت آيا جلية
تدبر فانت الطين والماء فاشهدن
أكنت سميعا أو بصيرا وعالما
نسيت جمال الله فيك ، تتيقطن
أياطنية الصلصال من بجمالة
اتنسي مفيض الفضل والجود والعطا
و للدون والدنيا تميل وترتجي
تذكر جميلي من ﴿ألست﴾ [2] وبعدها
و لا تنسي احساني اليك ورحمتي
و لا تشغيل بسواي ترفع للعلا
فلا ينسي احسان الجميل وفضله

تكونت كي ترأي مظاهر أسراري
و صرت بمحض الفضل حصن جمالي وإحساني وسري وأنواري
و لكنني أنعمت بالمدار
فمن ينسه يلقي سعير النار
تحلت بالنوار بعد فخار قرار
و تهجر أورادي وتترك اذكارى
نوال الرضا والعفو إحسان غفار
و تابع سبيلي مخلصا ياساري
و كن مخلصا في خفية وجهاري
و تحظي بفضلي صحبة الأخيار
سوي مبعد او جاهل ومماري

* * *

ياصورة الرحمن والنور العلي … قد أضاءت بها بنور البيان
فيك العوالم كلها طويت فهل … يرقي به أهل الصفا بتأهل
خفيت بذاتك من معاني القدس ما … بالعزم كي تسكن بوطن اول
أأنست باالكوان بعد شهوده … تومي بأن القدس أول منزل
أولا سمعت ﴿ ألست ﴾ عند شهوده … و سجود أملاك العلي بتنزل
فاهجر سكونك للكيان وبادون … لا يشهدن إلا لذي قلب خلي
فيك المعاني مشرقات بالذي … أدركت سرا فيك من معني الولي
حيطة الكون آية الإمكان … يا سدرة الوصاف والغيب الجلي
و بها الآى أشرقت منبئات … عن معاني الدليل والبرهان
حيطة دون دركها كل عقل … لخفا سرها بطئ المباني
و هو كالدر نسبة وانتسابا … لمعان في باطن الإنسان
لم تسع ما بقلب فرد قريب … و هي قد أعجزت سويدا المعاني
قد أحاطت بهيكلي بحدود … و هو سور لكنز غيب مصان
عجبا للعقول تعجز عما … هو أي لمشهدي وعياني
ضاق عما وسعته بيقين … كل عال من الكيان ودان
أنت ياكون حيطتي حال فرقي … عند فوزي بحظوة في الجنان
و انفصالي بعد اتصالي وحجبي … بعد كشفي في هيكل لي ثاني
و انا حيطة وأنت خفي … حال جمعي وحظوتي بالتداني
أفق مشرق بنور علي … قد أضاءت به شموس المعاني
حيطتي الوجه بعد محو وجودي … ببقائي عن مقتضي الإمكان
كان عقلي قبل اتصالي وفصلي … يعقل الآي بانتساب المكان
ثم لما لاح الجمال بمعني … من معاني الجميل بالاحسان
و هب العقل عنه يعقل معني … هو سر التوحيد والقرآن
صار صور الإمكان يعقل عني … و انا العقل صورة الرحمن
في سر وقي نور جلي … يشرفن ظاهرا لروح الفاني
و معان قد نزهت عن مبان … قد أضاءت للمفرد الإنسان

* * *

جاهد النفس في جناب علي
و تشبه بالرسل صدقا وعدلا
و دع الدون للدنيء وبادر
و اخلع الكون لا بسادرع زهد
و انظرن نظرة بعين يقين
تر فيك الأنوار لاحت جهارا
أهل عالين لا يرون الدنايا
ستر الكون عنهم فرأوه
فتراهم بالله لله قاموا
ذكروه لما رأوه فذكروا
ثم غابوا به وذكروا فذكروا
و تحلوا منه بخلق وحال
نور العقول لآي الكون ميزان
يجول فيه ليبدي سره فيري
فلم يجاوز الكون لو سبقت
ما للعقول إذا ظهرت مشاهدة
لكنها إن صفت من أفق حيطتها
حتي تمد بنور الوحي يكشف ما
فضل من الله يوليه بسابقة
كالشمس راد الضحي يهدي إلي
سبل
له يسلم أهل الأصطفاء ومن
فيمنحون عيون الكشف من أحد
و عندها الغيب وإلسر المصون
يري
نور من الله شمس للهدي ظهرت
فشاهدن نوره واشرب مدامته
أسلم لمولاك تشهد نور طلعته
و اتبع سبيل مراد الذات متصفاً
ترقي إلي حضرة الملأ العلي إلي
و خل مقتضيات العقل متبعاً
و في معيته فادخل بسنته
و الفرد شمس الهدي باب
الوصول إلي
صلاة ربي علي المحبوب كعبتنا

و إليه فاسع بصدق الفرار
و بأخلاقهم بصدق افتقار
فمعالي الأمور للأبرار
في سوي الله فهو كنز ادخار
لا بعين العقول والأنظار
و تري الأفق لاح بالأسرار
لإشتغال الأفراد بالستار
بعيون وهبت من الغفار
بلسان الأملاك كل نهار
عاملوه بشرعة المختار
بلسان السلام والجبار
و جمال القرآن والأذكار
و الكون اجمعه للعقل ميدان
ما فيه مرتبطا والفكر برهان
أنواره تحجبنه عنه اركان
للغيب في ستره لوصح إمكان
تقر بالحق والإقرار إيمان
عنها تحجب والتحقيق إحسان
لذي مقام علي وهو إنسان
بها الوصول وروح ثم ريحان
فازوا بسابقة والفوز رضوان
بها يدوم لهم كشف وغفران
لأعين القلب والبرهان قرآن
فيه شفاء وأسرار وتبيان
و لا تمل للهوي فالحظ شيطان
تجليه للقلب آيات وأكوان
بالصدق في حبه فالصدق إيقان
حظيرة القدس والمحبوب رحمن
هدي النبي فإن الحق سلطان
و حافظن فهي للأفراد ميزان
نيل القبول وقد وإفاك فرقان
بها تكون لنا البشري ورضوان

*　　*　　*

معـــالم الكـــون آيـــات تنبنـــا　　مـن سـر غيـب بـدا فيـه لخالقنـا
و فـي السموات والأراضين آيتـه　　لاحت لأهل النهي جهرا تفهمنا
شـهدت علانيـة للنـاظرين لهـا　　و أشرقت شمسها تنبي بموجدنا
و برهنـت لـذوي الألبـاب قائلـة　　الحـق لاح جهـراً شـاهدته بنـا
لســنا بحجـــب ولكنـــا دلائلـــه　　تبدو شمائل اوصاف العلي عنا
تعمي العيون التى قد أبعدت عنا　　و تظهرن لذوي الحسني حقيقتنا
المؤمنون بنا شهدوا صفات علي　　و الغـــافلون راونـــا لا مكونـنـــا
وقفت عـزائهم عنـد الكيـان فمـا　　نفذت بصيرتهم في سر مبدعنا
نـا حجابـا لأهـل الغـي نبعـدهم　　و الحال أنا لنيل القرب قد صغنا
عجبـا لمـن عـن نـور خـالقهم　　بنـوره اذ بـدا جهـراً لهـم علنـا
أسـماؤه ظهـرت للعـين مشـرقة　　و أشرقت شمسها حقاً لمن حسنا
تلـك السموات والأرضـون نـور هـــــــــــدي　　تبـدي محاسـنه كمـا توصـلنا
فشاهدن حسن ما فيها وكن يقظا　　و لا تقـف عنـدها تنـأ بهـا السـننا
و نـزهن حضـرة الأسـماء عـن نســـــــــــب　　و عـن قيوم بعقل وانهض معنـا
فنـــوره بعيـــون القلـــب تشـــهده　　و بالبصـــيرة تـــراه وتصـــحبنا
لا يبدوا نور العلي إلا لمن سبقت　　بالفضل منه لـه الحسني ووافقنـا
حظـر علـي العقـل نـور الغيـب يشـــــــــــهده　　و العقـل قيـد فشـاهد نورنـا منـا

*　　*　　*

نـــور المكـــون للبصـــيرة لاحـــا　　فـي الكائنـات فأشـرقت مصـباحا
لم يبق في ذا الكون من جزئية　　إلا ولاحـــت بالضـــياء صـــراحا
دلـت علـي سـر العلـي تنزهـت　　اسـماؤه بـل افصـحت إفصـاحها
لاحت لأهل الفكر شمس صفاته　　فـــرأه بهـــا آثارهـــا مصـــباحا

لمـا كـان جهـل شـئ مـن تلـك الآيـات المودعـة فـي الإنسـان والمحيطة به المسخرة مؤديا إلي الجهل بالحق – سبحانه – بقدر ما

جُهِلَ من آياته ، لأنه – سبحانه وتعالي – أقامها حججا واضحة وبراهين ساطعة علي كمال تنزيهه-سبحانه – وكمال قدرته وحكمته ، وعلي أحَدِيَّةِ ذاته وأسمائه وصفاته المقدسة .

و لابد لي في هذا الموضع من ان أفضل هذا الإجمال بالماع الي تلك الآيات الظاهرة في الأرض وفي السموات وفي نفس الإنسان ، مما هو محسوس بالجوارح ولا يحتاج إلي بحث وتنقيب ، حتي تنبه قوي الفكر فتجول في هذا العالم متدبر يري أنه عاجز عن شكر المنعم – سبحانه – مضطر في كل نفس إلي معونته – جل جلاله – فيقول عامل الفكر بعد الذكر حتي يرتقي من عالم الحس إلي عالم الخيال ، ولديها يمكنه أن يتمثل الآيات العلوية فتلوح عليه أنوار مبدع الكائنات ، وتنبلج له أسرار القادر الحكيم الحي القيوم ، ولديها تقوي عوامل الحيرة والدهشة فيرتقي من عالم الخيال إلي العجز المطلق ، ولديها يحضر فلا يغيب ، وليس بعد العيان بيان ، ويكون شبيها بالعوالم الروحانية ممن وصفهم الله بقوله :

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ{20} وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ {21} وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [2] .

**الحكمة هي ضالة المؤمن المنشودة :**

هذا وإن بعض إخواننا كرهوا بعض العلوم التى تبين بعض الآثار الكونية ظنًّا منهم أن ذلك يخالف السُّنةَّ والكتاب ، والحقيقة التى لا مراء فيها أن المؤمن لا يعادي علما من العلوم كائنا ما كان ، ولكن المؤمن يبحث عن الحكمة أين كانت وهي ضالته ، فهو يطلع علي كل

علــــم ليأخـــذ منــــه الحكمـــــة ويـــرفض ســـواها كمـــا قـــال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ﴾ [2] وليس المؤمن العالم بأسرار القدرة السارية في الآثار الكونية – عُلْوِيِّهَا وَسُفْلِيِّهَا – كالمؤمن الذي لم يعلم ، فإن المؤمن العالم علي اليقين الحق وهو حجة الله القائمة علي الخلق المتحقِّقُ حقيقة بخشية الله تعالي كما قال الله تعالي : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ [2] وقال الله تعالي لحبيبة ﴿ ρ وآله﴾ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [2] ولا أبعد بك أيها الأخ عن القصد ن ولكن تدبر معي سر الإسراء وحكمة المعراج الصريحة في القرآن المجيد التى هي قوله تعالي : ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ [2]تر أنك مفروض عليك أن تكون عالما علم اليقين بما كان حق يقين لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ لتكون من أهل اليقين ، وتأمل معي إلي قوله تعالي : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ {27} وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ [2] فإذا تأملت ببصيرتك ، وتحققت أن الله حكم أن الذين يخشونه سبحانه هم العلماء حقيقة – بعد ذكر تلك الآيات العجيبة – تحققت أن العلم بالله تعالي لا يكون إلا بعلم بآياته الظاهرة في آثاره وعجائب قدرته وغرائب حكمته المنبلحة في مكوناته ، وبقدر ما فاتك من علم شئ منها فاتك من العلم بالله . والله ينبه إخوتي المؤمنين في جميع بقاع الأرض إلي العمل بالقرآن الشريف وإحياء السنة المطهرة .

**معرفة ألاء الله بالنظر والفكر :**

ولو نظرت معي أيها الأخ – ارشدك الله – فيما ورد من الآيات القرآنية الحاثة علي الفكر والاعتبار والنظر في آيات الله الظاهرة في مكوناته ، لتحققت أن أوجب الواجب علي المؤمن آلاء الله بالنظر والفكر ، وإليك بعض آيات تكشف لك الحقيقة في هذا ، المقصد العظيم ، قال الله تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {21} الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (2)

و قال الله تعالي : ﴿ وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ {163} إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (2)

و قال سبحانه وتعالي : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ {190} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (2)

و قوله تعالي : ﴿ اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ {2} وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {3} وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (2)

و قوله تعالي : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) .

و قوله سبحانه وتعالي : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ﴾ [2] .

و قوله تعالي : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ {33} وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ {34} لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [2]

و قوله جل جلاله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً {6} وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً {7} وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً {8} وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً{9} وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً {10} وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً {11} وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً {12} وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً {13} وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجاً {14} لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً {15} وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ﴾ [2]

و قوله سبحانه وتعالي : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ {24} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً {25} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً {26} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً {27} وَعِنَباً وَقَضْباً {28} وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً {29} وَحَدَائِقَ غُلْباً {30} وَفَاكِهَةً وَأَبّاً {31} مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [2] .

و قوله تعالي : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ [2] .

و قوله جل شأنه : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [2] .

و جماع تلك الآيات قوله تعالي : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [2] .

هذه بعض الآيات التي تُنَبِّهُ فكرك وُتُيقِّظُ قلبك من نوم الغفلة ، وعقلك من رقدة الجهالة ، وتشغلك عن عكوفك علي خدمة جسمك ، وقصر همتك علي شهوات بطنك وفرجك ، واجتهادك فيما ييسر لك هذه المطالب والحظوظ الفانية ، والملاذ الموبقة لك يوم الحساب ، فعليك أيها الأخ المسترشد – أرشدني الله وإياك – إن كنت تحب أن تكون من المطيعين لله ، الممتثلين لأوامره التى جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام ، العاملين بسنة سيدنا ومولانا محمد﴿ ρ وآله﴾ أن تُقْبلَ بكُلِّيتَّكِ علي ما يقربكَ إلي ربك ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وإياك أن تكون منكبا بكُلِّيتَّكِ علي الدنيا ناسيا يوم الحساب فتكون من الذين قال الله تعالي فيهم : ﴿ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [2]

**الآيات الظاهرة للفكر :**

و إليك – أيها الأخ الراغب فى نوال العلم النافع – طل من وابل الآيات الظاهرة لفكرك يكون وراءه- بمعونة الله – وابل اليقين وكشف التمكين ، ولتقريب ذلك أضرب لك مثلاً : لو نظرت إلي طيارة في الهواء تحمل إنسانا ، أو سفينة تجري في اليم بدون الهواء ، أو عربة تجري في الأرض بدون خيل تجرها لحصلت لك الدهشة والحيرة لقصورك عن معرفة سبب ذلك ، مع أن ذلك سهل عليك لو تأملت ، ويمكنك أن تعمل مثله لو تفكرت فيه ، ولكنك عند أول نظرة إلي تلك الأشياء الغريبة ينطلق لسانك قائلاً : سبحان الله ! مع أنك يحيط بك ما أنت تشهده طول عمرك حسا وذوقا وسمعا وشما ورؤية من الآيات التى تتحير فيها عقول العقلاء ، وتدهش فيها نفوس الأذكياء ، وتعجز عن إدراك حقائقها أفكار الحكماء ، ويرجع عنها خاسئا وحسيرا ، ويرتد الطرف عنها كاسفا وكليلا ، وأنت جامد لا

تتعجب وهامد الجسم تتنـزل عليك أمطار الحكمة قلا تهتز ، كأنك لم تسمع ولـم تبصـر ولـم تفقـه ، ولـك سمع وبصـر وقلـب ، انظـر بعين بصـيرتك إلـي هـذه الأجسـام السـماوية الرفيعـة وشـدتها وصـلابتها وحفظهـا مـن التغيـر والفسـاد إلـي أن يبلـغ الكتـاب أجلـه فـإن الأرض والهواء والبحار بالإضافة إليها كحلقة ملقاة في فلاة ، قال تعالي : ﴿ والسماء بنينها بأيد وإنا لموسعون ﴾[2] ثـم إلـي دورانهـا مختلفـا ، فـإن بعضـها يـدور بالنسـبة إلينـا رَحَوِيَّـةً ، وبعضـها حمائليـة ، وبعضـها دولابيـة ، وبعضـها يـدور سرعا وبعضـها يـدور بطيئاً ، ثـم إلـي دوام حركاتها من غير فتور ، وإلـي إمساكها مـن غير عمد تعمد بها أو علاقة تدلىبها ، ثم انظر إلي كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها ، فإن بعضها يميل إلى الحمرة ، وبعضها إلى البياض ، وبعضـها إلى لون الرصـاص . ثـم إلـى مسـير الشـمس فـي فلكهـا مـدة سـنة ، وطلوعهـا وغروبهـا كـل يـوم ، واخـتلاف الليـل والنهـار ، ومعرفـة الأوقـات ، وتمييز وقت المعاش عن وقت الاستراحة ، ثم إلـي إمالتهـا عن وسط السـماء حتـي وقـع الصـيف والشـتاء والربيـع والخريـف . وقـد اتفـق الباحثون علي أنها مثل الأرض آلاف المرات وفي لحظـة تسير أكثـر من قطر الأرض ، وقد وضح ذلك جبريل υ عندما سـأله رسول الله ﴿ ρ وآله﴾: ﴿ هل وجب الظهر ياجبريل ؟ فقال : لا نعم ، فقال لـه ﴿ ρ وآله﴾ ما معناه : ما هذا ؟ فقال له : من وقت لا إلي أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام ﴾ [2] أي مسافة يقطعها المُجِدُ في خمسمائة عام .

ثم انظر إلـي جرم القمر وكيفيـة اكتسـابه النـور مـن الشـمس لينوب عنها بالليل ، ثم إلي امتلائه وانمحاقه ، ثم إلي كسوف الشمس وخسوف القمر ! ومن العجائب السواد الذي في جرم القمر فإنـه لم يسمع فيه قول شاف إلي زماننا هذا وكذلك فـي المجـرة وهـي البيـاض الذي يقال لـه سرج السماء ، وهو علـي ذلك يـدور بالنسـبة إلينـا دورة رحويـة ، وليسـت تلـك الكواكـب المنثـورة فـي هـذا الجـو الفسـيح ولا

حركاتها المنتظمة حصلت باتفاق أو عبثا- تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا- بل في كل كوكب من الكواكب الصغيرة في عين رأسك خواص ومزايا وفوائد لا تحصي ولا تعد ، بحيث لو اختلفت حركة من حركات دورانها واختلفت عن مركزها لاختل نظام جميع العالم علوا وسفلا ، فسبحان الحكيم القادر الذي خلق الأشياء مرتبة منظمة .

و ربط أعلاها بأسفلها ، كما قال سبحانه وتعالي : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [2] فكل الكواكب السماوية مرتبطة بكل العوالم الأرضية ، فما من ذرة من الذرات من مركز الأرض إلي العرش إلا وهي مرتبطة بكل ذرة أخري متوقفة عليها بحكمة وتدبير وإرادة قال سبحانه وتعالي : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [2] ومع هذه الأطراف المتنائية والأجواء الواسعة تري الاتصال من كل العوالم علويها وسفليها حاصلا محسوسا ، فتري كل كائن فاعلا ومنفعلاً ، وكل ذلك بمشيئة الله وقدرته ، وهو الفاعل المختار لا شريك له ، كما قال سبحانه ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [2] فالكل فى الكل مسخر كما دبرته الحكمة وأبرزته القدرة ، والله أسأل أن يشهدنا آياته لتطمئن قلوبنا ، وتسكن إليه-سبحانه- نفوسنا آمين .

ثم انظر إلي ما بين السماء والأرض من انقضاض الشهب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والأمطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب ، وتأمل في السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع في جو صاف لا كدورة فيه ، وكيف حمل الهواء المجتمع من قطرات صغيرة حتي صارت كالجبال فتلاعب بها وساقها الله إلي المواضع التى أراد إحياءها فترش وجه الأرض ، وترسله قطرات متفاضلة لا

تدرك قطرة منها ليصيب وجه الأرض بلطف ، ولوصبه الله صبا لأفسد الزرع بخدشه وجه الأرض وهدم المنازل ، ويرسلها الله سبحانه وتعالي مقداراً كافيا ، لا كثيراً زائداً علي الحاجة فيعفن النبات ، ولا قليلاً ناقصاً عن الحاجة فلا يتم به النمو ، كما قال تعالي : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ (2) ثم انظر بعد ذلك إلي ما ينزله الله تعالي من الأمطار علي رؤوس الجبال وبطون الأودية ثم يجمعه سبحانه وتعالي فيكون سيلا جارفا ، تتلاقي فروعه المختلفة ومجاريه المكتنفة للجبال حتي تجتمع في مجري واحد ، فتجري منه الأنهار كالروح السارية بإذن الله تعالي في جسم الأرض فيحي الله بها الأرض بعد موتها ، فمنها ما يجري إلي الشمال ، ومنها ما يجري من الشمال إلي الجنوب ، بحكمة حكيم قادر ، وتدبير مريد مقدر وعناية معط وهاب.

و انظر الي ما ينتج عن ذلك من الخير العميم للنباتات والحيوانات و الإنسان ،
و ما يسهل به من المواصلات ، يسير الفلك المواخر فيها لنبتغي فضلا من ربنا-سبحانه- ولنشكره علي نعماه ، ولنعلم عدد السنين والحساب ، كما قال سبحانه وتعالي : ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (2) ثم انظر أيها الأخ بنور فكرك إلي اختلاف الرياح فإن منها ما يسِّخره الله تعالي ليحمل السحب ويسوقها إلي الأرض الميتة ، ومنها ما ينشرها ومنها ما يجمعها ، ومنها ما يعصرها ، ومنها ما يلقح الأشجار ويحمل البذور إلي المراعي والأودية بأذن الله تعالي ، ومنها ما يربي الزرع والثمار ، ومنها ما يجففها . ثم انظر إلي الأرض كيف جعلها الله قرار لتكون فراشا ومهادا ، ثم إلي سعة أكنافها وبعد أقطارها حتي عجز الآدميون عن اكتشاف القطبين للآن (2) مع ما أظهره الله تعالي علي أيدي الصناع من عجائب الآلات المسهلة للرحلة ، وما منّ الله به على العقول من استخدام البخار وتيارات الكهرباء والانتفاع بزيت البترول

والفحم المتحجر ، وما أمد الله به الأفكار من كشف خواص كثير من الكائنات النافعة لبني الإنسان ،و مع هذه التسهيلات فالإنسان عاجز عن علم أطراف الأرض المتنائية وهي مسخرة له بما فيها ، ولا يزال في الكائنات الحية الأرضية وفي الجمادات خواص لم ينكشف منها إلا النذر اليسير ، قال تعالي : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [2] فسبحان من لا يعلم قدره غيره ، ولا يبلغ الواصفون صفته .

**سجود الخيال وحيرة الألباب عن إدراك القادر الحكيم :**

إذا كان الإنسان المسخر له ما في السموات وما في الأرض عاجز عن إدراك الخواص الضرورية له ، كيف يحيط بالآيات الخفية عنه إلا بنور يهبه الله لمن يشاء بعد أن يوفقه للعمل بالقرآن المجيد والسنة المطهرة ، بعد هذا العجز البين الذي قام عليه برهان العيان كيف يمكن الإنسان العاجز أن يحيط علما بواجب الوجود .

العلي قدرا عن أن تدركه البصائر . المنزه قدرا عن أن تحيط به-سبحانه- الأرواح الطاهرة أو النفوس الزكية . فسبحانه من أعجز العقول عن إدراك حقيقة المعقول من الكون المحسوس، وأعجز الأرواح عن أن تحوم حوالي عزته وجبروته ، أوتشرف علي عليّ عظمته وكبريائه ، وإنما العجز عن إدراك حقائق الآيات الطاهرة وسر إبداعها وغريب إمدادها برهان علي سجود الخيال عن تمثيل هذا الجناب العليّ ، ودليل علي حيرة الألباب عن إدراك القادر الحكيم . وليس الإنسان وحده هو الطالب الحائر في عظمة هذا المقام العلي ، بل كل كائن من عوالم الملكوت الأعلي يطلبون الله كما نطلبه ، قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ :

﴿ إن الملأ الأعلي ليطلبون الله كما تطلبونه ﴾ وقال الله تعالي : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [2] .

**آيات القدرة الباهرة في الأرض :**

ثم انظر أيها المسترشد نظرا ثانيا تر ظهر الأرض محلا للأحياء وبطنها مقرا للأموات فتراها وهي ميتة كما قال الله تعالي : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [2] ثم أظهرت أجناس المعادن وأخرجت أصناف الحيوانات، قدرة باهرة وحكمة محيرة للعقول . ثم انظر يا أخي – نوّر الله قلبك – إلي صنع ربك –سبحانه- في أحكام الجبال الشامخات، التى جعلها الله – سبحانه وتعالي – أوتادا للأرض تمنعها من ان تميد ، ثم تأمل إلي إسكان الماء في الأرض وإيداع أوشال الماء في خزانات فوق قمم الجبال ، وجعل الأرض ذات مسام فتوصل تلك الأوشال إلي الواحات البعيدة عن الأنهار التى لم يقدِّر الله – سبحانه وتعالي – أن ينزل عليها الأمطار ، حتي إذا وصلت إلي تلك البقاع فكانت كعيون تجري علي سطح الأرض بقدرة اللطيف الرءوف وحكمة الرزاق الكريم . وقد تجتمع تلك الأوشال في الأماكن المرتفعة وعلي قمم الجبال وتجري مجتمعه حتي تتكون منها الأنهار ، فسبحان مُسخِّر السحاب ومُصرِّف الرياح ومُجرِي الأنهار .

**شئ من أسرار البحار وعجائبها**

ثم انظر إلي خفيّ الألطاف وجليّ الإسعاف تر البحار العظيمة كبحر الروم ( البحر الأبيض المتوسط ) وبحر القلزم ( البحر الأحمر ) وبحر فارس ( الخليج الفارسي )و بحر المانش وغيرها من البحار المتسعة كالمحيط الهندي تراها كخلجان صغيرة للمحيط الأعظم الذي يحيط بالأرض الذي يسمي بالمحيط الهادي ، وبحر الظلمات ( المحيط

الأطلنطيقي ) وتر اليبس كجزيرة في وسط هذا المحيط تتخللها خلجانه وتجري في جسمها الأنهار والعيون وتعلم أن اليبس من الأرض جزء صغير بالنسبة للمغمور من ماء المحيط لحكمة غفلت عنها أيها الأخ الراغب فيما عند الله . أشير لك إلي شئ من أسرار هذا المحيط الجلية المحسوسة . منها مزج الهواء بأجزاء متناسبة من الأبخرة المتصاعدة منها ليكون صالحا للتنفس ، و لولا ذلك لاختنق الأحياء ، ومنها حفظ عنصر الماء الزمن المقدر من أن يصير آسنا ، أونتنا والماء كما علمت سر حياة العوالم الحية ، وقدر الله تعالي بحكمته وتدبيره أن يجعل منه جزءا صالحا لحياة الإنسان والحيوان والنباتات ، وجعل لذلك أسبابا جلية لعقلك ، وواضحة لفكرك ، لا تختل ولا تفتر ، أحكم إبداعها وأكمل نظامها ، قدرها بتقديرها نافعة لكل حي وزيادة ، وما زاد منها عن اللزوم جري بقدرة الله تعالي وحكمته حتي يرجع إلي مصدره ومقره .

ثم انظر إلي ما في تلك البحار والأنهار من الكنوز التى أوجدها الله تعالي ذخيرة للإنسان ، قال الله تعالي : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [2] . فتري فيها أنواع الحيوانات والجواهر مالا يحصي عددها إلا الله تعالي . فما من صنف من أصناف حيوان البر إلا وفي البحر أمثاله وأضعافه ، وفيها أجناس لا يعهد لها نظير في البر .

ثم انظر إلي خلق اللؤلؤ في صدفة تحت الماء ، وإنبات المرجان واليسر في صميم الصخر تحت الماء وهو نبات علي هيئة شجر ينبت من الحجر ، ثم إلي ما عداه من العنبر ، وإلي أصناف النفائس التى يقذفها البحر وتستخرج منه ثم إلي السفن كيف سُيِّرت في البحار وسرعة جريها، وإلى إيجاد الأنهار ومعرفة الربان موارد

الريــاح ومهابهــا وســواقيها ، وعجائــب البحــار كثيــرة لا تحصـــي . والمؤمن البصير يكفيه قليل الحكمة .

**إبداع القدرة وإحكام الحكمة في المعادن :**

ثم التفت عن يمينك وانظر ما أبدعته القدرة وأحكته الحكمة من أنـواع المعـادن المختلفـة وأصـنافها المتفاوتـة التـى أودعهـا الله سبحانه تحت الجبال وجعلها كنوزا للإنسان ، وميز سبحانه وتعالي بين خواصها وفوائدها وألوانها وأشكالها فمنها ما ينطبع كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ، ومنها ما لاينطبع كالفيروز والياقوت والزبرجد . وانظر بفكرك إلى معادن الأرض كالنفط والقار والكبريت وأنواع النطرون والشب والبترول وغيرها ، وأقلها الملح الذي لو خلت منه بلد لسري الفساد إلي أهلها ، وتدبر ما أودعه الله تعالي في العقول من معرفة استخراج تلك المعادن وتنقيتها وكشف خواصها حتي انتفع بها الإنسان فسبحان الهادي الموفق .

**قدرة القادر وعجيب صنعة الصانع في النباتات :**

ثـم انظـر يـا أخـي إلـي أنـواع النباتـات المختلفـة الألـوان والأشكال ، وإلي أنواع فواكهها المختلفة الطعوم والروائح والألوان والأزهار ، وتأما إلي أنها غرست في أرض واحدة وسقيت بماء واحد ، وفكر في قدرة القادر الحكيم وعجيب صنع الصانع البديع ، وتدبر قولـه تعـالي : ﴿ وَفِـي الأَرْضِ قِطَـعٌ مُّتَجَـاوِرَاتٌ وَجَنَّـاتٌ مِّـنْ أَعْنَـابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [2] فسبحان من أنبت من أرض واحدة نباتا يسقي بماء واحد ويمر به هواء واحد مختلفا اختلافا بيّنا ، كالاختلاف بين العسل والخل والملح والصبر وغير ذلك من التفاوت ، ويُخْرج سبحانه من نواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ، ومن حبة بر واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة . هذا ولو تأملت إلي أرض البوادي وتشابه أجزائها وفكرت في حالتها إذا

أنزل الله عليها الأمطار فإنك تراها قد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، تنبت أنواعا متشابة اختلفت طبائعها وكثرت منافعها ، فما من ورقة تنبت من الأرض إلا وفيها منفعة أو منافع لا تحصي ، يقف فهم البشر دون إدراكها .

**عجائب تحير العقول :**

ثم انظر أمامك إلي ما أنعم الله به تعالي من أصناف الحيوانات وانقسامها إلي ما يطير ويقوم ويمشي علي بطنه أو علي رجلين أو علي أربع وما يعيش في الماء او الهواء أو جوف الأرض ، وما يعيش في الأودية والصحاري والغابات ، وما يعيش في النار كالسمندل ، وتعجب في أشكالها وألوانها وصورها وأخلاقها وأفعالها، تر عجائب تحير العقول ، وأعمالا تندهش منها الألباب من تشييد المساكن ، وادخار المآكل وتنظيم العيشة ، وإعداد العدة للطوارئ ، والحيلة لدفع الأعداء ، والسياسة العجيبة في جلب ما لا بد منه . ولو نظرت إلي أقل حيوان كالبقة او النملة او النحلة وتتبعت أعمالها لحكمت أن الإنسان في حاجة إلي تلقي دروس من تلك الحيوانات الصغيرة وكيف لا ؟ ولو نظرت إلي بناء النحلة بيتها ، وجمعها الغذاء ، وادخارها القوت للشتاء ، وحذقها في هندستها ونظرت إلي العنكبوت في نصبها الشبكة للصيد وتفننها في الحيلة لذلك ، لتحققت أنه ما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من الأسرار والحكم والخواص ما به يتحقق المؤمن بعجائب قدرة الله سبحانه وتعالي ، وغرائب حكمته ، وكان كأنه في معية الله تعالي لا يغيب عنها وشهد بعين بصيرته سر قوله سبحانه : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ﴾ (2) وشهد لطف اللطيف بكل خلقه حيث منح كل حيوان صغيرا كان أو كبيرا ما به يحفظ حياته ويجلب غذاءه ويدفع عن نفسه شر العدو والحر والبرد .

**النباتات وسط بين المعادن والحيوانات :**

و انظر – أيها الأخ الحاضر القلب- إلي ما حولك من النباتات التى جعل الله سبحانه ثمارها غذاء لك ، وأوراقها وأغصانها غذاء لحيواناك ، وسوقها تستعملها في مساكنك .

و آلاتك اللازمة لك ، وخزن لك فيها-سبحانه وتعالي – حرارة الشمس التى تتشعع علي الأفق لتستعملها عند حاجتك لها فتكون لك نارا تنضج بها خبزك وأدمك وتدفع بها عن نفسك قر البرد وتدير بها حركة آلاتك البخارية . وتفكر في قوله تعالي : ﴿ أفرأيتم النار التى تورون ءأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ [2] ثم تناول شراب التوحيد ورحيق الألطاف الإلهية من قوله تعالي : ﴿ فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقطباً وزيتوناً ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعاً لكم ولإنعامكم ﴾ [2].

خلق الله النباتات وسطا بين أنواع المعادن وأنواع الحيوان ، فجعلها – سبحانه – أكمل من المعادن ودون الحيوان ، فهي تزيد عن المعادن بالغذاء والنمو ،وتنقص عن الحيوان بالحس والحركة . واللطيف الخبير لم يهب لها موهبة الحس رحمة بها ورأفة عليها لأن الله رءوف لطيف رحيم ، وذلك لأن النباتات تصادمها الأجسام الصلبة ، ويقطع منها الإنسان الفروع والأغصان في كل حين ، وقد يقطع الشجرة قِطعاً قِطعاً ، فلو وهب الله لها الحس لكان ذلك تعذيبا لها ، فسبحان اللطيف الرءوف بخلقه ، غمر كل نوع من مخلوقاته برحمته فكما وسع الملائكة والإنس والجن برحمته ، وسع الحيوانات والنباتات والمعادن بها قال الله تعالي : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [2].

و لم يهبها الحركة لحكمة ولطف . أما الحكمة : فلأن الاشجار لو تحركت لأفسدت صغار النباتات والمساكن . ولطفه بها –

سبحانة وتعالي : أنها لو وهبت الحركة لأضر ذلك بها فسبحان اللطيف الخبير .

و انظر يا أخي إلي الحب والنوي إذا وضعتهما في الأرض الندية وأصابهما حر الشمس انشقا بقدرة الله تعالي وامتصا الأجزاء الصالحة من الأرض ومن الماء وتراكمت تلك الأجزاء عليها بحكمة الله وتدبيره وقدرته ، وصار لهما عروق وقضبان وأرواق وأزهار ، واصبحا شجرا عظيما ذا ساق وأغصان وفروع وثمر ، فسبحان الخلاق العظيم ما أعظم شانه وأوضح برهانه .

و أعجب من ذلك اختلاف روائحها فتري بعض الأشجار لها رائحة زكية ، وبعضها لها أزهار لا رائحة لها، وبعضها تكون أزهارها وأوراقها طيبة الرائحة ، وبعضها يكون جسمها طيب الرائحة ، وبعضها تكون لا رائحة لها فإذا احترقت فاح شذا عرفها ، وبعض النباتات تؤكل كلها ، وبعضها تؤكل أوراقها ، وبعضها تؤكل ثمارها وفاكهتها مع كثرة اختلاف اللون والطعم والشكل ، وما من ورقة من أوراق الأشجار إلا وهي تخالف الأخري ، فلا نري نوعا من أنواع النباتات يشابه الآخر .

و انظر إلي إبداع شكل الأزهار المختلفة مما تتحير الألباب فيه من قدرة القادر الذي أحكم هذا الصنع البديع ، فهي بهجة للأبصار ، وطيب لعضو الشم ، ولذة لعضو اللمس ولعضو الذوق ، وشراب وغذاء ، ومشهد لعلي الآيات ، ومظهر لسر التجليات لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد .

**الإنسان شجرة الرب سبحانه :**

و هنا إشارة بديعة تشير إلي أن الإنسان شجرة الرب وأن النباتات شجرة الإنسان ، ولذلك فإنك تري يا أخي الإنسان رأسه في

العلو وأغصانه مدلاة علي الأرض ، فهو يتغذي وينمو وباب الغذاء عند رأسه ، والأعضاء الباحثة عن جودة الغذاء وطيبه عند رأسه ، فالأنف يشم الطعام قبل إدخاله في الفم ثم يأذن بقبوله ، والعين تنظر إليه قبل إدخاله ثم تحكم بجودته ، والسسان يذوقه قبل بلعه ثم يري صلاحيته فيرسله إلى المعدة ، والأسنان تهضمه الهضم الأول. وكذلك النبات فإن رأسه في جوف الأرض وله عروق شعرية كاشفة ، وعروق نباتية ماصة ، فإذا وجدت الرطوبة دنت فمصت وإذا وجدت اليبوسة انكمشت وتحولت ، وكما أن الإنسان يمرض بترك الأكل أو بفقده فكذلك النباتات تذبل بفقد الغذاء ، فالراغب في نيل مشاهدة الله تنكشف له تلك الآيات فتجلي له معاني التجليات قال الله تعالي : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [2] .

**نموذج من فهم الناس لزهرة واحدة :**

ولو كتبنا ما يفهمه أنواع الناس في زهرة واحدة لما وسع ذلك مجلدات ضخام ، أورد لك نموذجاً من ذلك : لو أن عالماً كمياويا أخذ زهرة وحللها وكشف ما فيها من أنواع المعادن والغازات المختلفة والجواهر ذات الرائحة الطيبة ، وعضو الذكورة والأنوثة فيها ، ثم بين خواص كل نوع منفردا ، وخواصها مجتمعه . وجاء الطبيب فبين لنا ما تزيله من الأمراض ، وما تفيده من تنبيه القوة ، وما يحصل منها من الضرر إذا لم تستعمل بحكمة ، وتأثيرها علي الأجسام الحيوانية والمعادن . وجاء الشاعر العبقري والناثر البليغ فوصفها بالعبارة وصفا يمثلها بالخيال بأكمل حقيقتها. وجاء المصور فرسمها رسما نظريا . وجاء الفيلسوف فشرح لنا قواها القابضة وما فيهامن الرطوبات ، وأبان لنا عن توسط عناصرها وامتزاجها ، وعما فيها من قوة الإدراك التى تتحول بها إلي الشمس شروقا وغروبا ، والخواص التى بها هذا التجاذب الغريب . ثم جاء الحكيم العارف بالله تعالي فأبان لنا أسرار عجائب قدرة الله وشرح لنا الآيات الظاهرة فيها

بعباراته الروحانية وإشاراته القدسية لما وسع ذلك مجلدات ، وهذا في زهرة صغيرة .

و ربما دخل الإنسان روضة فتحت أزهارها ، وتناجت أطيارها ، وتمايلت أغصانها وجري الماء تحتها في أخاديد كأنه سبائك الفضة يجري في جداول في مسك ، فلا يلتفت لفتة متدبر ، ولا ينظر نظر مستبصر ، ولا يصغي لتسبيح تلك الأزهار لمبدعها الحكيم القادر لغفلة قلبه وعمي بصيرته ، فسبحان الظاهر الذي لا يحجب عن الأفكار لظهور آياته . الباطن الذي لا تدركه الأبصار عُلُوّاً وعظمة وكبرياء وهو اللطيف الخبير .

## أقسـام النباتات

اعلم يا أخي – من الله عليك بنور الفكرة حتي تشهد آياته الظاهرة في السموات والأرض – أني لم أجعل هذا المختصر لأشرح فيه جُمل علم النبات ، بل لألمع فيه ما ينبه فكرك لتلك الأسرار الخفية عن الغافلين ، المحجوبة عن الجاهلين ، ولتتميم الفائدة المقصودة من كتابي هذا أشرح لك مالابد منه مما يضر جهله بالمفكر السالك في طريق الله العامل بكتاب الله تعالي ، فإن القرآن المجيد حثنا علي الفكر في كل ذلك ، وشنع - سبحانه- في كتابه علي الذين لا يعقلون ولا يتفكرون ولا يتدبرون ولا يستبصرون ولا يتوسمون ولا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون ، أعاذني الله وإياك أيها الأخ الفاضل من أن نكون محلاً لتشنيع الله وأهلا لما يوجب سخطه ، وجعلني الله وإياك وإخوتي المؤمنين ممن أثني الله تعالي عليهم ومدحهم وبشرهم ، آمين .

إذا تقرر هذا فأقول لك وبالله التوفيق : النبات قسمان شجر ، ونجم . وفي كل قسم من الخواص النافعة والأسرار الغامضة ما ثبتت به الحجة علي الوحدانية ، وظهرت به محجة الفكر للسير إلي حضرة القرب ، ولكن لأولي الألباب . فالأشجار ما لها ساق . والنجم مالا ساق له . والأشجار العظام كالحيوانات العظام ، والنجوم كالحيوانات الصغار ، وتري الأشجار العظيمة جدا لا ثمر لها كشجر الساج والدلب والعرعر لأن القادر الحكيم خلقها لينتفع الإنسان بخشبها ، فقدر سبحانه وتعالي أن تصرف جميع المادة إلى نفس الشجر وجعل مادة الأشجار المثمرة ينصرف بعضها للثمار وبعضها للشجر ، كما تري في الغالب حال الذكور والإناث في الحيوان فإن الذكر أعظم بدنا من الإناث للحكمة التى قدرها الله تعالي بأن جعل الأنثي محلا للحمل والوضع ، فتتجزأ المادة إلي غذاء الجنين وغذاء أمه . انظر إلي حكمة الله تعالي في خلق الأوراق كيف جعلها سبحانه زينة للأشجار ، ورفعها عن الثمار لتقيها حر الشمس وتدفع عنها قر البرد ، وفرَّق بين الأوراق لتتغذي الثمار من حرارة الشمس ومن رطوبة الهواء بحكمة حكيم قادر ، فليست متكاثفة علي الثمار فتحجب عنها مادة غذائها ، ولا بعيدة عنها فتفسدها شدة الحرارة والرطوبة ، ولو حصل ذلك لما تم نضجها ، فإذا نمت الثمرة وصلحت تناثرت الأوراق حتي لا تضعف الشجرة بامتصاص مائيتها ، كما تري في الحيوان إذا أكملت الأم رضاع ابنها أبعدته عنها ، فسبحان من ألهم النبات وعلم الإنسان ما لم يعلم ، ومن أراد تفصيل تلك الأنواع وفائدة خواص كل نوع فليطالع كتب المفردات لابن البيطار ، أو التذكرة لداود ، أو القانون لابن سينا أو غيرها من الكتب ، فإن مختصرنا هذا وضع ليقظة القلوب من الغفلة ، وتنبيه العقول من نومة الجهالة ، وبيان الواجب علي الإنسان لمولاه تعالي.

**النظر إلي ما في الحيوانات من الخواص والآيات :**

انظر إلي مالا بد لك منه مما لا يخلو منه منزل إنسان ، من الحيوانات الداجنة التى جعلها الله ليتغذي الإنسان ببيضها ولحومها ، وغيرها مما جعله الله للإنسان يتغذي بألبانها ولحومها وينتفع بأصوافها وظهورها وأوبارها وأشعارها . يسَّر الله لها الغذاء فتخرج صباحا إلي مراعيها وتعود إليك في المساء وقد خزن الله لك الألبان في ضرعها ، وبارك لك فيما تحمله في بطنها فكلها نافعة لك ، ومنها ما خلقه الله لتركبه وزينة لك . ولما كان قصدنا في هذا المختصر بيان الآيات الظاهرة الجلية ، وما بين كل مرتبة من مراتب الوجود و بين بقية المراتب من الاتصال ، ليكون ذلك نبراسا لفكرك تهتدي به في آيات مبدع السموات والأرض . فاعلم يا أخي – آنسك الله بشهود آياته الكونية ، وفقه آياته القرآنية – أن الحيوان وسط بين الإنسان والنبات ، فهو بالنسبة لغذائه ونموه أشبه النباتات ، وهو بالنسبة لأنه يحس ويتحرك أشبه الإنسان ، فتراه زاد عن النباتات بالحس والحركة ، ونقص عن الإنسان لأنه لم يهب له الوهاب النفس الناطقة ، لحكمة أكشف لك ظاهرها علي قدر ما يدرك عقل المريد المسترشد ، ووهب له الحس والحركة رحمة منه وفضلا ، وهذه القوي مَنَّ الله – سبحانه وتعالي – بها علي جميع أفراد الحيوان حتي انواع البعوض التى لا تُريَ بالعين المجردة ، بل ولا تري بالنظارات ٱلْمُعَظِّمَة ، وقد شوهد أن قطرة ماء آسن نُظِرَ إليها بنظارة معظمة فوجد فيها من أنواع الحيوانات المختلفة الألوان والأشكال مالا يحصي عدده ، ونظر في جو متعفن إلي جزء من الهواء بتلك النظارة بعينها فوجد فيه من أنواع الطيور المختلفة ما لايحصي عدده ووراء ذلك ما لايمكن أن يشهد بالنظارة لصغر حجمه ودقته ، وفي كل حيوان من تلك الحيوانات عيون تبصر بها ، وآذان تسمع بها وأرجل وأجنحة ورأس وقلب وأمعاء .

قال الله سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [2] صريح هذه الآية أن الله – سبحانه وتعالي – يضرب الأمثال ولو بأصغر حيوان لا تراه العين المجردة ، ولا يري بالنظارة المعظمة ، فيكون غيبا يصدق به الذين يؤمنون بالغيب وينكره الكافرون ، وقال بعضهم :

يا من يري مد البعوض جناحها   في ظلمة الليل البهيم الأليل
و يري عروق نياطها في نحرها   و المخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته   ما كان منه في الزمان الأول

و بالجملة ففي كل حيوان لا يشهد بالنظارة المعظمة من الأعضاء ما في أكبر حيوان فسبحان القادر الحكيم الذي لا تحصي آياته ولا تستقصي أسراره . هذا وفي كل حيوان من تلك الحيوانات فوائد ومنافع وخواص أو مضار ، بحسب تدبير الحكمة الإلهية وتدبير المشيئة الربانية .

**حكمة الحس والحركة للحيوان :**

أذكر لك – أيها الأخ البار – حكمة الحس والحركة اللتين وهبهما الله تعالي للحيوان: اعلم أن الله تعالي لما قضي لكل حيوان أمداً معلوما ، وأبدان الحيوان متعرضة للآفات المفسدة لها والمهلكة إياها ، اقتضت الحكمة الإلهية أن تهب لها القوة الحساسة لتشعر بواسطتها بُالْمُنافِي فتدفعه عن نفسها إذا أحست بألم ، فلولا هذه القوة لما أحس الحيوان بالجوع إلي أن يموت بغتة فجأة من عدم الغذاء ، ولكان إذا نام فأصاب يده أو رجله نار لم يكن يحس بها حتي ينتبه من نومه فإذا هو بلا يد ولا رجل . وأما الحركة فإن الحيوان لما كان محتاجا إلي الغذاء ولم يكن غذاؤه يحفه في جميع الأوقات اقتضت الحكمة الإلهية آلات الحركة ليتحرك بها إلي الغذاء ، ولولا القوة لاحتاج الحيوان إلي الغذاء ولم يقدر علي المشي إليه فمات جوعاً كشجرة لا تجد الماء حتي تجف، ولكان إذا أصابه آفة من حرق بقي علي مكانه حتي

يدركه الغرق أو الحرق . ولما كانت الحيوانات بعضها عدو لبعض اقتضت الحكمة الإلهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسه من عدوه ، فمنها ما يدفع العدو بالقوة والمقاومة كالفيل والأسد والجاموس . ومنها ما يسلم من عدوه بالفرار فأعطي آلة الفرار كالظباء والأرانب والطيور ومنها ما يحفظ نفسه بسلاح كالقنفد والشهم والسلحفاة . وما يحفظ نفسه بحصن كالفأر والحية والهوام . ومقتضي الحكمة الإلهية أن الله تعالي خلق لكل حيوان من الأعضاء ما يتوقف عليه بقاء ذاته ونوعه لا زائدا ولا ناقصا ،و لذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها وتنوعت أنواعها بأنواع كثيرة .

روي عن سيدنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ أنه قال : ﴿ إِنَّ الله تَعَالَي خَلَقَ فِي الأَرْضِ أَلْفَ أُمَّةٍ ، سِتَّمِائَةٍ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ وَأَرْبَعَمِائَةٍ مِنْهَا فِي الْبِرِّ ﴾[2] ومن أراد أن يري بعض الأنواع التى تحيط به من الحيوانات فليوقد ناراً في وسط غيطه بالليل ، ثم ينظر ما يغشي تلك النار من أنواع الحيوانات فإنه يري صورا عجيبة وأشكالاً غريبة لم يكن يظن أن الله خلق شيئاً منها في العالم . علي أن الذي يغشي تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحاري ، فإن سكان كل بقعة تخالف سكان غيرها ، وما يعلم جنود ربك إلا هو ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه لا إله إلا هو سبحانه .

**الوصول إلي مقام القرب والفوز بحقيقة الحب :**

فإذا نظرت يا أخي إلي هذا الفضل الواسع ونظرت إلي ما فيه من آثار رحمة ربك سبحانه ، وتأملت فوجدت طبقات الأرض لا تخلو من الحيوان ، وفسيح الأجواء لا يخلو من الحيوان ، وأعماق البحار عامرة بالحيوان ، بل والغابات والأودية وقمم الجبال ، بل وأجواف النيران لا تخلو من الحيوان ، وبطون الصخور ، وأدركت الحكمة في إبداع تلك الكائنات وكيف رفع السماء وخلق الإبل ، وكيف نصب

الجبال وكيف بسط الأرض ، وشاهدت الاتصال بين مراتب الوجود ، علمت كيف تتقرب إلي واجب الوجود ومقتضي تلك النعمة علي كل موجود ، وعرفت قدر نفسك بالنسبة لجنابه العلي فسبَّحته بلسانك وقلبك وشكرته بجوارحك وأعضائك ، وتحققت العجز عن إدراك حقيقته ، وابتغيت الوسيلة إليه ، وفوضت جميع أمورك إليه متوكلا عليه سبحانه ، وفررت منك ومن كل من سواه حتي تصل إلي مقام القرب وتفوز بحقيقة الحب ، قال الله تعالي : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2) وخوفاً عليك أيها الأخ من الملل أقتصر علي ما بينت لك مما ينبه فكرك ويوقظ قلبك ويلفتك إلي معادك ، وما تعرف به أن الله تعالي سخر لك ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، فتخلص له العبادة كما قال الله تعالي : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ (2)
.

**جـاهد تشـاهد :**

فإن دعاك داعي العلم إلي تحصيل أسرار الكائنات وعلم ما خفي في تلك الآثار فجاهد نفسك وزكِّها ، واعمل بما علمت يورثك الله علم ما لم تعلم ، ولا تطمع يا أخي أن ينكشف لك سر فوق مدارك فكرك وعقلك إلا بجهاد أكبر في ذات الله، وعمل في سُنَّةٍ ماضية علي صراط مستقيم ، لا في بدعة محدثة وطريق معوج ، ولديها تظهر لك خفيات الأسرار من تعلق سر القيوم بكل شئ ، وشروق انوار القادر في كل شئ ، وانبلاج أنوار الحكيم فيك وفي الآفاق ، ثم ترفع ستارة الوهم عن الخيال ، ويزول حجاب التقييد عن الإطلاق ، وتظهر لك حقيقة قوله تعالي : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ (2) يعلمك سر التسخير وحكمة التدبير ، فتكون لك ما تشاء عند ربك، ويكون ربك سبحانه وتعالي أقرب إليك من حبل وريدك ، بل وأقرب إليك من كل محيط بك ومشهود لك ، يستجيب لك لاستجابتك له ، ويواجهك بمواجهتك له ، ويقبل عليك بإقبالك عليه

سبحانه وتعالي ، وكل ذلك فضل منه سابق . قدر ذلك أزلا وأمدك بالمعونه والتوفيق حتي صرت إنسانا كاملا أو صديقا. وقد ألمعت إليك يا أخي في الكتب السالفة بشئ من مجاهدة النفس في الذكر والفكر ، وبينت لك الطريق المستقيم وشرحت لك المقامات والأحوال فيما كتبته لك- أيها الأخ- من الكتب الجامعة لمقامات الأئمة وأحوالهم وعباراتهم وإشاراتهم ، وفقني الله وإياك لما به نجاة أنفسنا مما يوبقهان ومن الله علي وعليك بالعمل بالكتاب والسنة ، وعلمني الله وإياك علم ما لم نعلم إنه مجيب الدعاء .

**النظر في الإنسان**

أُفْعِمَت الدفاتر بشرح خواص الإنسان ، فلم يبق طبيب ما هر إلا وشرح حقيقة جسمه وبين أسرارها ، وفصل أعضاءه وبين وظائفها وما يحفظ عليها صحتها وما يعيدها إن فقدت ، فما من مفصل من المفاصل ولا وريد ولاشريان ولا عضو من الأعضاء العاملة إلا واختص به طبيب ماهر ، حتي صار للسن طبيب خاص ، وللجلد كذلك ، فلم يبق فيلسوف إلا وجعل الإنسان كعبة بحثه ، وأظهر غوامض أسراره ، وقام علماء النفس فبينوا أنواع النفوس وما يحفظ عليها صحتها وما يعيدها عليها إن فقدت ، وقسموا فضائل النفس ورذائلها وما به ترقي إلي منازل كمالاتها حتي يكون الإنسان إنسانا حقيقيا بمعناه . وكل تلك العلوم مأخوذة من القرآن الشريف ، لأن الله سبحانه وتعالي بينها بصريح العبارة ، حيث جعل الإنسان خليفة لجنابه العلي ، وصورة مذكرة لحضرته العلية ، ومخلوقا منحه القوة علي ان يتحمل الأمانه ، وجعله سبحانه وتعالي إن زكي نفسه وطهرها ووفي بعهده وعمل بما أمره يجلس يوم القيامة علي كرسي من نور حول العرش في جوار ربه جلت قدرته وتنزهت ذاته ، وإن ظلم نفسه وخالف أمر ربه وجحد نعمة المنعم هوي في هاوية البعد ولظي القطعية وأليم العذاب ، ولما كان هذا المختصر وضع ليقظة القلوب أحببت أن أتكلم علي الإنسان بما يناسب هذا المقصد .

**الإنسان :**
الإنسان هو النوع الوسط بين الملائكة والحيوانات ، فهو بالنسبة لغذائه ونموه وحسه وحركته حيوان . وبالنسبة لإدراكه وقوة تصديقه بالغيب وتخيله الغائب بالمشهود ورقيه في مراتب العلو حتي يدرك ما وراء المادة ويبلغ درجة أن يانس بالمفارق ملك مقرب ، هذا هو الإنسان . فالإنسان حان الشراب للسالكين ، ودنان الراح للواصلين ، والشراب الطهور للعارفين ، ظهر مبناه وغاب معناه . وإن الإنسان بمعناه لا بمبناه . وكم من وحش كاسر وشيطان ماكر وخنزير سفاد في صورة إنسان . وكم من ملك روحاني وكروبي هائم في جلال ربه وعالٍ آنس بمعية مولاه في صورة إنسان . فمن وقف عند الصورة وحكم عليه قال : حيوان . ومن نظر بعين البصيرة إليه قال : مخلوق تخدمه الملائكه ، ووليّ تولاهّ الله ، ومحبوب قربه الله ، وإنسان سخَّر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعا منه . الإنسان صوَّرة الله بيده طينة صلصاليةّ ، ونفخ فيه من روحه القدسيَّة ، وأسجد له ملائكته فقر بهم بسجوده وعلمهم ، وأبى السجود له إبليس فأقصاه وأبعده لتركه السجود للإنسان . الإنسان قرب الله به من قرَّب وأبعد من أبعد .

الإنسان صوّره الله وهو منيٌّ في رحم أمه فهو المصور لأبيه أوّلا والمصور لكل إنسان ثانيا ، قال الله تعالي : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [2] .و قال سبحانه وتعالي : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء﴾ [2] الإنسان جمع الله فيه الضدين ، وأقامه حجة علي عجز العقول عن اكتناه الغيب . جمع فيه العناصر المختلفة حقائقها المادية ، وبين الروح المجردة الكاملة النوارنية ، فألفت الروح العناصر وهي مفارقة لها ، فسبحان القادر الذي لا يعجزه شئ . الإنسان مركب من النفس والبدن ، وهو الوسط وخير الأمور الوسط ، ولذلك كان أهل القرآن خير بني الإنسان لأنهم أمة وسط . ركبه الله في أحسن صورة روحا وبدنا . وميزه بالنطق والعقل

سرا وعلنا . زين ظاهرة بالحواس والحظ الأوفي ، وجمل باطنه بما هو أشرف وأقوي . ومنحه الذكر والفكر والحفظ .

فالإنسان مملكة عظيمة وعالم صغير : النفس ساطان المملكة والعقل وزيرها والقوي جنودها ، والحس المشترك صاحب بريدها ، والأعضاء خدمها والبدن كله محل المملكة ، والحواس تسافر في جميع الأوقات في عالمها ، وتلتقط الأخبار الموافقة والمخالفة تعرضها علي الحس المشترك الذي هو واسطة بين النفس والحواس ، لأنه بواب المملكة وهو يعرضها علي القوة العقلية لتختار ما يوافق وتطرح ما يخالف ، فسبحان من جعل هذا الجسم الصغير عالماً تنطوي فيه العوالم .

إذا تحققت هذا يا أخي وعلمت أن للإنسان جهات شتي : جهة يكون فيها مُقَرَّب من الله آنس بشهود جماله سبجانه وتعالي ، وجهة يكون بها في روضات الجنات ، وجهة يكون بها في أسفل سافلين مع مردة الجِنَّة والشياطين ؛ ونظرت بعين بصيرتك فيما انطوي في هذا الجسم الصغير من الأسرار والحكم ثم جاهدت نفسك أن تنكشف لك أسرار النفس وكيف تعلقها بالبدن ، أمتصلة هي أم منفصلة ؟ وهل هي جوهر أم لا ؟ وأين مكانها منه إن كانت متصلة ؟و ظهرت لك من غرائب أسرارها أنها ليست جوهرا ولا عرضا ، ولا محل لها في الجسم ، وانها تعلقت به تعلق تدبير ، فإنك إذا رأيت أنها تقبل صور الكائنات كلها معقولها وغير معقولها ، ماديها ومجردها ، وتحفظ ذلك ولا يمنحي بقبول غيره ، ظهر لك أنها ليست جوهرا وليست عرضا لأن العرض لا يقوم به غيره ، ثم تدبرت أفعالها الخاصة بها حكمت علي نفسك بالعجز عن إدراك حقيقتها ، سر قوله تعالي : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (2) . عند ذلك تحققت بعجزك عن إدراك ربك سبحانه وتعالي ، لأنك عجزت عن علم حقيقة مخلوق من مخلوقاته ، فكيف تحيط علما بالخالق ، تنزه وتعالي عن

أن تدركه الأبصار أو تحوم حوالي عزته وعظمته الأرواح الطاهرة والنفوس الزكية.

إذا صرف الإنسان همته يا أخي إلي جهة من تلك الجهات المتقدمة لالتحق بها . فإن وقف همه علي حظوظ البهيمية رضي من أمر دنياه بالتغذي وتنقية الفضلات ، وإن صرفها إلي الحيوانيه كان إما غضوبا كسبع أو أكولا كبقر ، أو شرها كخنزير أو جرعا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب ، أو جامعاً لكل تلك الصفات فيكون شيطانا مريدا وهو في صورة إنسان .

فلا تغتر يا أخي بالصورة ، فكم من إنسان جميل الصورة ذي هيئة وبزة ومال يعظمه الناس ويكون يوم القيامة أقل من الذر ! وإن صرف همته إلي الجهة الملكية يكون متوجها إلي العالم الأعلي ولا يرضي بالمنزل الأسفل والمربع الأدني ، فيكون مرادا بقوله عز وجل : ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [2] . والله الموفق . وبذلك فضل كثير من العلماء الإنسان الكامل علي الملائكة ، وذلك لأن الملك روح مجردة والإنسان دائم الجهاد لم يخلص من مقتضيات عناصره ودعوات حظوظه وشهواته مما لا خلاص منه إلا بشق الأنفس ، قال الله تعالي : ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ [2] فأنت أيها الأخ الراغب فيما عند الله تبلغ بجهادك الأكبر درجة تكون بها أفضل من الملائكة لأنك مجاهد وهم ليسوا بمجاهدين .

### الفكر في الإنسان

تقدم الكلام علي النفس في : ( معارج المقربين ) وشرحنا فيه جملا تتعلق بالنفس الناطقة الملكية ، وألمعنا إلي شئ من أفعالها الخاصة بها

إجمالاً ترغيبا لطالب المزيد وتعليما للمسترشد نكتفي به عن إعادته في هذا المختصر ، لأن القصد فيه يقظة القلوب من نوم الغفلة وشحذ الفكر ليجول في هذا العالم الفسيح جولة يرجع منها بقبس الأنوار التى تبين له مناهجهُ وتزكو بها نفسه ، ويكون بها ممن أثني الله تعالي عليهم بقوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[2] . وقوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2] وغيرها من الآيات التى مدح بها المتفكرين في آياته وشكرهم وأثني عليهم ، حيث أن المقصود البحث عن النفس بحثاً يؤدى إلى الفكر، فالواجب علىَّ أن أتكلم علىأنواع النفوس وعلى أفعالها الخاصة بها ، وأبين هل يمكن أن تكون نفسا واحدة مسارعة إلي جناب القدس الأعلي مقبلة علي الله سبحانه وتعالي أولا اعلم أن النفوس سبعة أنواع : نفس جمادية ، ونفس إبليسية ، ونفس نباتية ، ونفس حيوانية ، ونفس ملكوتية ، وروح قدسية ، ونفس كلية ، وبحثنا هنا في الأنواع التى تكون في الإنسان .

**قوي النفوس :**

اعلم – أيها الأخ المسارع إلي مغفرة ربك ، الراغب أن تفوز بالنعيم المقيم في جنات عرضها السموات والأرض كما قال الله تعالي : ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [2]أن الإنسان أول ما يخرجه الله تعالي من بطن أمه يكون مجردا عن قوي النفوس كما قال سبحانه وتعالي : ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [2] فأول ما يجعل الله له من قوي النفوس الغاذية التى بها يتغذي لأنه كان في بطن أمه كالنبات يتغذي بالامتصاص ، وليس ذلك يمنع من أن يكون متجملاً بِقُوَّتي الحس والحركة ، ثم يجعل الله له قوي الحس بأنواعها ، فيحس بها الملموس مثل الحرارة والبرودة والطعوم والروائح والأصوات والألوان والمبصرات ، ويجعل له قوة الميل في قلبه فيشتاق إلي ما يحبه أو يكرهه ، ثم يجعل له سبحانه قوة أخري هي القوة المتخيلة يحفظ بها

مارسم في نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة هذه الحواس لها ، و هذه القوة المتخيلة تركب المحسوسات بعضها علي بعض ، وتفصل بعضها عن بعض تركيبا وتفصيلا مختلفا بعضه كاذب وبعضه صادق ، ويجعل الله له في قلبه قوة ميل إلي ما تخيل أو عنه ، ثم بعد ذلك يجعل الله فيه القوة الناطقة التى هي النفس الإنسانية : ( الحقيقة الخاصة للإنسان المميزة له عن بقية أنواع الحيوانات ، وهي التى يمكن أن يعقل بها المعقولات ويميز بين الجميل والقبيح ، وبها يحوز العلوم والصناعات ) ثم يمده الله سبحانه بقوة في قلبه يميل بها إلي ما يعقله ويشتاق إلي أن يتجمل بالحكمة وأسرارها .

**أعضاء تلك القوي :**

و لكل نوع من تلك القوي أعضاء منها رئيس ومنها مرؤوس مسخرة بقدرة الله تعالي وحكمته ، ولسنا في حاجة إلي تفصيلها وإن كان المريد الصادق يحب أن يشهد الآيات الظاهرة في نفسه الدالة علي حكمة الحكيم القادر وتدبير الصانع المبدع ، ليكون ذلك أدعي إلي كمال معرفته وإخلاصه في العبادة لربه سبحانه ، وصرف جميع أوقاته في الاشتغال بشكره سبحانه . فأشير إلي ذلك بالماع خفيف : إعلم – يا أخي – أن القلب ملك المدينة يرُأس ولا يرأس وتحته رؤساء أتباع له ، فالقوة الغاذية رئيسها في الفم وخدمها متفرقة في سائر الأعضاء مثل المعدة والكبد والطحال والأمعاء ، والمثانة التى تخدم الكلية ، والكلية التى تخدم الكبد والكبد الذي يخدم القلب ، وعلي هذا تتركب القوة الغاذية . والقوة الحاسة ورئيسها القلب وخدمها الحواس الخمس المشهودة عند الجميع المتفرقة قواها في العينين والأذنين والأنف وفي اللسان وفي الراحتين ، وكل عضو من هذه الخمس يدرك ما يخصه فكأنها أصحاب أخبار موكل كل عضو منها بأخبار ناحية من نواحي المملكة. والقوي المتخيلة محلها القلب ليس لها خدم و هي حاكمة علي المحسوسات تفرد بعضها عن بعض ، وتركب بعضها إلي بعض بحالة قد تكون موافقة للمحسوس أو مخالفة

له . واما القوة الناطقة فهي الرئيسة علي الكل لا يرأسها شئ . وأما قوة الميل إلي الشئ أو عنه التى تسمي بالنزوع ، وهي القوة التى تشتاق إلي الشئ أو تكرهه . وبها تكون الإرادة ، فإن الإرادة ميل إلي ما أدركته أو عنه وهذه القوة لها خدم فإنها تتلقي نتائج أفعالها الخاصة إما بالحس او بالتخيل أو بالقوة الناطقة ، وتحكم فيه بأنه ينبغي أن يؤخذ أو يترك ، والميل قد يكون إلي علم أو عمل أو ترك والعمل إما بالبدن جميعه وإما بعضو منه ، فالميل الحقيقي يكون بالقوة النزوعية لأن محلها القلب ، والأعمال بالبدن تكون بقوي منبثة في جميع أعضاء البدن من القوي الرئيسية ، فسبحان من حير الألباب وأدهش العقول بما أبدعه بقدرته وحكمته ونظمه بإرادته وتدبيره ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [2] .

و لو أني فصَّلت لك يا أخي كيف ينـزل الطعام في المعدة ثم تتولي خدمته القوي المنبثة فيها من القادر الحكيم ، وبينت لك أنه سبحانه جعل في المعدة أنهارا من عسل يصب علي ما تأكله من الأملاح مزاجا متناسبا ، وأنهارا من خَلٍّ وأخري من ماء ملح، وأخري من ماء حرِّيفٍ وأخرى من ماء مر ، ليعتدل غذؤاك في معدتك ، وتلك الأنهار تجري من غدد تصب عند اللزوم – بحكمة وتدبير – المقدار المطلوب بميزان وتدقيق ، بحيث لو نقصت نقطة أو زادت اختل توازن الأمزجة وحصل المرض للجسم . ولو علمت أن الله سبحانه وتعالي جعل للمعدة حركة لا تفتر سواء كنت نائما او متحركا يصير بها الغذاء قطعة واحدة ولونا واحدا وطعما واحدا سهل الامتصاص والإنحدار ، وعلمت كيف جعل الله بين المعدة وبين الأمعاء من الصمام الذي يفتح عند اللزوم ويقفل عند اللزوم ، فلا يفتح إلا بعد تمام هضم المعدة واشتياق الأمعاء بعد فراغها إلى الطعام ، لتحققت أن الله جعل ملائكته تتولي هذا العمل النافع بتدبير وترتيب ونظام، ولا لوم عليّ إن قلت ملائكة فإن الملك هو قوة مسخرة بإذن الله تعالي: ﴿لَا

يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (2) وهذا النظام العجيب والترتيب الغريب لا يكون اتفاقا ، تعالي الله عما يصفه الواصفون .

و هذا نَذْيرٌ يسير من الآيات المتعلقة بالمعدة ، فكيف لو ألمعت إليك بأفعال الأمعاء ومسامها الشعرية التى تمتص الصالح من الغذاء عند انحداره من المعدة إلي الامعاء ، وعلمت أن الأمعاء منها ما هو طولك ثمان عشرة مرة ، ومنها ما هو طولك اثنتا عشرة مرة ، وأن الطعام يمر في كل جزء منها ويمتص منه كل جزء من تلك الأجزاء مواد تغاير الأخري ، وما يمتص تقوم الكلية فتمتص منه المائية فتنقيه من الماء ، ويقوم الطحال فينقيه من الكدر ، وما صفا منه يذهب بقوة الله تعالي إلي الكبد فيطبخه طبخا جيداً ويصبغه بالحمرة ثم ينتقل إلي القلب ، وهناك يطهرة الله تعالي بالتنفس بواسطة الرئتين ، ثم يصرفه الله سبحانه وتعالي من القلب إلي جميع الأعضاء بحكمة وتدبير وقوة مدبر ، فيصرف الى العين ما يناسبها من الغذاء وما يصلح الحدقة ، وإلي الأذن كذلك ، وإلي الأنف وإلي بقية الأعضاء بمقادير متناسبة، بحيث لو كان اتفاقا وتحول ما يغذي الفخذ إلي العين لأصبحت العين ناتئه مفسدة بقوتها مشوهة للوجه ، وأصبح الفخذ كغلاف الزهرة ، فسبحان الحكيم القادر العليم . تنبه أيها الأخ فما خُلقتِ عبثا لأنك حملت الأمانة، وما خلقت لكتون ترابا لأنك خلقت لتكون أبدي الوجود ، فلا تنظر إلي آيات ربك وحكمه نظرة الغافل اللاهى الذي لاهمّ له إلا شهوة بطنه وفرجه أو أهل الغواية الذين يجمعون الأموال لكبت الأعداء وإساءة الحساد والعلو في الأرض بغير الحق ، أو أهل الضلالة المترفين الذين يعتقدون أن هذه الدار لادار بعدها .

**آلات العلـم :**

اعلم – يا أخي – أن علم الشئ قد يكون بالنفس الناطقة وقد يكون بالمتخيلة وقد يكون بالإحساس ، فإذا كنت- أيها الأخ- ملت إلي تحصيل علم للنفس الناطقة ، فإن ذلك العلم لا يمكنك أن تتحصل عليه

إلا بقوة أخري في الناطقة ، التى نحن في صددها وفي الحث عليها ، وهي القوة الفكرية التى تكون بها الفكرة والروية والتأمل ، وهي الضالة المنشودة لنا . أسأل الله تعالي أن يمنّ علينا بالشوق إلي علوم النفس الناطقة ، ونمو قوة الفكر ، حتي يحصل الاستنباط ويثلج القلب بالإيمان بالغيب ، وإن كان الميل إلي علم شئ يدرك بالإحساس كان الذى نناله به فعل مركب من عمل بدنيّ ونفسانيّ ، وقد اشتقنا إلي رؤية شئ احتجنا إلي رفع الأجفان ، فإن كان بعيداً مَشَيْنا إليه ، وإن كان مستورا رفعنا عنه ستارته بيدنا ، فالإحساس نفساني والحركات بدنية .

و هكذا يمكنك – أيها الأخ الحكيم المتدبر – أن تجول بفكرك جولة في الآفاق وفي نفسك وفي الأرض حتي يتبين لك الحق ، وعندما تحصل لنفسك البهجة الحقيقية واللذة الحقيقية التى لانسبة بينها وبين الملاذ الحسية بوجه من الوجوه ، وتسري تلك البهجة من النفس الناطقة إلي بقية النفوس والقوي التى جعلها الله فيك ، حتي تكون أيها الأخ ، وبكل قوة من قواك مقبلا علي الحق ناهجا علي الصراط المستقيم ، كما قال الله سبحانه وتعالي : ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [2] وتكون مسلما حقيقيا بكل معاني مادة (( أسلم )) من التسليم والاستسلام والسلام والسلامة والسلم والإسلام ، وتكون علي ملة أبيك إبراهيم عليه السلام كما وصاك ربك سبحانه وتعالي فيجملك ربك بحلة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [2] وتتحقق بقوله تعالي : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2] ويمنحك الله الروح الملكية التى تقتدي بها جميع قواك ، وتتشبه بها النفوس التى قامت بها حقيقتك ، ولديها تتحد تلك النفوس في الوجه ، وتكون كنفس واحدة و تكون أيها الأخ مَلَكاً في صورة إنسان ، تشرق أنوارك علي الملكوت الأعلي بما يصعد إليه من أفعالك الملكية ، وأحوالك النبوية ، وأعمالك الشرعية ، وعقيدتك الحقة ، ولديها تشتاق إلي الموت لا لأنك تموت ولا لأن الموت يكون

لـه سـلطان عليـك بـل لتتصـل بــ ﴿الَّـذِينَ أَنْعَـمَ اللّهُ عَلَـيْهِم مِّـنَ النَّبِيِّـينَ وَالصِّـدِّيقِينَ وَالشُّـهَدَاء وَالصَّـالِحِينَ وَحَسُـنَ أُولَـئِكَ رَفِيقـاً﴾ [2] وتفـارق المفارق لك من بني جنسك وإن كـانوا مشـاكلين لـك فـي الصـورة لأن المجانس لك في الصورة فارقك في الاعتقاد والقول والعمل والحـال ، والمفارق لك في الصورة وهو عالم الملكوت الأعلي صار مشاكلاً لك فيما تقدم ، قـال الله سبحـانه وتعـالي : ﴿قُلْ إِن كَانَـتْ لَكُمُ الـدَّارُ الآَخِـرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَـةً مِّن دُونِ النَّـاسِ فَتَمَنَّـوُاْ الْمَـوْتَ إِن كُنـتُمْ صَـادِقِينَ وَلَـن يَتَمَنَّـوْهُ أَبَـدًا بِمَـا قَـدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ﴾ [2] وقـال ﴿ ρ وآلـه﴾ : ( المـوتُ تُحْفَـةُ المـؤْمِنِ ) [2] وكــان الصــحابة وأهـل العلـم بــالله تعـالي مـن التــابعين وغيرهم يلقون بأنفسهم علي الأعداء عند الجهاد حنيا إلي لقـاء الأحبـة سيدنا محمد ﴿ ρ وآله﴾ وحزبه وفـي المقـام تـنفخ فيك روح مـن القـدس يمدك الله بها فتكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

**أسرار هذا المقام :**

و أسرار هذا المقام غامضـة ، وأحوالة خفية، وعلومه قلبية ، ولايمكن الإشارة إلي شئ من ذلك في مثل هذا المختصر وقد ألمعت إلـي هذا المعني في الأبيات الآتية :

**في هيكلي سر غيب لا بتحد بحيطة او حلول او بتجريد**

سر علي عن الإدراك ظاهرة
بعين قلبي أرآه وليس له
إذا تجردت عن قيد العناصر في
و عن خيال به المعني ممثلة
يلوح في جمال عين صورته
به أري الوجه ما وليت مشرقة
يا صورة الحق والأسرار
غامضة
إليك طال حنيني بعد معرفتي
يا نفحة القدس في شور حوي
حكما
إليك قد ألهت نفسي وبغيتها
حتي اكون بلا كون يقيدني
أواه لي ساعة لولا العناصر قد
لكن نفسي في أنسي محصنة
و في معية فرد الذات سابحة
جلا النفس بعد يقينها بشهودي
و طهرتها التحقيق بالغيب عندما
و بهجتها مرأي جمالي منزها
لديها هي النفس الزكية جملت

ينبي بعلم به قد صح توحيدي
كيف يمثله سري بمشهودي
فك الطلاسم عن وهمي وترديدي
و عن عناصري الأولي وتقيدي
منزه لابيد أو بتجديد
أنواره ليسويدا القلب بشهودي
عن العقول بدرك أو بتعدين
هل من شهود بمحض الفضل
والجود
بغير مزج وخلط أو بتشديد
عندية تمحو إطلاقي وتقييدي
عن مشهد الوجه في انسي
وتجريدي
حجبت لطائف قلبي بحت
بعهودي
بحصن متفضل بالحفظ وودود
في كوثر الحب أو حوض مور
ود
و رفعتها عندي بحفظ حدودي
تناول راح حقيقة التوحيد
بمرأة هذا الكون لا بقيود
بسر فلاحي أو بنور شهودي

**البحث عن المرشد أولا :**

و لا أقف بك إلي هذا الحد من العلم ، ولكني أحثك أيها الأخ أن تهتم أولا بالبحث عن المرشد الذي منحه الله تعالي العلم به سبحانه وتعالي وبأيامه وآياته وأحكامه ، فإذا ظفرت به وأنست من نفسك حسن الإقتداء والاتباع ، وجعلت لك عملا خاصا ينشرح صدرك إليه ، وأحب أن يكون نفسانياً ، لا أعني بالنفساني إلا إخلاص النية وحسن الإدارة في أعمال البر التي ييسرها الله لك ، إن بلسانك ويدك ، وإن بهما وبما لك ، وإن بهما وبجاهك ، حتي تكون يا أخي جاهدت في الله بمالك ونفسك مجاهدة تنتج المشاهدة .

**أفعال النفس الملكية الخاصة بها :**

النفس الملكية أفعالها الخاصة بها اكتساب العلوم الإلهية والمعارف الربانية ، والفكر فيما ظهر من الآيات ، والاستعداد لليوم الآخر ، واستحضار عظمة العظيم ، والتدبر في حكمة الحكيم ، وقدرة القادر ، ومشاهدة معاني الصفات في جلي الآيات ، ولذلك فإنها تفر من أفعال الجسم الخاصة به ، فكلما كان للإنسان شوق إلي أعمال النفس الملكية ، ومنحه الله الهمة والتوفيق ، ومنع عنه العوائق كلما تزايد فضله ، وكوشف بأسرار الحكمة وصار روحانيا كاملا ، فعليه أن يعتني بنفسه ، وينصرف عن الأمور العائقة عن بلوغ كمالاته ، فإن الإنسان قد يتهاون بهذا الأمر حتي تعوقه الرذائل والخبائث والحظوظ والشهوات والأطماع والغايات عما خلق له، ويظن لجهله أن ما هو فيه من الشهرة وكثرة الأموال ونفوذ الكلمة والترف والنعمة والملاذ البدنية أنه هو الكمال النفساني ، ويفتخر لجهله بكثرة المال ، وكذب ، فإن الفخر إنما هو للمال ولجمال بيته وجودة ركائبه وحسن ملبسه وجمال جهه ولا فخر في هذا كله للمفتخر ، وإنما الفخر للبناء وللجواد والخياط ولأمه التى كانت جميلة الوجه . وإنما الفخر بالكمالات

النفسانية والفضائل الحقيقية التى هي خاصة بالإنسان ، لا بمنكح شهيّ وفراش وطيّ وعيش هني وثوب بهي ، فإن أدني الحيوانات مبتهج بكل تلك المعاني أكثر منه :

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها  فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

**المجاهدة لنيل الكمالات النفسانية :**

إذ نظرت بفكرك فيما ألمعنا إليه من الآيات ، وتحققت أنك لم تخلق عبثا ، وأن أعمالك محصاة عليك ، وأن أنفاسك معدودة عليك ، ولا ملجأ ولا منجي لك من الله إلا إليه ، وتحققت الحكمة التى لأجلها خلقك الله وسخر لك عوالم مُلْكه ومَلَكُوته ، وأعد لك مقعد صدقه ، لتكون في جواره العلي ، قمت من نومة غفلتك ، ورقدة جهالتك ، وبذلت ما في وسعك وطاقتك ، لتنال الغاية القصوي التى ينالها عبد مسلم آمن بالله ورسوله وبالقرآن المجيد ، محتقرا زينة الحياة الدنيا ويهجتها ، فاراً من غروره وسالكا طريق الاستقامة التى هي أقرب طريق فيه السلامة والنجاة ، وهو طريق أئمة الهدي – الصراط المستقيم- الذي بينه لنا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ونتجنب الشرور العائقة لنا عن هذا الكمال ، ونفارق الخليل والصديق والصاحب إذا عاقنا عن هذا الكمال ، بل والزوجة والولد ، بل ونقلل الأكل والشرب والنوم ونهاجر من الأوطان إن كان في ذلك نيل الكمالات النفسانية ، والفوز بالنعيم الأبدي ، وتجريد الفكر للنظر في الآيات ، وكيف يرضي العاقل أن يبيع النعيم الأبدي بدفع ألم يزول ؟ . فإن كل ما نراه لذة في هذه الدار هو في الحقيقة ليس بلذة ، وإنما هو دَفْعُ ألمَ ٍأسال الله سبحانه وتعالي أن يمنحني وإخوتي المؤمنين جميعا الخير الحقيقي في الدنيا والآخرة إنه مجيب الدعاء ، حتي نسارع إلي مقامات القرب والملك الكبير والنعيم الأبدي والسرور الحقيقي ، ونصل إلي قرة العين التى بشرنا الله تعالي بقوله : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [2]

من هذا تتحقق أن أفضل الأعمال التى تصدر عنك أيها الأخ وبها تتقرب إلي ربك وتنال بها السعادة الحقيقية هي أفعال النفس الملكية الخاصة بها من الفكر في آلاء الله، واستنباط ما به الخير من الأفعال ، ومراقبة القريب والشوق إلي جنابه العلي ، والاجتهاد يقربك إليه من أعمال البر والتقوي ، ثم تكون أعمال النفوس الأخري مع الرَّوِيْـةِ والاقتداء بالنفس الملكية والعلم بأن تلك الأعمال موافقة للكتاب والسنة صادرة عن إخلاص وصدق . وبذلك تكون- أيها الأخ – من أولياء الله المقربين ، ومن عبادة المخلصين ، ومن العارفين الروحانين الذين يبشرهم تعالي بقوله :( لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ) [2] .

سلم الارتقا وباب التداني ... حسن ظن بالله في كل شان
و يقين به الفؤاد مضيئ ... بشموس الهدي من القرآن
و جهاد للنفس بعد يقين ... و اجتهاد في ذات ذي الإحسان
و تخل عن الغرور بمال ... و بجاه أو رغبة في الكيان
و تحل بالزهد في كل فان ... بكمال التصديق والإيمان
و اشتغال بطاعة الله دوما ... مع رغب في الذات لا في الجنان
و فناء عما سوي الله تبدو ... لك منه شمس الصفا بالتهاني
و التفات إليه بالعزم رغبا ... في نوال الرضا وفضل الحنان
كل هذا متابعا هدي طه ... فهو حصن الوافي وكهف الأمان
و هو نور الهدي صراط قويم ... من يخالف يهوي إلي النيران
و حمي الله أمره وهداه ... قول طه وفضله بالبيان
فأتبعه تنل رضا الله تحظي ... بنوال الزلفي وبالإحسان
أحي سنن النبي فيك بعزم ... و انشرنها بحكمة الفرقان
و إلي التوب بادرن أن تخالف ... في صغير ، وخل عنك التواني
كل ذنب وإن تراه صغيرا ... فهو نار إن لم تنل غفراني
صغر الذنب جاهل بمقامي ... و بفضلي وعزتي وحناني
هفوة العارفين أكبر ذنب ... فابذل النفس تمنحن رضواني
كمال النفس

**أكمل النفوس نفس المصطفي ﴿ ρ وآله﴾ :**

إن الله تقدست ذاته وتنزهت صفاته خلق نفس سيدنا مولانا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ نورا من نوره سبحانه وتعالي منزهه مطهرة ، أكمل النفوس علي الإطلاق من الرسل والملائكة ، وأمد نفوس الرسل عليهم الصلاة والسلام من هذا النور المحمدي ، فهي أكمل النفوس بعد نفس سيدنا ومولانا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، طهرها الله تعالي وزكاها وعصمها لأنه سبحانه وتعالي جعل نفوس الأنبياء أئمة لعباده وقدوة لخلقه وأظهر علي أيديهم صلوات الله وسلامه عليهم ما لا يقدر علي إيجاده إلا الله سبحانه وتعالي من عجائب الآيات وغرائب المعجزات ، ولما كانت أنوارهم أفاضها الله تعالي عليهم من نور سيدنا ومولانا محمد ﴿ ρ وآله﴾ كما هو صريح القرآن المجيد ، وسر بشائر أسفار الرسل عليهم الصلاة والسلام خصوصا ما صرح به سيدنا عيسي بن مريم رواية حوارِّيةِ برنابا عنه ﴿ ρ وآله﴾ بقوله ( الرسول الذي يأتي من بعدي محمد أتمني أن أكون حاملا لحذائه ) ولا أقول ذلك تنقيصا لمقامات رسل الله صلوات الله عليهم ، أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . ولكن إظهاراً لفضل الله علينا جماعة المسلمين وتحدثا بنعمته علينا ، ودليل ذلك قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (2) .

**نفوس الرسل عليهم السلام :**

لست في مقام التفاضل ولكني في مقام الفكر في النفوس ، فانظر يا أخي إلي النفس التى جعل الله لها الأرض بحراً لُجِّياً وأنجاها في سفينة هي ومن أحبت ، وانظر إلي النفس التى جعل الله لها النار روضة من رياض الجنة . وإلي النفس التى جعل الله لها العصا ككلمة ( كن )

فجعلت البحر يبسا ، وصارت حية ذات روح تسعي ، وفجرت ينابيع الماء العذب من الحجر الصلد . وتفكر في النفس التى منحها الله الكلمة فأحيت الموتي وأبرأت الأكمه والأبرص ، وخلقت من الطين كهيئة الطير . ثم أقبل بقلبك وقالبك ، واعلم بأن تلك المعجزات آيات للإثبات قد تنتج لمن شهدها الكمالات وقد لا تنتج . وانظر إلي الروح القدسية التى هدي الله بها بعد الضلالة ، وجمع بها بعد التفرقة ، ونوَّر بها بعد الظلمة وأحيا بها بعد الموت ، وأعز بها بعد الذل ، وقوي بها بعد الضعف ، ومكن بها بعد الخوف تناول يا أخي من صافي هذا الشراب الطهور كيف أقام الله سيدنا ومولانا محمدا ﴿ ρ وآله﴾ مقاما لم يقم فيه قبله نبي مرسل ولا ملك مقرب ، وكيف لا وقد أقامه مقام نفسه سبحانه ، وذق ذلك من آيات القرآن الحكيم ، فإن هذا المختصر ليس محلاً لهذا . أسأل الله تعالي أن يعيننا علي شكر النعمة التى أنعم بها علينا بحبيبنا وسيدنا محمد ﴿ ρ وآله﴾.

**نفوس الأولياء**

و من النفوس الكاملة نفوس الأولياء الذين طهرهم الله وزكاهم ، وجعلهم ورثة لرسله ونجوما في أفق صراطه المستقيم ، وأظهر بهم غرائب وعجائب ، فكم أحيا بهم قلوبا ميتة وهدي بهم نفوسا لقسة ، وكم شفا عند دعائهم من الأمراض ، وأنزل الأمطار وأزال البلاء ونفس الكرب ، وجعل السباع لهم مركبا ، والوحوش تأنس هم بهم ، والطير تتساقط عليهم ، وغير ذلك من الآثار العجيبة التى لا يقصدون عملها ولكن الله سبحانه وتعالي يكرمهم بها لأنهم أولياؤه المخلصون . ويظهر علي أيديهم ليظهرهم لعباده ولينبه بقدرهم عند خلقه ليحسن الاقتداء بهم والاهتداء يهديهم ، فإذا تفكرت في تفاوت تلك النفوس وتباينها وفي خصوصياتها ، علمت يا أخي قدر الفضل العظيم وذقت حلاوة التوحيد .

**نفوس أهل الفراسة :**

و هناك نفوس يا أخـي يكشف لك أهلها من وراء الستائر بعض ما جري به القدر تلويحا لا تصريحا فتشير بما يلوح لها وتبشر : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( اتقوا فِراسَةَ المؤمنِ فإنه ينظرُ بنورِ اللهِ ) [2] وكم من بشائر كانت يقينا ، ومن إشارات كانت أقوي من التصريحات ! و هي نفوس فاضلة مؤهلة لمقامات الولاية ومنازل العناية وتلك النفوس كثيراً ما تستدل بالأحوال الظاهرة علي الأمور الباطنة .

**نفوس أصحاب القيافة والكهنة وأصحاب العرافة :**

ومنها نفوس أصحاب القِيَافَةِ،و القيافة إما قيافة البشر وإما قيافة الأثر. فقيافة البشر أن تدرك النفس أن هذا المولود ابن فلان او ابن فلانه ، فيؤتي للرجل منهم بالمولود ومعه عشرون رجلاً وعشرون امرأة فيقول هذه أمة و هذا أبوه فيكون كما قال ، وكم حصلت منهم عجائب . و يكثر هؤلاء القوم في بني مدلج . اما قيافة الأثر فتكثر في بلاد المغرب و قد رأيت في بلاد السودان كثيراً من الناس يقيفون الأثر حتي قد يسرق من الرجل ماله ليلا ، فَيُحْضَرُ الرجل منهم فيمشي معهم حتي يصل إلي المال الضائع ويحضره ، ورأيتهم يعرفون قدم الشاب من الهرم والرجل من المراة ، ولكن ذلك لا يكون إلا فيالأراضي الرملية التى تظهر فيها الآثار .

و منها نفوس الكهنة . و هي نفوس تتلقي الروحانيات وتكتسب أحوال الكائنات التى تدل عليها المنامات وغيرها من الحادثات ولهم حوادث لا تحصي وغرائب لا تستقصي ، أشهر ذلك ما اخبر به سطيحُ وشقٌّ الكاهنان من قرب بعثة النبي ﴿ ρ وآله﴾ وما يكون من الفتح والنصر له ﴿ ρ وآله﴾ .

و منها نفوس أصحاب العَرَافِة. و هي نفوس تستدل ببعض الحوادث علي بعض لمناسبة بينها أو مشابهة ، وكثيراً ما أخبروا عن أشياء وافقت الحقيقة ، ولا يخلو كل زمان من وجود كثيرين من أهل تلك النفوس .

**النفوس المؤثرة :**

هذه النفوس لها قوة تأثير فمنها ما يؤثر بالنظر ، فإذا نظر الرجل منهم إلي آخر أو إلي ماله نظر تأثير أضره ذلك ، وقد ينظر أحدهم إلي نفسه أو ولده أو ماله . وتلك النفوس تأثيرها بالانفعال الذي ينتجه الحسد أو التعجب . وقد ورد في العين أحاديث كثيرة ، وقد وردت الأدعية النبوية والرُّقَي لدفع شر العين . ومن قرأ المعوذتين في كل يوم صباحاً ومساء بعد خواتيم البقرة وقال : ( أعوذ بكلمات الله التامات كّلها من شر ما خلق ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، اللهم صَلِّ علي سيدنا محمد الرءوف الرحيم ، وأغذني من شر كل ذي شر في الأرض وفي السماء ، يا حفيظ يا سلام يا الله ) . حفظه الله من شر العين .

و من تلك النفوس ؛ النفوس المؤثرة بالتمتمة والعزائم واجتماع الهمة لدفع ضرر أو لجلبه لعدوهم ولا يلزم أن تكون تلك النفوس مؤمنة ، بل قد يقع ذلك من المؤمن والكافر ، ومن الرجل والمرأة ، والحر والعبد ، لأنها نفوس مستعدة لذلك ، وربما كان لها ذلك التأثير قبل سن البلوغ، ويعرف ذلك بشدة التأثير من المؤلم وظهور الذل والالتجاء إلي الدعاء . ومن تلك النفوس المؤثرة نفوس أهل الطلسمان والتمائم العالمين بطبائع الحروف والإنسان والحيوان ، وبطوالع الأفلاك ؛ ولهم تأثير عجيب في أعمالهم بقوة تأثيرهم خصوصاً علي أهل النفوس القابلة للتأثير ، ويكون ذلك بعلمها أشد . فكم فرقوا بين الزوج وزوجه ، وجعلوا بعض الناس في ذهول عن لوازمهم الضرورية ، وأثروا علي بعض الناس بإضعاف الخيال ، حتي يري

كـأن آتيـا يأتيـه ويـتكلم معـه لـيلا ، أو يتخيـل ذلـك نهـارا . ومـن هـذه النفوس المؤثرة نفوس الذين يبينون الضائع ويكشفون خبايا الأرض ، فإن لهم تأثيرا عجيبا علي بعض النفوس ، حتي يجرد الذي يؤثر عليه مـن عـالم الحـس مـع يقظتـه كأنـه نـائم يسـمع ويجيـب ويمشـي ، وذلـك بتأثير نفساني علي قوي النفس الإنسـانية . ولـم يكـن للمسـلمين عنايـة بمثل هذه الأمور التى نهي عنها الإسلام ، ولكـن كـان يعتنـي بهـا أهـل النفوس المؤهلة لها بالفطرة فبقيت آثارهـا لـلآن ، ومتـي كملـت عقيـدة التوحيد ، وطهر الخيال من تمثيل الحقائق بغير حقيقتها ، لا تؤثر تلك النفوس علي من اتصف بتلك الصفات . وقد ظهر ببلاد بنـي الأصـفر تأثير تلك النفوس وهو الـذي يسـمونه بـالنوم المغنـاطيسـي . ومـن تلـك النفـوس نفـوس تـؤثر بـاذدواج بعـض النغمـات ، وأصـوات الطبـول ، تـأثيرا عجيبـا يفضـي إلـي زوال بعـض الأمـراض كالفـالج واللوقـة ومبـادى النقطـة وأمـراض مـن أنـواع التشـنج ، ولكـن أصـحاب تلـك النفوس لابد أن يكونوا حكمـاء ليعملـوا تلـك الأعمـال بمقـادير متناسـبة وفـي الأمراض المخصوصة .

و قد ادعي أهل الغواية هذا العمل بحالـة مزعجـة حتـي أفسـدوا خيـال كثيـر مـن النـاس، وأوهمـوهم أن هنــاك عفاريـت تــأتيهم ، وشـيوخ تزورهم لا للإستشفاء بل لخديعـة النـاس وسلب أمـوالهم ، ويسـمونه الآن بالزار ، والضرر به صار عاماً والمصاب به صار طاماً ، ومـا ذلك إلا مـن استيلاء الجهالـة علـي العامـة . وقد كثـر بـذلك الفسـاد فـي النساء ، حتـي صار الرجل يأخذ زوجته بيده ويذهب بهـا إلـي الـزار ، وربما صنعه في بيته ، وقد يكون من أهل الفضـل والعلم ، وهـذا كلـه مـن كيد النسـاء- إن كيـدهن عظـيم . ومـن تلـك النفـوس : نفـوس تـؤثر علي النفوس لتركيب بعض عقاقير وتآلفها وسرعة الحركة في ذلك ، وعمل ما يخيل للرائي صورا وأعمالاً غريبـة ، وأصـحاب هـذه النفـوس يلزم أن يكونـوا علمـاء بخـواص العقـاقير أو تلقَّوْا هـذا العلـم ، ويسـمي بعلم النـارنجيات ولـه تـأثير غريب في هذا البـاب ، وهـذا لا بـأس إن لـم

يجر فسادا بأن كان المراد بالعمل به إظهار اسرار العقاقير منفردة ومزدوجة ، كما يحصب ذلك في التراكيب الكيماوية .

و أما إن جر إلي فساد بأن يوهم الناس بأن ذلك من فعل العفاريت ، وأن هنا كنزا يريد فتحه ، أو أنه يمكن أن يحضر العفريت الفلاني يتكلم معه ؛ فإذا حصل منه فساد فمحرم شرعا .

و تأثير النفوس لا ينكره إلا من لا نفس له فإن الله سبحانه وتعالي كما جعل لكل نبات ولكل معدن ولكل حيوان خواص وتأثيرات ، فإن الله تعالي جمع ذلك في نفوس الإنسان وأكثر . وكم رأينا من أعمال الحواة والمشعوذين وتأثير نفوس السحرة ما لا يصدق به الإنسان إلا برؤيته .

**تأثير نفوس أولياء الله الكاملين :**

و في تأثير نفوس أولياء الله الكاملين العجيب الذي ورد في الكتب السماوية ما فيه البرهان علي ذلك، فإن آصف بن برخيا وَلِيُ وأحضر صرح بلقيس في أقل من لمح البصر وإن مريم بنة عمران صديقة وكانت تأتيها الفاكهة التى ليست موجودة في الأرض كل يوم . ونطق الغلام شاهد سيدنا يوسف الصديق . وإكرام الله تعالي للصديق الأكبر سيدنا أبى بكر رضي الله عنه عندما أمر بإرسال الجيش إلي بني حنيفه وإلي الروم وفارس وقام الصحابة جميعاً منكرين ذلك ، وقال له سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : كان رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ يقاتل بالملائكة فالزم بيتك ومحرابك ، فغضب وقال : والله لو لم يكن إلا أني أقاتل منفردا لما قعدت عن الجهاد ، وأثَّر علي جميع الصحابة ، فكان ما كان مما لا يخفي علي مسلم . وما أكرم الله به الفاروق رضي الله عنه وهو يخطب علي منبر رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، وفي أثناء الخطبة نادي : (( يا سارية الجبل ! )) والقصة مشهورة . وذكر ما أكرم الله به أصحاب رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ والتابعين وأتقياء المسلمين إلي وقتنا هذا لا تسعه الأسفار ، وما وهبه الله تعالي للنفوس

من الأفعال الخاصة بها روض زاه زاهر تقتطف منه الأفكار المؤهلة لمشاهدة آيات الله ، فسبحان الواسع العليم القادر الحكيم .

**نفوُسَ تَعْلَمُ الحوادث الكونية الغائبة :**

و من النفوس المؤثرة نفوسُ تَعْلَمُ الحوادث الكونية الغائبة عنها بتركيب أعداد وتحليلها وتلك الأعداد تجمع من جُمَّلِ الطالع الفلكي والسؤال المقصود وتوضع جداول مقسمة علي نسبة أصول معلومة لديهم ، تنتج الجواب المطلوب نظما أو نثرا وتسمي بعلم اليازرجي ، وتلك النفوس لها تأثير عجيب في تقسيم الأعداد إلي أجزاء متناسبة ، ووضعها في أوفاق واستخراج أسماء منها ، واستحضار قلب صاحب النفس بتلاوة بعض العزائم عليها ، فيحصل من ذلك تأثير عجيب علي النفوس الأخري . ومن تلك النفوس نفوس تخط في الرمل خطوطا مقسمة إلي نقاط ثم تسقطها زوجا زوجا وتركب ما بقي أمهات وتستنتج منها بنات وأوتادا وموازين ، وهناك شكل من هذا يمكن أن يخرج منه ستة عشر حرفا فيه الجواب المطلوب. ومنها ما يؤثر بالحصي ، وقد رأيت ببلاد مصر نساء يستعملن الفول والملح ، وفي بلاد السودان يستعملن الودع ويخبرن بجواب السؤال ، فيحصل ما يقلن ، وذلك من تأثير النفوس . ومنها نفوس تنظر إلي الكف ، فتعلم منه علوما حصلت وتحصل ، وأصحاب هذه النفوس اصطلحوا علي أن يجعلوا للخطوط التى في الكف معاني مخصوصة ويستدلون بها علي أشياء . ولو نظرت يا أخي في بني الإنسان نظرة متفكر يظهر لك أن لكل فرد منهم مزايا وخصوصيات وعلوما واسراراً لا يمكن أن تجمع في واحد ، ولابد أن تكون منتشرة لكل فرد قسطا ، والعلم كله في العالم ، قال الله تعالي ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [2] هذه بعض الآيات التى يمكن أن تسطر في بطون الأوراق .

**العلم والذوق :**

أما ما يتلقاه المؤمن بعمله بعلم عن الإلهام الإلهي من تصريف القدرة وأسرار الحكمة، ومعاني التجلي ، وظهور معاني الأسماء ومشاهدة الكائنات قامت بآيات الصفات ، فذلك لا يتلقي إلا بالإلهام ، لأنه ذوق ، والذوق فوق العلم لأنه شهود، وليس كل عالم وهب له الذوق ، ولكن كل من وهب له الذوق حصل له العلم ، ولا أريد بالعلم الذي يعمل به المريد في البداية ما زاد عن الواجب ليورثه الله علم ما لم يعلم ، فإن كل مسلم مطالب أن يتعلم ما يجب عليه شرعا ومالا بد له منه مما به تحصيل معاشه وبر والديه وصلة رحمه وتربية أولاده والقيام ببقية الواجبات الشرعية من حج وجهاد وصدقات وتعاون علي البر والتقوى ، فإن ذلك كله واجب عند وجود مقتضاه ، فإذا عمل المسلم ما وجب عليه عملا بعلم ورثه الله ما لم يعلم .

و إلي هنا أري أني جعلت لك نموذجا تنهج عليه في سيرك بفكرك في هذا العالم ، واختصرت لك علي ما يمكن أن يكون مثالا تزن به ، وبقي علي- أيها الأخ المخلص – أن أبين لك ما يجب عليك لخالقك ومبدعك ولرسله صلوات الله وسلامه عليهم ولجميع الخلق بنسبتهم إليك ، راجيا منك – أيها الأخ السائر علي الصراط المستقيم – أن تجتهد في العمل بما تعلم وأن تستمد من الله سبحانه وتعالي أن يعينك علي ذلك وان يمن عليك بعلم ما لم تعلم وتحقق أيها الأخ البار أني لم أكتب هذه المواضيع لثقتي بنفسي أني العالم الحقيقي أو المحيط بعلوم السنة والكتاب ، أو لتكون لي المنزلة عند الناس ، أو لأجمع به مالاً أدخره ، وإن كنت أعلم من نفسي أنها لا تزال لقسة ، ولكني أنزلتك يا أخي منزلة نفسي وأحببت لك ما أحبه لها ، ورأيت أكثر أهل زماني هذا تركوا آداب الدين وفضائله وراء ظهورهم ، وعلوم العلماء

المدونة في كتبهم هجروها ، والتفتوا إلي القشور التى وضعها الفرنج مما نسخوه أو مسخوه من كتب سلفنا الصالح ، ورأيت إعجاب أهل زماني بآداب بني الأصفر وشعرهم وعلومهم ، ولو أنهم اطلعوا علي علوم آبائهم وآداب أسلافهم وحكمة أجداهم والكنوز الخفية التى كنزها لنا إخواننا الذين سبقونا بالإيمان لميزوا بين الثري والثريا ، وبين الحق والباطل ، فأعاد الله عصر دمشق ، وزمان بغداد ، وأيام الأندلس والمغرب ، وأوقات مصر والعراق ، ونبه الله إخواني أهل عصري إلي فتح تلك الكنوز الخفية في بطون الكتب في متاحف أوربا ومكاتبها من آثار أجدادنا الكرام ، وأسلافنا العلماء العاملين ، إنه مجيب الدعاء .

يا أخي ، ما من علم من علوم الدين أو الأخلاق ، أو النفوس أو القوانين أو المعاملات أو علوم الآداب والمعاشرة والمجالسة أو علوم الصناعة والتجارة والطب والحكمة وعلوم الزراعة والسياسات ، بل كل علم من العلوم مما يحتاج إليه المجتمع العمراني ، إلا وأنزله الله تعالي إما مفصلاً في القرآن أو مجملاً ، وبينه رسول الله (ρ وآله) بطريق الحكمة النظرية والعملية في علوم الدين وما يتعلق به ، ونظرياً في علوم الصناعات والزراعات وغيرهما . وقام أئمة العلماء ففصلوا ذلك الإجمال حتي انحصر العلم كله في جماعة المسلمين ، والفنون كلها والحرف كلها ، فلم يكن خليفة من الخلفاء ولا قاض من القضاة ولا قائد من القواد إلا وهو سابق في علم أو فن أو صنعة أو حرفة ، فكنت تري منهم العالم الديني الذي ورث أسرار الرسل عليهم الصلاة والسلام يستنبط الأحكام بما منحه الله من قوة الاستنباط ، وما من به عليه من الاجتهاد، وما تفضل به من القياس . وتري الطبيب الماهر الذي كشف أسرار الأعضاء ووظائفها وخواص النباتات ومزاياها وسر تولد المعادن ونموها . وتري منهم العالم الرياضي الذي بلغ به العلم الي حد حتي وضع علم الجبر المنسوب إلي جابر ، أو وضع علم استخراج قوي العدد المسمي الآن لوغارتم المنسوب

للخوارزمي . ومنهم من وقع به العلم اليقين في علم المعادن حتي وضع قوانين تحليلها وتركيبها وتطهيرها من الأجسام الغريبة وكيف تتولد وتترقي ، حتي أمكنهم أن يوجدوا بعض المعادن بتركيب مواده الأصلية بالنسب الأصلية . ومنهم من استكشف حواص كثير من النباتات والمعادن والحيوانات بالتجارب العملية . ومنهم من بحث في النظام الشمسي بحث عالم متفن بقوة الفكر والعلم ، حتي علم مقاديرها الحقيقية والنسب بينها ومقدار بعد كل فلك عن الآخر ، وتأثير كل فلك بقدرة الله تعالى علي الأجسام الحيوانية والنباتية والمعدنية والجمادية وعلي النفوس . ومنهم من علم تأثيرها الروحاني علي بعضها وعلي ما عداها بالرياضة الفكرية والبدنية . ومنهم من اجتهد بعد الرياضة بالحكمة النظرية إلي أن أثبت بالحكمة العملية خطوط الطول والعرض ، ومقادير درجات الأرض وأنواع علوم تخطيطها ، ومزجوا بذلك علم طبقاتها وتفاوت أقاليمها وحاصلات كل اقليم ، وأثبتوا أنواع دوران كل كوكب دورانا حقيقياً – وبالأخص دوران الأرض وما يتولد من ذلك – و أثبتوا قوة التجاذب بين المجموعة الشمسية بما أزال المجهولات العلمية عن تلك الحقائق ، ومحا أباطيل وخرافات اليونانيين والرومانيين والفراعنة والآشوريين والفينيقيين والبابليين وبيضوا ما سود به هؤلاء المتقدمون صحفهم من الأكاذيب علي العلم والتاريخ . ومنهم العالم المخترع الذي خدم الصناعات بما من الله به عليه من منن الإخلاص في الدين .

فيسهل عليك أيها الأخ أن تطالع تراجم الصحابة رضوان الله عنهم في طبقات ابن سعدون وتراجم الأطباء في طبقات ابن طفيل ، وتراجم الأدباء والأمراء في تاريخ ابن خلكان ، وتراجم الفقهاء والصناع والمحدثين والمتكلمين والرياضيين والمؤرخين في كتب التراجم ، لتعلم يا أخي أيدك الله ما أودعه الله من العلوم والأسرار في القرآن الشريف ولتعقد أن في الإنسان كنوزا وأمامه مراقي لو فتحت له تلك الكنوز ورقي علي تلك المراقي لبلغ من الكمالات ما به تنكشف

الحقيقة عن سر تسخير الله له ما في السموات وما في الأرض جميعا منه .

**ثانياً : الشكر وهو الواجب الثاني لله سبحانه وتعالي :**

الشكر في حال الجمال ثناء　　و الشكر في حال الجلال دعاء
و الشاكرون هم العبيد تحققوا　　بمراد مولاهم وذاك صفاء
شهدوا بعين قلوبهم مولاهمو　　فرضوا به عنة فدام هناء
ما بين شكر أو دعاء حالهم　　و هموا الى موالهم فقراء
فالعسر يجذبهم إليه تضرعا　　و اليسر يوصلهم وهم أمناء
لم يلههم عن ربهم فقر ولا　　يشغلهم عنه غني ورخاء
معه نعم بقلوبهم ، ووجوههم　　بيقينهم في ربهم نضراء
دامت بشائرهم بكشف قلوبهم　　و لهم توالت ما بذاك خفاء
دخلوا الحصون حصون حفظ　　بملابس الحسني لهم اضواء
وليهم　　و العلم نور للهدي وشفاء
العلم هذ بهم وزكي نفسهم　　صدق العبيد فدامت الالاء
نعم العبيد لربهم صدقوا له　　أن السكون الى الدني الداء
دنياهم كشفت لهم فتحققوا　　ظهرت فعشوقوها فصح وفاء
و الدار دار نعيمه وشهوده　　فتحققوا أن الكيان هباء
و لهم جمال الحق أشرق نوره　　و الفضل من مولي الجميل عطاء
فروا إلي مولاهم بعزائم　　هو قبلتي ووسيلتي وهناء
الله ربي والحبيب محمد

**الواجب الثاني لله تعالي :**

هو شكره سبحانه وتعالي وحمده والثناء عليه بالقلب واللسان والجوارح ، واعتقاد أن له سبحانه وتعالي صفات هو وصف بها نفسه سبحانه ، وأثبتها العقل بشهود دلائلها اليقينية ، وانكشفت للأرواح بعد الخلاص من ظلمات الكثافات الكونية ، وهي أنه تعالي حي قادر مريد سميع بصير متكلم حكيم واحد فرد صمد ، منزه عن النقائص والأشياء والنظراء والوكيل والوالد والولد والصاحب والزوجة ، قيوٌّم

كل شئ قريب مجيب منعم وهاب ، ويجب أن نسميه بأسمائه التى وردت في كتابه العزيز علي لسان نبيه ( ρ وآله) المثبوتة في النصوص الشرعية . ويجب أن نتدبر معانيها الكمالية بما يليق بجنابه العليّ من النزاهة والتقديس ، ونفهم أنوارها الظاهرة في الآثار الكونية المنبئة عن عليّ العظمة وعظيم القدرة والحكمة واللطف والحنان والرحمة والود والنعمة والرأفة وجميل المنة والكرم والفضل والإحسان، لتشرق انوار تلك الصفات والأسماء علي القلوب فتعمرها بحقيقة الإيمان وكمال اليقين . ويجب أن نؤمن بالملائكة الروحانيين الحافين حول العرش وسكان السموات والسَّفَرَةِ الكرام ، وأمنة الوحي والموكلين بالأمطار والرياح والحفظة والكتبة وبمنكر ونكير وبخزنة الجنة وخزنة النار وبالملائكة الكروبيين الهائمين في جلال العظمة الإلهية ، وبالملائكة العالين وبأنواع من الملائكة لا يعلمهم إلا الله تعالي . ويجب أن نصدق بالكتب التى أنزلها تعالي علي رسله الكرام علي نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، كأسفار سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، وتوراة سيدنا موسي عليه الصلاة والسلام ، وزبور سيدنا داود عليه الصلاة والسلام ، وإنجيل سيدنا عيسي عليه الصلاة والسلام .

**إجمال الواجب بالنسبة للقرآن :**

يجب أن نصدق أن القرآن الكريم مهيمن علي جميع الكتب ، وهو كتاب الله وحجته البالغة علي جميع الرسل والناس أجمعين ، جمع جميع كتب الله سبحانه وزاد عليها ، وبيَّن ووضح وأقام الحجة وبيَّن المحجة وشرح الأخلاق والعقائد والعبادات والمعاملات بامثلة يعقلها العالمون ، وأخبر عن القرون الماضية يعبر وبصائر وتذكرة يتنور بنورها العاقلون .

فأعجز البلغاء وأدهش الفصحاء ، خنع له العقل وسجد له الخيال وانقادت له الأرواح الطاهرة والأنفس الزكية (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ

مِن شَيْءٍ﴾ [2] ويجب أن نجعل القرآن إماما متبعا وقاضيا نافذ الأمر والنهي ، نعمل به ، نحل حلاله ونحرم حرامه ونرتله حق تلاوته ، نشاهد فيه أسرار المتكلم سبحانه ، ونتناول منه شراب القدس الطهور ، وتأنس أرواحنا عند تلاوته بمشاهدة الجمال والجلال والكمال الإلهي أنسا بمعني المعية الحقيقية مع التنزيه ، حتي كأن التالى للقرآن يسمعه من ربه سبحانه . تقشعر الجلود عند ترتيله ، وتلين القلوب عند سماعه ، وتشتاق الأرواح عند تدبره لعالم القدس الأعلي . فالمسلم الحقيقي يحب القرآن ويحب أن يكون عاملاً بالقرآن ، ويجب أن يكون العمل بالقرآن أكثر من محبته لنفسه ، لأنه بترك القرآن يخسر نفسه ويتمني أنه كان ترابا أو لم يكن شيئاً مذكورا ، وبالقرآن يفوز بالسعادة الأبدية في جوار رب العالمين . والمسلم الذي لا يغار للقرآن أو يتساهل بأحكام القرآن أو لا يسعي في إعلاء كلمة القرآن ليس بمسلم عند العلماء وإن كان مسلماً عند نفسه . وأول بلاء نزل بالمسلمين تساهلهم في إقامة أحكام القرآن وميلهم إلي الهوي ، حتي صاروا ليسوا أهلاً للقرآن ولا لبشائره ولا يأبه الله بهم حتي سلط عليهم الكفار وأذلهم بأذل العالم ، قال تعالي : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [2] بشري في القرآن .

و إنما المؤمن من كان عمله بالقرآن وحاله بالقرآن وماله بالقرآن ونومه وأكله وخلقه بالقرآن ، يحب ما حببه فيه القرآن ومن حببه فيه ويعادي من أمره القرآن بمعاداته ولو كان أقرب قريب وأحب حبيب ، يغضب للقرآن ويرضي للقرآن . هذا إجمال الواجب بالنسبة للقرآن والمسلم البسيط يعلم تفصيل هذا الإجمال والله الموفق .

**التصديق بالرسل واعتقاد أفضلية خاتمهم :**

و يجب أن نصدق بالرسل عليهم الصلاة والسلام خصوصا من ذكرهم الله تعالي في القرآن وأثني عليهم ، ونعتقد أنهم صادقون أمناء بلغوا الرسالة ونصحوا للناس ، وأن الله أرسلهم لهداية الخلق ليكونوا

حجة لله سبحانه علي عباده وحجة لعباده يوم القيامة و يجب أن نعتقد أن سيدنا محمد ﴿ ρ وآله﴾ خاتم رسل الله سبحانه وأفضلهم وأكملهم . بعثه الله تعالي علي فترة من الرسل فأتم به حقيقة العقيدة ، وأكمل به مكارم الأخلاق وأفضل المعاملات ، علّمنا بعمله وقوله وحاله كل محبوب لله تعالي من القول والعمل والحال والعلم ، ونهانا عن كل ما يكره الله من الأعمال والأقوال والأحوال . فهو الرحمة الحقيقية الواسعة والنعمة العظيمة علي الإنس والملائكة والجن والحيوانات ، سن السنن ووضح المناهج ، وأقام الحجة لله علي العباد برحمة وحكمة ورأفة وحرص علي الناس من الهلاك ، ويجب علينا أن نقتدي بهديه ونتجمل بأخلاقه ونتشبه به ﴿ ρ وآله﴾ في معاملاته وأقواله حتي نفوز برضاء الله الأكبر الذي لا سخط بعده . ومن خالف سنته أو ابتدع بدعة في دين الله فقد أهلك نفسه وغيره أعوذ بالله وبوجهه الكريم من مخالفة سنة سيد المرسلين .

**الإيمان بالقضاء والقدر :**

و يجب أن نؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره من الله سابق إرادته وتدبير حكمته بلا شك ولا ريب ولا بحث عن ذلك ، بل نعتقد حق الاعتقاد أن كل شئ حدث لابد وأن يكون صدر عن علم الله تعالي به وتقديره له وإرادته ، بحيث يستحيل أن يخلق الله شيئا لا يعلم به أو يكون بغير تدبيره ومشيئته وحكمته وقدرته تنزه الله سبحانه وتعالي علوا كبيرا عما يصفه الواصفون . ونؤمن أن كل ما أحدثه الله تعالي هو عدل لحكمة تخفي علي الجاهلين .

و علينا أن نبغض المعصية ولو وقعت منا لأنها منهي عنها ، ونعتقد أنها بقضاء الله وقدره سبحانه وأنه يؤاخذ عليها لأنها مخالفة لأمره ومعصية لسنن رسله . وليس لنا حجة عليه سبحانه لأنه أمرنا بترك المعاصى على لسان رسوله ﴿ ρ وآله﴾ فى كتابه العزيز،وأخفى عنا ما قدَّره علينا، وعلينا أن نندم ونتوب إليه سبحانه ونسأله العفو والمغفرة

لمخالفة الأمر، لا لأنا أوجدنا ما لا يقدِّره علينا، أو ما لا يعلمه سبحانه وتعالى أو ما أوجدنا بحولنا وقوتنا تنزه الله سبحانه أن يكون له شريك في إيجاد شئ ما أو معين في عمل مَّا ، وانت أيها المدعي ذلك بمن تعمل العمل إذا سلب الله القوة والحول الذي أمدك بهما ؟ انظر إلي الميت تري جسمه كاملاً أمامك ولكنه لا يمكنه العمل ولا القول ولم ينقص منه أمامك شئ، فتأمل واعتقد لتكون من أهل السعادة.

هذا هو الذي نعقد عليه القلب بتسليم وإذعان حتي يكشف الله سبحانه وتعالي لنا حقائق التوحيد ، وتظهر لنا أسرار حكيم قادر وأنوار مريد فاعل مختار وآيات واحد أحد منزه عن الشبيه والمثيل ، فيحصل اليقين الحق الذي هو كمال الإيمان وحقيقة الإيقان و علينا أن ننظر إلي تصاريف القضاء ومجاري القدر بعيون القلوب ، فنشكر الله ونخشاه عند إسباغ النعم الدينية والدنيوية ـ ونجاهد أنفسنا علي أن نحافظ علي حقوق الشكر وتأدية الأوامر الإلهية ، حتي ننال المزيد من الله تعالي في الدنيا والسعادة في الآخرة : ولله در القائل:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... و إن طالت الأيام واتصل العمر
إذا عم بالسراء عم سرورها ... و إن خص بالضراء أعقبها الأجر

و نبتهل إلي الله سبحانه ونتضرع إليه سبحانه أن يمنع عنا ويحفظنا عن معصيته عند مقتضيات ذلك ، وأن يتداركنا بخفيّ اللطف عند حصول ما لاقبل لنا به من الحوادث ، مع الصبر وحسن الظن بإغاثة الله لنا ، ونكره المعصية ولو وقعت منا ، لابغضا لقضاء الله بل بغضا لعمل يكرهه الله ، نهي عنه وإن قدَّره ، فقد يقدِّر مالا يرضي من القول والعمل . ونتوب إلي الله ونستغفره من الخطايا ، ونسأله التوفيق لما يحبه من القول والحال والعمل ، فيكون رضانا بما يرضاه الله لأنه سبحانه قضي وقدر علينا ما يحبه مما هو خير لنا وسعادة ، ويكون

بغضنا لما يبغضه الله سبحانه لأنه قضي وقدر علينا ما نهانا عنه وأخفي عنا قضاءه ، فارتكبنا مخالفة أمره بشهواتنا وغفلتنا ، ونكره كل ما خالف الشرع والسنة ، ونجتهد في إرجاع الأمر إلي الشرع بقدر استطاعتنا باليد وياللسان أو ننكر بقلوبنا ، ونسأل الله محو الباطل مع شدة الكراهة له والبغض لفاعليه ومعاداتهم إن سّراً وإن جهراً عند المُكْنَة ، ولا نتناظر في هذا الموضوع الذي لا يشك فيه أو يبحث فيه إلا مريض القلب بالنفاق بعيداً عن حقيقة التوحيد وعلينا أن نجدَّ في طلب الخيرات والتسبب لكسب الحلال والغني بالله عن سؤال الناس ، مع اعتقاد أن الرزاق هو الله ، وأن الأسباب وسائط جعلها الله بينه وبين خلقه وهو سبحانه مسبب الأسباب وميسر الأمور والمعين الوهاب ، ونجد في القربات ببذل المال والجاه وعمل الصالحات ، معتقدين أن الله سبحانه هو الموفق الهادي للصراط المستقيم . ويجب علينا أن نتوسط في جميع الأحوال فيكون الطمع والخوف والرغبة والرهبة متساوية في قلوبنا ، حتي نكون بين خوف من الله تعالي يحفظنا الله تعالي به من مخالفة أمره ومن ارتكاب الخطايا والغرور بالدنيا والجهل بقدر أنفسنا ، وبين طمع يعيننا الله تعالي به علي محبته والإقبال علي جنابه العلي والتقرب إلي مواطن رضوانه حتي تتوازن قوانا الحسية والروحانية ، والله سبحانه هو الموفق المعين .

## وجوب الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الحقيقي الدال علي تصديق القلب ونوره وشروق شمس الحق عليه ، حتي يتحقق حق اليقين بعد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالي – أن القادر الحكيم لم يخلق عبثا، ولم يتركهم هملا ، ولم يصرفهم في ملكه ويسخر لهم ما في السموات ومافي الأرض جميعا منه جهلا تنزه تعالي ، بل اقتضت حكمته أن يبتلي خلقه بالخير والشر فتنة ، وكيف لا وقد أرسل لهم الرسل ، وبين لهم الحجج ، وضرب لهم

الأمثال ، وأقام الدلائل علي ثبوت يوم الحساب ، وحذرهم وأنذرهم ووعظهم وبشرهم ، ومنحهم العقل الذي يعقل الأمثال والحجج ويقبل الدلائل ، وأعد لهم يوما يرجعون فيه إلي جنابه العلي ويحاسبون فيه علي النقير والقطمير ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [2] .﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [2] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَمَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [2] فتلك الدار الدنيا دار تكليف وتعريف وأحكام وتصريف ، وخلا فة عن الرب ومعاملة لجنابة العلى ، وهي النشأة الأولي يعيش فيها الإنسان يكدح إلي ربه كدحا في آلام تغيرات العناصر ، وهموم سطوات تغيرات الفصول ، وغموم الحوادث ومزاحمة البقاء ومنافسة النظراء ومداراة الكبراء ، والحيل في نوال السلامة ممن لا غني له عن معاشرتة ، وذل الافتقار إلي المساعد من بني جنسه وأنواع من الحيوانات ، وتعب في طلب المسكن والملبس والقرينة ، وعناء في تعليم وتربية الأبناء .

إذا صفا نفسا فإنما ذلك لغفلة قلبه عن الحقوق الواجبة عليه وإن فرح لحظة فذلك لجهله بما في الغيب ، إن عوفي في بدنه أضر به الرزق، وإن تيسر أفسد عليه صفاءه التنافس ، وإن بلغ المجد اعترته المخاوف من تسليط عدو أو فساد أهل أو مصاب في حبيب ، فالإنسان في تلك الدار محاط بسور من البلايا ، ومطالب بالشكر علي ما أحاط به من سوابغ النعم التى لا تحصي ، فإنه منعم عليه بنعم من العرش إلي الفرش ، فمن قدمه إلي العرش نعم خاصة بالإنسان وخيرات مسخرة له ، وهو بين ذلك يشغله قليل لا يفيده لو ناله عن عظيم النعم المتوالية عليه في كل نفس ، فالمنعم عليه بالعافية غافل عنها مشغول بجمع المال ، والمنعم عليه بالمال غافل عنه مشغول بشهواته ، وهكذا ، فلا تجد إنسانا يشعر بالنعمة التى أنعم الله بها عليه إلا من حفظهم الله واختارهم ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾[2] فالعاقل البصير يدرك أن تلك الدار الدنيا ، دار سَعْي وكد واجتهاد وعمل وسفر للآخرة ،

فيتزود منها لما بعدها بكل همة ونشاط ، ويأخذ منها ما يبلغه الدار الآخرة حتي يفوز بدار المقامة ومنزلة الكرامة . فإذا تحقق بذلك وجّه قلبه ووجهه صوب ما يبلغه هذا الخير ، لاهيا عما يشغله عن الخير مما فيه العناء والتعب في الدنيا والألم والعذاب في الآخرة ، والله سبحانه وتعالي جعل الدار الآخرة دار كرامة من آمنوا بها وعذاب من كذبوا بها ، والإيمان بيوم الحساب أكبر مهذب للنفوس ومطهر لها ، ولو أن الناس صدقوا بيوم الحساب تصديقا حقيقيا لعاشوا في الدار الدنيا في سعادة حتي ينتقلوا إلي السعادة الأبدية في ملكوت الله ومنازل رضوانه الأكبر، ولا تجد قوماً نسوا يوم الحساب إلا عبدوا حظوظهم وشهواتهم ، وأزلتهم الأهواء وأوبقتهم الحظوظ ، وأفسدوا في الأرض فأهلكوا أنفسهم وغيرهم بما نسوا يوم الحساب ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [(2)] .

**الدار الآخرة**

الدار الآخرة هي النشأة الآخرة التى أعدها الله تعالي لإظهار الفضل الحقيقّي والرحمة الحقيقية الخالصتين من شوائب القهر والانتقام والجبروت ، فإن كل فضل في الدنيا ورحمة لابد وأن يكونا مشوبين بعناء وبلاء وشدة ومجاهدة للنفس ، أما النعيم والبهجة واللذة في الدار الآخرة بمعناها الحقيقي لا يمكن أن يتصورها العقل ولا أن يتخيله الخيال إلا بنسبة نعيم الدنيا وبهجتها العقليين ولذتها وسعادتها الحسيتين ، وبين تلك المعاني بون شاسع وبعد عظيم لا يمكن أن يدرك حقيقة إلا بالمشاهدة والحس . ومن أين للعقل أن يتعقل الغيب عنه إلا بنسبة ما ، أو للحس أن يدرك حقيقة إلا بقدر مَّا ؟ فالدار الآخرة ملاذها العقلية فوق كل ما يدركه العقل من الملاذ في تلك الدار الدنيا ، وملاذها الحسية فوق ما يدرك الحس من ملاذ الدنيا ، وقد تنكشف الحقيقة بوجه ما لأهل الصدق فتلوح لهم ملاذ الدنيا بالنسبة لملاذ الآخرة كمثال رجل شرب الخمرة حتي فقد شعوره ، ثم دعاه

داعي الشهوة فخرج يطلب شهوة النكاح فوقع به السكر علي مقبرة مشيدة بها قبر كالحجرة به نساء دفن من أيام عليهن الحلي والزينة ، وبجوارهن نور كعادة أهل زمنه ، فتخيل له من السكر أنهن أجمل نساء العالم ، وأنهن من بنات الملوك خرجن لتغير الهواء في تلك الغيضة ، فأتي أجملهن لباسا وكان في أكمل لذة وأعظم بهجة يشكر حظه ويثني علي بخته ، وتناول من خمر بجوار الموتي فزاد سكره حتي قهره النوم فالتقي بجوارهن حتي أصبح فوجد ثيابه ملطخة بالقيح والصديد وتحقق من سوء عمله ، فاستقذر العمل وكرهه كراهة شديدة لما يسمع عليه من بهجة النساء وزينتهن ، فكذلك حال لذة الدنيا بالنسبة للآخرة لمن انكشفت له ولو بتصديق الخبر عنها تصديقا متناسبا بالنسبه للذة الدنيا ، هي كجيفة تلذذ بها الإنسان مسرورا بلذته فرحا بحظوته ، فإن تنبه من غفلته نفر منها نفور الحليم من الحماقة والشجاع من الجبن والتقيّ من الكبائر ، وزهدها زهدا حقيقيا وجعل ميله إليها للضرورة التى لابد منها ، كما يستريح المسافر علي قلل الجبال وفي غابات السباع لغلبة نومه وشدة تعبه ليقوي علي السفر ، حتي إذا وصل موطن الإقامة ومنـزلة الكرامة زال عناؤه وكأنه لم ينصب .

فالدار الآخرة هي الدار التى يتحقق العاقل البصير أنه لابد أن يرجع إليها ، ويفهم من الآيات الظاهرة في الكون والحكمة المشرقة في نفسه وفي الآفاق أنه لابد من نشأة أخري تكون في الآيات ، وتظهر فيها الحكمة الخفية من هذه النشأة الأولي . الدار الآخرة يظهر فيها عدل الحكم العدل بحقيقته ومعناه ، وقهر الحكيم القاهر وعزة العزيز القوي ، فيحاسب الناس علي نعم لا تحصي ومنن لا تستقصي ، فمن وفقه فوفي أكرمه بحقيقة الإكرام ، ومن أضله سبحانه- ولايسأل عما يفعل – فخالف ربه وعصي أمره وعمل عمل المكذبين أورده موارد غضبه ، وأبعده عن منازل رحمته ، وأشهده قدر النعمة عليه والعقوبة

علي كفره وجحود ، نعوذ بالله من غضبه وسخطه ، وأسأل سبحانه وتعالي التوفيق لما يحب من القول والعمل والعلم .

**لذات الدار الآخرة**

لما كانت اللذة هي نيل وإدراك ما هو ملائم وخير في الحقيقة ونفس الأمر ، ولا يكون النيل إلا بالحس ، والإدراك لا يكون إلا بانكشاف الحقيقة إنكشافا حقيقياً يفيد علم اليقين بمنافعها ومزاياها ، فالادراك بالنفس الناطقة ، والنيل للنفس الشهوية والسبعية ، وقد تتفاوت الملاذ بحسب صفاء النفس وتوازن القوي المكونة للإنسان ، فقد يكون إدراك اللذة هو عين اللذة عند أهل النفوس الكاملة ، وتنحط اللذة الأخري التى هي نيل بالحس في جانب الملاذ النفسانية ، ولكن لا تكون اللذة لذة حقيقية إلا اذا توفر فيها الإدراك والنيل ، كما هو صريح القرآن الكريم من أن لذة الدار الآخرة، تشترك فيها النفس والأعضاء ، فهي ملاذ معنوية وحسية ، وإن كان بعض الكتب السماوية لم ينبه علي الملاذ الحسية في الدرا الآخرة الأمر الذي جعل بعض من لم تقع بهم عين البصيرة علي حقيقة العلم ، ولم يذوقوا حلاوة الحكمة في تكوين الإنسان وتركيبه من النفوس ، ينكرون أن النشأة الأولي هي صورة النشأة الأخري ، وأن الملاذ في الدنيا هي أمثال لملاذ الدار الآخرة ليترقي من المثال إلي الحقيقة ومن الوسيلة الى المقصد ، وقد توسع كثير ممن لم تنفذ أشعة أنوار قلوبهم من ستائر أوهامهم فتخيلوا صحة آراء القائلين بهذا المذهب جهلاً منهم ، ولو أنهم جاهدوا أنفسهم وطهرت لعلَّمهم الله علم ما لم يعلموا بالعمل بما علموا ، قال الله تعالي : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {9} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [2] وهل شرف الإنسان وبلغ من الكمال ما به أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم إلا بعد أن نفخ الله الروح في جسده فصار بالجسد مظهراً كاملاً لآيات الحق سبحانه وعالما صغيرا انطوي فيه العالم الأكبر ؟ فالانسان لا يطلق علي النفس المجردة ولا علي الجسم المجرد من النفس ، فما بقي إلا أن نعتقد حق الاعتقاد أن الذي يعذب

ويثاب هو الانسان بمعناه ومبناه ، إذ لا يطلق انسان إلا علي تلك الحقيقة المركبة من الجسم والنفوس ، والقائل بأن النعيم أو العقاب إنما يكون علي النفس فذلك جهل بعجائب القدرة وغرائب الحكمة وحبس لنور الفكر الكامل أن ينفذ من أقطار الأوهام ، أو يسبح في لطائف الحكمة، ودقائق الآيات ، والله سبحانه وتعالي يشرح لتلقي الحكمة صدورنا ويشهدنا ما به تطمئن قلوبنا إنه مجيب الدعاء .

## أنواع ملاذ الآخرة

قد بشرنا الله علي لسان نبيه وفي تنـزيله أنه سبحانه أعد لنا جنانا تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة ، ومطاعم من أشهي وألذ ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وحورا مقصورات في الخيام كأنهن اللؤلؤ والمرجان ، ولدانا مخلدين يطفون بأكواب وأباريق كأنهن اللؤلؤ المنثور ، وأنهاراً من ماء آسن ، ومن لبن لم يتغير طعمه ، ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفي ، وبهجة وسرورا ونضرة وحبورا ، وفوق ذلك من مقامات الكرامة ومنازل الحظوة مالا تفي العبارة بكشفه ، وفوق ذلك رضوان الله الأكبر ، والتنعم بمشاهدة وجهه الكريم ، والفوز بمنازلاته في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

تلك الأنواع منها ما هو للجسم ومنها ما هو للنفس . وللنفس ملاذ أخري كما قال ﴿ ρ وآله﴾ : ( فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ، ولا خَطَرَ علي قلب بشرٍ )[2] كل ذلك فضل من الله وإحسان عظيم منه جلّت قدرته . فالواجب علينا أن نعقد قلوبنا علي التصديق بيوم الحساب ، ونجمع بين الخوف من عدل الحكيم القادر والطمع في فضل المحسن الوهاب ، ونعتقد أنه يكون للجسم والروح معا ، وأن الذي أنشأ النشأة الأولي هو سبحانه وتعالي الذي ينشئ النشأة الآخرة ، بل هي أهون عليه سبحانه .

و العقل إذا فهم الفرق بين مرتبة واجب الوجود وفعله سبحانه وانه ليس كمثله شئ ذاتا واسما وصفه وفعلا وبين ممكن الوجود ، ولم يجعل ميزانا ينسب به عمل الواجب للممكن ، أو يري الواجب محكوما عليه كما يري الممكن ، لكان النظري بدهيا لديه والغيب مشهودا له والآيات واضحة جلية ، ولكن جهل الإنسان بنفسه أداه إلي جهله بربه ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [2] ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [2] وقد شرح القرآن الكريم وبين الصادق الأمين ﴿ ρ وآله﴾ انواع السعادات في الدرا الآخرة وطرق نوالها ، وأنواع العقوبات وحصون التوقي منها ، وما علي العاقل سليم القلب إلا أن يتلو القرآن تلاوة متدبر ، ويقرأ كلام رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ قراءة متأمل ، فتنكشف له الأسرار ويمحي عن قلبه الرين ويفك القفل عنه ويزول من الأذن الوقر ، لتشرق انوار البصيرة فتشاهد عوالم الملكوت الأعلي ، لتري الجنة ونعيمها والنار وجحيمها علم يقين ، فيفر إلي الله مسلما ويقبل عليه فيفوز بالمغفرة والعفو والسعادة والرضوان .

# الفصل الثاني
# الواجب لرسول الله ﴿ ρ **وآله**﴾

**حكمة إرسال الرسل :**

اللهم اعصمني بحفظك يا حفيظ ، فإني أتوسل إلي جنابك العليّ بحبيبك ومصطفاك سيدنا ومولانا محمد ﴿ ρ وآله﴾ أن تمدني بروح منك ونور يستبين لى به الحق ، وتنكشف تلك الأسرار ، حتي اتمكن بحولك وقوتك سبحانك وتوفيقك ومعونتك أن أفهم الحكمة والفضل والرحمة والنعمة التى أكرمتنا بها ببعثة رسلك عليهم الصلاة والسلام

، وأدرك عظيم منتك علينا بالرحمة العظمي والوسيلة العظمي سيدنا ومولانا محمد ﴿ ρ وآله﴾ آمين .

قبل أن أبين الواجب علينا لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ أفتتح الموضوع بحكمة إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام .

إن الله ذو الفضل العظيم تقدست ذاته وتنزهت أسماؤه ووصفاته ، جعل الإنسان عالما وسطا بين عوالم الملك والملكوت ، ومنحه سبحانه من مواهب إحسانه ولطائف آياته وبديع أسراره ما جعله جامعا لكل معاني الكائنات ، فجمع فيه سبحانه معاني الجمادات والنباتات والحيوانات والملائكة المقربين ، وأودع فيه سبحانه قوي نفوس كل رتبة من مراتب الوجود ، فهو كما قررنا في تعريف الإنسان فيما سبق من الكتب ( أساس الطريق ) مَلَك وأكمل . وشيطان وأفجر . وحيوان وأجرأ . وقد جعله الله تعالي أكثر احتياجا من كل الأنواع الأخري ، وأضعف جسما منها ، بحيث لا يمكن أن يقوم ببعض ضرورياته منفردا إلا بمعاونة لمعاوضة تؤدي إلي معارضة ، ولما كانت الحكمة الإلهية قضت أن يكون الإنسان بحيث يتصرف التصرف المطلق في جميع الأنواع الأخري بما تفضل الله به عليه من العقل والإدراك والفكر والرؤَّية وكانت ضرورياته – مع ما سلط عليه من دواعي الحظ والهوي – تدفعه إلي الاستئثار بالملائم له ، تارة لما فيه من القوة الحيوانية ، وآونة لما فيه من القوة الإبليسية ، فإذا تمكنت تلك البواعث علي أفراد الإنسان حُرِمَ سعادة الدنيا والآخرة ، وكانت حياته في الدنيا حياة الوحوش المفترسة بالنسبة للأقوياء ، والحيوانات الداجنة بالنسبة للضعفاء ، فتفضل الله- وهو ذو الفضل العظيم فضلاً منه لاوجوبا عليه – كما تفضل علي الإنسان بمواهبه العلية ، وكما سخر له ما في السموات وما في الأرض جميعا من فضله ، فأرسل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وأيدهم بالمعجزة الباهرة ، وأنزل عليهم حقائق التوحيد ، وحقيقة

العدل في المعاملة ، وأحكام العبادة ، ونوع العبادات : منها ما يكرر يومياً كالصلوات لدوام استحضار المنعم المتفضل وشكره وتعظيمه وإشعار القلب بجلاله ، ثم أنه سبحانه وتعالي بين أن المطيع – مع ما يناله من سعادة الدنيا لقيامه بأحكام الشريعة- يفوز بنعيم مقيم يوم القيامة فضلاً منه وكرماً ، وأن المخالف للرسل عليهم الصلاة والسلام العاصي – مع ما يناله من الشقاء في الدنيا – يعذب في نار جهنم عقوبة له ، وبيّن سبحانه حقيقة المعاملة والحقوق فشمل العدل جميع الخلق من بني الإنسان وغيرهم بتنفيذ أحكام الله سبحانه وتعالي والعمل بوصايا رسله عليهم الصلاة والسلام .

فمن نظر إلي تلك الحكمة ، وأقبل مسلما لله وجهه مبيناً إليه سبحانه وتعالي ظهر له فضل الله العظيم ورحمته الحقيقية لسعادة بني الإنسان ونعمته العظمي سبحانه وتعالي علي الإنسان بالبهجة الحقيقية ، واللذة يوم الحساب فسبحان ذي الفضل العظيم الحكيم الرحيم المنعم .

**نعمة الله علينا ورحمته بالمصطفي ﴿ ρ وآله﴾ :**

فالله سبحانه وتعالي ظهر بحكمته وفضله ورحمته ونعمته ومنته في ذات سيدنا ومولانا محمد ﴿ ρ وآله﴾ ، فأنعم علينا برسوله ﴿ ρ وآله﴾ علي فترة من الرسل .

أنقذنا الله تعالي به من الضلالة إلي الهدي ومن الكفر إلي الإيمان ، قال سبحانه وتعالي : ( هو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون ) [2] وقال سبحانه وتعالي : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [2] .

و قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] وقال سبحانه وتعالي : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾[2] وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً {45} وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً {46} وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً {45} وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً {46} وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم

وقال سبحانه وتعالي : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) [2] وقال الله تعالي : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ) [2] وقال تعالي : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾[2] أي نعمته علينا بسيدنا محمد ﴿ ρ وآله﴾ .

و بسند الإمام البخاري عن عطاء بن يسار قال : ( لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتي يقيم به الله الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عميا وآذان صما وقلوبا غلفا [2] وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق : ﴿ ولا صخب في الأسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قوال للخنا ، أسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوي ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفا طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدي إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، اهدي به بعد الضلالة ، وأعلّم به بعد

الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأسمي به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع بـه بعد الفرقـة ، وأؤلـف بـه بـين قلـوب مختلفـة وأهـواء متشـتتة وأمـم متفرقـة ، وأجعـل أمتـه خيـر امـة أخرجت للناس ﴾ . وفي حديث أخر اخبرنـا رسـول الله ﴿ ρ وآلـه﴾ عـن صـفته فـي التـوراة : ﴿ عبـدي أحمـد المختـار ن مولـده بمكـة ومهـاجره بالمدينة – وفي رواية : طيبة- أمته الحمَّادون لله علي كل حال ﴾[2] .

و قال تعالي : ( الذين يتبعون الرسول النبـي الأمـي )[2] الآيـة ، وقد قال تعالي : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظـاً غليظ القلب ) [2] .

هذا وقد نبهنا الله تعالي لمننه علينا بحبيبه وخاتم رسله سيدنا ومولانـا محمد ، حيث جعله رحمة عامة للمؤمنين رءوفا بهم ﴿ ρ وآله﴾ ، لـين الجانـب سـمحا سـهلاً طلقـاً بـراً لطيفـاً ، وجعلنـا إكرامـاً لـه ﴿ ρ وآلـه﴾ شـهداء علـي النـاس يـوم القيامـة ، فكنـا أمـة وسـطا وخيـر أمـة أخرجـت للناس إكراماً لحضرته وتعظيماً لشـأنه ، جمعنـا الله بـه ﴿ ρ وآلـه﴾ بعد التفرقة ، وهدانا به بعد الضلالة وأنقذنا سبحانه وتعـالي بـه ﴿ ρ وآلـه﴾ من شفا جرف هار في نار جهنم ، فأصبحنا- بنعمة الله علينا بسيدنا و مولانا محمد ﴿ ρ وآله﴾ - إخوانـا متحـابين ، كأننـا جسم واحد أو نفس واحدة في أعضـاء متعددة كل فرد لكل فـرد ككل عضـو لكل عضـو . فسبحان ذي الفضل العظيم .

ظهرت تلك الحقيقة بلا مراء جلية لمن علموا وعملوا فكانوا خلفاء الله في أرضه ، أخضع لهم من خالفهم وأذل لهم من عارضهم ، مكنهم الله سبحانه وتعالي في الأرض بالحق ، ومن عليهم رضوان الله عليهم بما منَّ به علـي أنبيائه من الفرقان والعرفان والقرب والمشاهدة واليقين ، عملوا لله فعمل الله لهم ، تحققوا بمعيـة الله سـبحانه ، فكـان الله سـبحانـه معهم ، ومن كان الله معه لا تدري نفس مقدار مـا يمـن بـه عليـه ، ومـا

انحرف قوم من المسلمين عن صراطه المستقيم وطريقه القويم إلا أذاقهم الله لباس الجوع والخوف ومكَّنَ منهم عدوهم وأذلهم . أعوذ بوجه الله الكريم من مخالفة سيدنا ومولانا محمد ﴿ ρ وآله﴾ .

**أنواع الواجب علينا لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ :**

الحمد لله ثبتت دلائل النبوة ، وقامت الحجة العقلية علي حقيقة رسالته ﴿ ρ وآله﴾ وشهدت العيون والقلوب علي ما تيقنته من صحة تصديقه ، ولست في مقام إثبات دلائل الرسالة وسرد الأدلة وشرح المعجزة ، لأن ذلك أمر اعترف به العدو والصديق والمسلم والكافر إذا ألقي السمع وهو شهيد ، إلا من قطعهم العناد عن شهود تلك الشمس المشرقة في الأفق الصحو ، فما علي الآن إلا أن أبين الواجب علىَّ علي كل فرد مسلم ، وتنحصر انواع الوجب علينا في تصديقه واتباعه في سنته ، وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره ، وفي حكم الصلاة والتسليم عليه ﴿ ρ وآله﴾ ، وزيارة قبره ﴿ ρ وآله﴾ ، والمودة في قرابته ﴿ ρ وآله﴾ .

**1- وجوب التصديق والطاعة والإتباع :**

بَدَهِيٌ أن الخير مقصود لكل عاقل وأن الشر عدو كل عاقل ، وتحقق أن الخير والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة لا تنال إلا بطلبها من وجوهها الحقيقية ، وتقرر أن سيدنا ومولانا محمد هو رسول الله حقا ، وشهدنا أنه الرحمة العظمي الرءوف الرحيم بنا ، واعترفت العقول السليمة بذلك ، وشهدنا بالحس في هذه الدنيا أن مخالفته والعمل بغير وصاياه سبب في شقاء الدنيا وفساد المجتمع الفاضل وهلاك الفرد المخالف ، فالواجب علينا – قياماً بالواجب لأنفسنا ، لأن الله سبحانه وتعالي غنيٌّ عن العالمين ورسوله ﴿ ρ وآله﴾ عدو للكافرين والفاسقين والمجرمين - - أن نصدق سيدنا ومولانا محمداً ﴿ ρ وآله﴾ تصديقاً

يبلغ من اليقين أن نعتقد انه هو الرحمة الحقيقية لنا والسعادة الحقيقة لنا ، وأن وصاياه لم تكن إلا لخيرنا الحقيقي الذي هو مقصود العقلاء ، وبه لذة الحياة الدنيا والأخري ، بحيث نتحقق أن مخالفته ﴿ ρ وآله﴾ شقاء لأبداننا وذل لنا ، وعذاب لأرواحنا وهلاك لمجموعنا وذهاب لريحنا وفشل لنا .

و يجب علينا أن نطيعه ﴿ ρ وآله﴾ إطاعة عن تبصرة ، متحققين أن طاعته ﴿ ρ وآله﴾ نجاة الأبدان وسعادة الأرواح ، وبها العز في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة ، بحيث أن نجاهد أنفسنا الجهاد الأكبر في لزوم طاعته ﴿ ρ وآله﴾ والعمل بوصاياه حتي تلين ، ولو أن ذلك أدى إلي مالا يلائم النفس ، بل ولو أدي إلي ذهابها أو ذهاب المال والجاه ، كل ذلك بيقين حق ولذة وسرور وفرح وأنس ، حتي تلين النفس وتنقاد لسُنِتَّهِ وتتلذذ بعمل أوامره ، وتستوحش من كل مخالفة في صغيرة أو كبيرة .

و يجب علينا أن نحبه ﴿ ρ وآله﴾ حبا أشد من حبنا لأنفسنا وأموالنا وأولادنا : حبا يجعلنا نحافظ علي سنته ونحيي كلمته ، ونتفاني في ذلك منافسة في نوال أعلي درجات المحبة فيه ﴿ ρ وآله﴾ لأننا بذلك نفوز بحقيقة الكمالات وننال أرقع منازل الوصال ، لأننا بحبنا له ﴿ ρ وآله﴾ أحببنا أنفسنا ، لأننا بمحبته ﴿ ρ وآله﴾ المحبة التى تجعلنا نعتقد أنه أولي بنا من أنفسنا وأرحم بنا منها وأرأف وأشفق وأعلم بخيرنا منا ، مع ما كان عليه ﴿ ρ وآله﴾ من الخلق العظيم والعاطفة الحقيقية والحكمة البالغة في إظهار الحق لنا ، ودعوتنا للسعادة الحقيقية ، وما تحمله ﴿ ρ وآله﴾ في سبيل نجاتنا وخلاصنا حتي عاتبه الله سبحانه وتعالي عتاباً شدياً بقوله سبحانه وتعالي : (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) [2] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضا﴾[2] وقوله سبحانه وتعالي ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ

لَهُمْ ﴾ (2) وقوله سبحانه وتعالي : (إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) (2) وقد تحققنا يقينا سنة الله في الرسل قبله ﴿ ρ وآله﴾ بالتواتر ، أن بعضهم دعا علي قومه فأهلكهم الله بالطوفان ، وآخرين أغرقهم في اليم ، ومن الأمم من خسفت بهم الأرض ، ومنهم من مسخوا قردة وخنازير ، ومنهم من أهلكهم بالسنين ، ولم يتحمل نبي من قومه ما تحمله ﴿ ρ وآله﴾ من قومه ، فكان ﴿ ρ وآله﴾ إذا اشتد به الأمر قال : ( رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون ) فأي عقل سليم ونفس زكية تتمثل ما أنعم الله به علينا بهذا الحبيب الأكبر ﴿ ρ وآله﴾ ولا تتأله حبا في ذاته ﴿ ρ وآله﴾ ، وعشقا في أخلاقه ﴿ ρ وآله﴾ ، ومحافظة علي سنته ﴿ ρ وآله﴾؟ فالسعيد حقا من محنه الله جزيل مننه وعظيم نعمته حتي تمثل هذا السيد ﴿ ρ وآله﴾ وعلم بعض ما منَّ الله به علينا ، فأنزله ﴿ ρ وآله﴾ في أعلي المراتب من الحب والتعظيم ، وقام مجاهداً نفسه في العمل بسنته ﴿ ρ وآله﴾ هذا من حيث كمالاته ﴿ ρ وآله﴾ فكيف إذا تمثلنا ما ننال به السعادة ﴿ ρ وآله﴾ وما نبلغ به من درجة الكمال في النعيم الجسماني والسعادة الروحانية ؟ ذلك يجعلنا نجعل محبته ﴿ ρ وآله﴾ فوق محبتنا لأنفسنا ، ونجعل اتباع سنته ﴿ ρ وآله﴾ أولي من لذتنا وحظنا ،نعم قد انكشفت تلك الحقيقية وتجلت لمن منّ الله عليه بنوره من العقل الذى يعقل عن الحق سبحانه أحكامه وحِكمه ، وعن رسوله ﴿ ρ وآله﴾ وصاياه وإرشاداته ، وقدر رأفته بنا وحنانته ورحمته بنا ﴿ ρ وآله﴾ وإن حجب الحقيقة حجاب الحظ والهوي عن اناسي طالت نومه غفلتهم ورقدة جهالتهم ممن رضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها ، فإن هؤلاء ليسوا من بني الإنسان وإن كانوا علي صورة الإنسان ، قال تعالي : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (2) وقال سبحانه :﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ﴾ (2) وقال سبحانه وتعالي : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ (2) .

هذا وإن من بعض بني الإنسان من هم صورة الإنسان وهم شياطين علي صورة الإنسان ، وهم أهل النفوس الخبيثة المطبوعة علي الجحود والإنكار والتشكك والريب والحسد ، وهم أهل الجدل المارقين عن الحق ، ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي أبصارهم غشاوة لا يبصرون إلا في ظلمة الضلالة ولا يفقهون إلا في ليل الغواية ، ولا يسمعون إلا من قرين السوء وداعي الفساد ، كالخفاش لا يبصر الشمس ضحوة في السماء الصافية ، ولا يصدق بوجودها ولو أقاموا له ألف حجة ودليل ، لم يكن ذلك لأن الشمس محجوبة عن الأبصار بل لأنه لا يبصر إلا في الظلام وليس الخفاش حجة لبقية الطيور علي أن الشمس ليست موجودة فكيف يكون موتي القلوب حجة لأهل العقول السليمة علي ما حرموه من النور ؟ فلم يبق لعاقل إلا أن يشكر الله علي ما أكرمه به من النور ، ووفقه له من العلم والعمل ، ومن به عليه من الإيمان والإسلام .

إذا تقرر ذلك فالواجب علي كل من مَنَّ الله عليه بالإسلام أن يبتدئ بتلقيِّ ما أوجبه الله عليه من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، ويتعلم سنن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ في كل قول وعمل وحال ، واخلاقه ﴿ ρ وآله﴾ من الصبر والرضا والصدق والأمانة والرحمة والرأفة والحرص علي سعادة الخلق أجمعين ، والتواضع والتوكل والشجاعة والنجدة والإقدام والبر والصلة والفضيلة والمروءة والعفة والحكمة والمداراة والعفو والبشاشة والغضب والانتقام والإكرام بحسب مناسبات كل وقت ومقتضياته ، فيغضب حيث يغضب رسول الله ويرضي حيث يرضي ، وينتقم حيث ينتقم ، ويعفو حيث يعفو حتي يكون عاملاً في سنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ متخلقاً باخلاقه مشابها له ﴿ ρ وآله﴾ ، فإذا كملت تلك المعاني علماً بمعونة الله ، وقام بها عملا بتوفيق الله سبحانه وتعالي ، تحقق العبد بكمال الطاعة لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، والمحبة له ﴿ ρ وآله﴾ والبر والمودة لأقاربه ﴿ ρ وآله﴾

وبالصلاة عليه ﴿ ρ وآله﴾ ، حتي يكون كاملاً في كل تلك المعاني ويكون من أهل معيته ﴿ ρ وآله﴾ الذين وصفهم الله تعالي في آخر الفتح ولو كان في القرن الرابع عشر من الهجرة أو أكثر منه .

**2- وجوب تعلم آدابه ﴿ ρ وآله﴾ :**

**وجوب تعليم آدابه :.**

و من الواجب علينا لجنابه ﴿ ρ وآله﴾ أن نتعلم آدابه ﴿ ρ وآله﴾ التى أد به الله تعالي بها في نفسه ﴿ ρ وآله﴾ ومع أهله وجيرانه وأهل المدينة والوفود . وآدابه ﴿ ρ وآله﴾ في التعليم والصلح والإصلاح والأكل والشرب والنوم والمجالسة والمعاشرة والنصيحة والموعظة . وآدابه مع أهل الفضل والنسب والحسب . وآدابه ﴿ ρ وآله﴾ مع الفقراء والمرضي . وآدابه في غزواته ولباسه ومشيه وخصوصاً في صلاته وصيامه وحجه ﴿ ρ وآله﴾ وفي حال معيشته ، بل وفي كل ما يحب ويكره نتعلم ذلك كله من طرقه الصحيحة وأسانيده الحسنة ، ونجاهد أنفسنا الجهاد الأكبر ان نتشبه به ﴿ ρ وآله﴾ . ونسارع إلي التوبة إن قهرتنا علي عمل في غير سنة واضحة ومحجة بينة ، وليس علي السنة من علم بعض الدين وعمل به وترك العلم بما لابدّ له منه ، فبعض الناس ممن يجتهدون في تعلم أركان الإسلام ويجهلون بقية شعبه ويظنون أنهم يحسنون صنعا ، فيجهلون علوم الأخلاق والمعاملة التى هي الدين ويحسبون انهم تكملوا في الإسلام ، وبينه وبينهم مراحل .

و لا أخالك أيها القارئ تظن أني أحتم عليك أن تتعلم أصول الدين وفروعه مما لابد لك منه وما لا حاجة لك إليه ، فأقول لك إني لا أعني أن تتعلم طرق الاختلاف وأصول الاستنباط وعلم الفصل في القضايا والإفتاء والمواريث وتدبير الجيوش والولايات ، فإن ذلك خاص بمن تعين عليه ، ولكنك أيها القارئ علي يقين أنك لابد لك من

معاملـة تجـب عليـك لوالـديك وإخوانـك وأهلـك وأولادك وجيرانـك والصناع والتجار والزراع والعمال ، فيجب عليك أن تتعلم الأحكام الشـرعية التـى يمكنـك بهـا أن تبـر والـديك وتصـل رحمـك وتحسـن معاشرة أهلك وأولادك ومعاملـة جيرانك وخدمك ، بحيث لو جهلت ذلك لعملت في غير سنة وكنت علي غير هدي ، ودخل عليك الحرام من حيث لا تشعر ، ووقعت فيما يغضب من حيث لا تعلم .

**طاعة رسول الله عين طاعة الحق سبحانه :**

فالواجـب علينـا جميعـاً لرسـول الله ﴿ ρ وآلـه﴾ أن نجعـل كـل أعمالنـا مؤسسـة علـي السـنة قيامـاً بـالحقوق الواجبـة علينـا لجنابـه﴿ ρ وآلـه﴾ وبالحقوق الواجبة علينا لأنفستا حتى نبلغ غاية الكمال الذى أهلنا له ، وإلا فنكون أهلكنا أنفسنا بجهلنا ، قال الله تعالي في وجوب الإيمان بـه وفرض طاعته واتباع سنته : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بـالله ورسـوله ﴾ [2] وقـال سـبحانه وتعـالي : ﴿ فَـآمِنُواْ بِـاللّهِ وَرَسُـولِهِ النَّبِـيِّ الأُمِّـيِّ﴾ [2] وقـال سـبحانه وتعـالي : ﴿ وَأَطِيعُـواْ اللّهَ وَالرَّسُـولَ لَعَلَّكُـمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2] وقال سبحانه وتعالي : (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [2] وقـال سبحانه وتعالي : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾ [2] وقـال تعـالي : ﴿ وَمَـا آتَـاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَـا نَهَـاكُمْ عَنْـهُ فَـانتَهُوا ﴾ [2] وقـال سـبحانه وتعالي : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ . . الآيـة ﴾ [2] وقـال تعـالي :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ ﴾ [2] .

يظهر من صريح تلك الآيات أن الله تقدست ذاتـه جعل طاعـة رسـوله ﴿ ρ وآله﴾ عين طاعته ، وقرن طاعتـه سبحانه بطاعتـه ، ووعد جل ذكره علي ذلك بجزيل الثواب ، وأنذر من خالف سوء العقاب،وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه﴿ ρ وآلـه﴾ وأجمـع المفسرون والأئمـة علـى أن طاعة الرسول ﴿ ρ وآله﴾ تتحقق في التزام السنة والتسليم لمـا جـاء بـه . سئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال بسند البخاري عن

أبي هريرة رضي الله تبارك عنه يقول : إن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ قال : ﴿ مَـنْ أَطَـاعَنِي فَقَـدْ أَطَـاَعَ الله وَمَـنْ عَصَـانِي فَقَـدْ عَصَـي الله ، ومَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ عَصَي أمِيرِي فَقَدْ عَصَاِني ﴾ [2] هذا وقد ورد في القرآن الكريم أن الكفار وهم في الحطمة : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ ﴾[2] فتمنوا طاعته ﴿ ρ وآله﴾ وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ﴾ .

و في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : ﴿كل أمتي يدخلون الجنةَ إلاَّ من أبي ، قالوا ومن يأبي ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبي ﴾ [2] وفي الحديث الصحيح عنه ﴿ ρ وآله﴾: ﴿ مَثَلي ومَثَلُ ما بعثني الله به كمثل رجل أتي قوماً فقال : ياقوم إني رأيتُ الجيشَ بعيني ، وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأُدلجوا وانطلقوا علي مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فدهمهم الجيش فأهلكم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق ﴾ [2] وفي الحديث الأخر: ﴿ مثله كمثل من بني دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعبا ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فالدار الجنة والداعي محمد ﴿ ρ وآله﴾ فمن اطاع محمداً فقد أطاع الله ، ومن عصي محمداً فقد عصي الله ، ومحمد فرق بين الناس ﴾ [2] .

### 3- وجوب إتباعه والإقتداء بهديه والعمل بسنته ﴿ ρ وآله﴾ :

قال الله تعالي : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] وقال سبحانه وتعالي : ﴿فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

[2] . وقال الله تعالي : ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [2] أي ينقادوا لحكمك . قال تعالي : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [2] عن الترمذي : الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل ، وقال غير واحد من المفسرين بمعناه ، وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه المضئ لسبل الله ، والصراط المستقيم إلي حضرة القدس ، وأن أعماله ﴿ ρ وآله﴾ ، وأحواله وأقواله ووصاياه هي المعارج التى تعرج عليها الأشباح والأرواح إلي حظائر الملكوت الاعلي ولو أن العقل ترك وشأنه متجرداً من كل حظ يكسف نوره ، وهوي يطمث بصيرته لانكشفت له حقيقة السعادة في تلك الدار الدنيا ، وأكمل الخير الحقيقي في الحياة الباقية الأبدية ممثلة فيما جاء به هذا السيد ، لأن وصاياه ﴿ ρ وآله﴾ وهديه القويم وأخلاقه الكريمة كوقاية للعالم الحي من الشرور، ، ومراق للنوع الإنساني إلي أكمل منازل السعادة وأجمل معاني الفضائل ،كيف لا قد قوَّم الأخلاق المعوجة وكشف سحب الظلمات عن شمس التوحيد ، ومحا غياهب الضلال بنور الدلائل ، حتي سجد العقل معترفاً ، وصفي الخيال مغترفا ، ملأ القلوب السليمة حباً لذاته لأن الله صاغها من رحمة ورأفة وحنان ، وليس علي ذي اللب إلا المسارعة في التشبه بجنابه حتي يفوز بقسط وافر من تلك الفضائل الكاملة والمزايا الفاضلة والجزاء العظيم والنعيم المقيم ، وليست النفوس اللاهية عن العمل بهديه وإن غرقت في يم الغفلة والنسيان بمنكرة هذا الفضل العظيم ولا بجاحدة هذا المقام الجليل ، وربما تمثلته بصيرته فجذبته نسمات هذا الروض الزاهر إلي الإنابة إلي الحق والنزوع عن الباطل والتجافي عن دار الغرور ، وأقبلت بقلب سليم عشقا في تلك الشمائل وإعجاباً بأخلاق تتعشقها الأرواح . ولسنا في صدد ذكر نبذ من تلك المعاني فقد صارت كالشمس ضحوة في نهار الصيف .

**4- وجوب محبته ﴿ ρ وآله﴾ ، والآيات والأحاديث الواردة في ذلك :**
قال الله تعالي : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [2] هذه الآية الشريفة نور للقلوب المستضيئة بنور اليقين ، لأن الله تعالي جعل كل مؤمن يكون حبه لوالديه وأولاده وإخوته وزوجاته وعشيرته وأمواله أكثر من حبه لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ فاسقاً ضالاً ، وأوعده بأن يتربص حتي يأتي أمر الله نعوذ بالله أن يكون شئ أحب إلينا من الله ورسوله .

**الأحاديث الواردة في وجوب محبته ﴿ ρ وآله﴾ :**
بسند الإمام أبي الفضل عياض عن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ﴾ [2] وعن سيدنا أنس رضي الله عنه ﴿ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار ﴾ [2] وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ لأنت أحب إلي من كل شئ إلا نفسي التى بين جنبي ، فقال له ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّي أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْهِ مِن نَفْسِهِ ﴾ فقال عمر : والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التى بين جنبي ، فقال له النبي ﴿ ρ وآله﴾ :
﴿ الآن يا عمر ﴾ .

**مراتب محبته ﴿ ρ وآله﴾**

**الحب في مقام الواصلين**

هذا المقام هو المقام الذي تتفاوت فيه الهمم ، ويتنافس فيه المتنافسون ، وما بلغ عبد مقام قرب إلا بحب لجنابه ﴿ ρ وآله﴾ ، وبقدر ما ينكشف

للعقل من معاني كمالاته عليه الصلاة والسلام ، وما يشرق علي القلب من أنوار أسراره تكون المحبة ، فقد تبلغ بالعالم بكمالاته ﴿ ρ وآله﴾ مبلغاً تتخلل المحبة جميع أعضائه حتي ينصبغ بالحق صبغة تجعله مثلاً يمثل تلك المعاني ، وصورة كاملة للحقيقة المحمدية ، حتي يكون منطبعاً علي الكمال مجملاً بالفضائل قولاً وخلقا وعملا سرا وعلانيه ، ولا يزال – في كل نفس- في مزيد من التجمل بتلك الأسرار ، والتحلي بحلل المعاني بانكشاف حكيم الوصايا وأسرار الأحكام وحقيقة الرحمة والرأفة والحرص ، وظهور خير المآل وسعادة الأبد ، فيكون المحب في هذا المقام كمن انبلجت له شمس تلك الحقيقة مشرقة في أفقه فوضحت له المناهج ، ورفعت عنه الستائر .

و تيقن بقدر ما فاز به من المواهب وما ظفر به من الخيرات ، وتحقق جمال معاني من أمده الله علي يديه بتلك المنن ، فكانت ذاته محبوبه لكمالاتها الذاتية ، ووصاياه وتعاليمه ، محبوبه يسارع في التجمل بها لما يناله من الفضل والرضوان وهو مقام الواصلين .

**الحب في مقام السالكين :**

السالك هو من علم زوال الدنيا وبقاء تبعاتها وتيقن بيوم الحساب ، وتحقق أن طريق النجاة من أهوال القيامة هو المحافظة علي سنة سيدنا ومولانا محمد ﴿ ρ وآله﴾ ، وتبين بنور العلم أنه ﴿ ρ وآله﴾ الواسطة العظمي للوصول إلي النعيم المقيم ، فعشقه ﴿ ρ وآله﴾ لما ظهر له أنه سر النجاة وباب الفلاح والسعادة عشقا جعله عاملاً بالسنة محافظاً عليها ، متحققاً أن محافظته هي عين سعادته وفلاحه ، مقبلاً بقلبه وظاهره علي العمل بالسنة والكتاب ، محباً للعلم والعلماء ملازما لمجالسهم ، لأنه لا يتوصل إلى سعادته إلا بالعمل بالسنة ، والسنة لا تنكشف له إلا بصحبة العلماء ، فمحبة هؤلاء محبة لنوال السعادة لأنهم يحبون سيدنا ومولانا رسول الله ، لا لانكشاف كمالاته وعلم مقاماته ﴿ ρ وآله﴾ بل لأنه عَلِمَ أن السعادة فى اتباعه ﴿ ρ وآله﴾ فأحبه

كحب الطفل لوالديه لرؤيته الخير واصلا إليه منهما . وهذا هو الحب الذي به يبلغ المريد درجة الوصول .

**الحب الذي يدعيه الأدعياء :**

أما الحب الذي يدعيه الأدعياء ولم يتمسكوا بسنته فليس بحب . إذ المحب لمن يحب مطيع . ومن الجهلاء من يكون في قلبه حب لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ولآل بيته الكرام ، فيشغله ذكر ما منّ الله به علي نبيه ﴿ ρ وآله﴾ وما أكرم به آل بيته الكرام ويترك التعلم والعلماء ، ويترك العمل بالسنة تركا عن قصد ، ويظن الجاهل أنه علي شئ وإنه محب لرسول الله وهوفي الحقيقة مدع مغرور ، لأن حب رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ هو التحقق بما كان عليه ﴿ ρ وآله﴾ والتجمل بالعلم والعمل الموافق للسنة ، لأن مخالفة السنة أو جهل مالابد منه انحراف عن الطريقة المستقيمة لأنه ليس بعد الحق إلا الضلال وليس بعد السنة إلا البدعة المضلة ، فمن يدعي محبة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ أو محبة آل بيته الكرام ويترك تعلم السنة والعمل بها ويغترُّ بحالته يخشي عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالي . وإن بعض الجهلاء يخدعون العامة فيشغلونهم عن تعلم السنة الواجب عليهم في دين الله تعالي ، ويوهمونهم أن هذا هو الطريق الموصل إلي الله تعالي وهم دعاة للشر وأبواب لجهنم ، وربما جعلوا الطريق سببا في اكتساب الأموال فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة وهم الذين لعنهم رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ بقوله صلوات الله عليه : ( ملعون ملعون قالوا : من يا رسول الله ؟ قال : من طلب الدنيا بعمل الاخرة ).

و إنما محبة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ لا تتحقق إلا لمن عمل بسنته بعد علمه بها وأحب العلماء العاملين بها حبا لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ولو كانوا من الأعاجم ، كما أحب سيدُنا الحسن ابن على سيدَنا سلمانَ الفارسي وتلقي عنه العلم ، وأحب أشراف بني هاشم بلالا وصهيبا

حبا لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، وهم آله ﴿ρ وآله﴾ بنص قوله ﴿ ρ وآله﴾ : ( آلُ مُحَمَّدٍ كُلُّ تقيٍّ )[2] وقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ( سلمان منا أهل البيت ) وقوله صلوات الله عليه : ( أدخل الإسلام بلالا فى نسبي وأخرج الكفر أبا لهب من نسبي ) فنسبه المتصل ﴿ ρ وآله﴾ هو العلم بسنته والعمل بها مع حقيقة التقوى ، وبذلك يتحقق حبه ﴿ ρ وآله﴾ بالمتجملين بتلك المعانى .

**السنة مقبولة للعقول الكاملة :**

ليس علي طالب الحق والفوز بالسعادة الأبدية عسر في تحصيل أحكام السنة والعمل بها لتيسير ذلك وسهولته علي النفوس الزكية ، وقبوله لدي العقول الكاملة، فإن أخلاقه ﴿ ρ وآله﴾ التي كان عليها وأمر بها تتهيَّمُ فيها العقولُ وتتعشقها الأنفس ، والعقيدة التى أمر بها﴿ ρ وآله﴾يطمئن بها القلب وينشرح لها الصدر ويقلبها بالسرور كل عقل ، والمعاملات التى رغَّب فيها ﴿ ρ وآله﴾ هي الأساس الذي عليه سعادة المجتمع الإنساني ، وصفاء حياته ، ورغد عيشته ودوام أنسه ، لأنها تجعل المجتمع كجسم واحد يسعي كل عضو منه لصالح الجميع .

و لولا أني لم أكن في مقام بيان السنن- إذ ذلك قد وضحته في كتاب : ( أصول الوصول ) وغيره من الكتب لذكرت نموذجا من ذلك . والحمد لله ، فإن وصاياه ﴿ ρ وآله﴾ سوت بين بني الإنسان في المعاملة حتي صار العدل شاملاً كل فرد من الأفراد ، والفضل عاما للجميع ، مع ما بينه ﴿ ρ وآله﴾ من حِكَمِ المعاملات وأسرارها لسعادة الدنيا والآخرة ، وما أوجبه ﴿ ρ وآله﴾ علي كل مسلم من الأعمال التى بها حفظ صحته وماله وأهله حتي كان المخالف للسنة ينحط عن رتبه الإنسانية ، وينـزل إلى مرتبة الوحوش الضارية ، لأنه بمخالفته للسنة

برهن علي فساد فكره وفقد عقله ، وكيف لا وقد ترك الخير المحسوس إلي الشر المحسوس ولا يفعل ذلك البهيم الأعجم . كل ذلك واضح جليٌّ حتى للصبيان ، فتري الصبي إذا فعل ما يخالف السنة اجتهد أن يخفيه وأنكره ونفاه عن نفسه لعلمه أن ذلك قبيح لا يليق بالإنسان ، فكيف برجل بالغ كمل عقله وتوفرت صحته يخالف السنة ويكون إنسانا حقيقة ؟

و ربما يعترض على معترض قائلا : إنا نري كثيرا من أهل العقل والفكر يخالفون السنة أو يكفرون بالله تعالي وبرسوله ﴿ ρ وآله﴾ ، فأجيبه أن دعوي ( أن عاقلاً يخالف السنة أو يجحد الحكيم الخالق الصانع أو الداعي إلي الخير ) لا حجة لك عليها ، فإن العقل إذا قامت له الأدلة ووضحت له الحجة وتبين له المقصود سجد متقِّبلا واعتقد جازما ـ وأما من ادعيتَ أنهم عقلاء فإن كان مجرد علمهم بجلب الدنيا وتفننهم في استخدام الآثار الكونية وقيامهم بعظائم الأمور وتأثيرهم بالقوة القاهرة دليل علي عقولهم ، فذلك ما لا يقول به من جملة الله بالعقل وكَّمله بالنهي وأيده بنور الحجا ، لأنا نري كثيراً من أنواع الحيوانات تعمل أعمالاً تعجز بني الإنسان بصناعات يجهد الإنسان نفسه في تلقيها منها . وأمامك العنكبوت وحيلها في صيد غذائها بما تصنعه من النسيج كالشبكة ، والنحل في هندسة الأشكال وتنظيم مدينته وإدارة شئون مملكته ودقة صنعه وما يقدمه للإنسان ، والنمل في حرصه وتنظيم مساكنه بجعل مواطن لحزن الغذاء لا يضرها السيول الجارفة ولا تغيرها رطوبة الأرض ولا يحبس عنها الهواء ، والكلب في وفائه وإخلاصه وقيامه بالواجب عليه ، والطيور فى نظام سيرها واتحادها . ولو نظر العاقل إلي ما يقوم به بعض أنواع الحيوانات من الحكمة العملية والحرص والتدبير والتعاون لفضلناه علي من تدعي أنهم عقلاء ، وكيف لا وكثير من الحيوانات يفكر في مستقبله فيحرص علي قوته ويعمل له مساكن للصيف والشتاء ، أهذا

عن عقل ؟ إنما تلك فطرة فطر الله عليها كل حي ليحفظ به حياته في المدة التى قدرها الله له .

**حقيقة العقل الإنساني :**

و إنما العقل الذي يعتبر أنه عقل إنساني هو العقل الذي يعقل الكمالات والفضائل، ويشهد الغائب بالمشهود ، ويدرك الحِكَمَ والأَحْكَامَ ، ويعقل عن الله أحكامه سبحانه وتعالى وَحِكَمَهُ، ويدرك حقيقة نفسه وحقيقة الدنيا وأنها دارُ زائلةُ ومزرعةٌ للآخرة ، فيعمل فيها ليخلِّص نفسه منها ، ويجدّ لينتقل إلى دار البقاء وقرار السعداء ونزل الأبرار ، هذا وإذا كان العقل الإنساني نهاية قواه استخدام ما حوله من الكائنات ، كما تستخدم الحيوانات والنباتات جميع ما أحاط بها مما يلائمها بدون أن تدرك الكمالات النفسية ، أو تعلم بقبح القبيح وحسن الحسن ، أو تعتقد بيوم الجزاء والسؤال ، أو تستدل بالنظام المشهود وغريب الحكمة المحسوس وعجيب الصنع الملوس بوجود قادر حكيم مدبِّر صانع ، لأن ما فيها من القوى التى تدرك بها الضار والنافع ليس عقلا إنسانيا بمعناه الحقيقي ، وإنما هي غريزة فطرية وإلهام من الله تعالي ، لذلك فالله سبحانه وتعالي خلق لكل نوع منها صورة خاصة مؤهلة لمعاونته ، وأعضاء خاصة للغذاء وللمدافعة وللحركة وللتنفس، فتري الحيوانات المائية والحيوانات الجوية والحيوانات التى تعيش تحت طبقات الأرض وهب الله لها ما به تطيب حياتها وَيُحْفَظَ نوعها ، وقد نري كثيراً من الحيوانات ما يتهذب فيبلغ في إجادة ما أُهِّلَ له مبلغاً يكاد يكون عند الإنسان أحب إليه من ماله وأهله وأهله كالفرس والكلب والفيل والنسناس والقرد ، فمن يقول إن تلك القوي عقل فهو غير عاقل .

فكذلك الإنسان الذي استخدم ما حوله من الكائنات بالقوة الغريزية التى أودعها الله فيه بقدر ضرورياته وكمالاته الحيوية ، ونافس في نيل الحياة الطيبة في تلك الدار الدنيا حتي استخدم ما حوله من

العناصر المجردة كالنار والهواء والماء والتراب وغيرها كالجمادات والمعادن والنباتات والحيوانات بالتركيب والتحليل والتربية ، واخترع غرائب المخترعات بغير نظر بعيون الفكر إلي الآيات المنبلجة في تلك الكائنات ، ولاجهاد للنفس في سبيل المعرفة بالله تعالي ونيل كمالاته النفسانية ، فإنه حيوان كثير الحاجة أدنى من الحيوان الأعجم ، ولو تصرف في الماء والهواء والنار والتراب بقوة الإلهام الذي جعله الله له آلة يحفظ بها حياته المدة التى قدرها الله له في الدنيا ، فإن أضاع عمره في شهواته الحيوانية وضرورياته الجسمانية تمني يوم القيامة أن يكون ترابا ، لأنه عاش في الدنيا عيشة الحيوان ، ويحاسب في الآخرة حساب الإنسان .

و من هذا استنتجوا أن الإنسان الذي لم يستعمل عقله حتي يقوي ويسترشد به لتنبلج له أنوار العقيدة الحقة – حتي يقول لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ويصدق بمولانا رسول الله سيدنا محمد وبجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام – فليس بعاقل ، بل وليس حيواناً لأنه صار أدنى من الحيوان رتبة ، لأن الحيوان الأعجم يستعمل كل غريزته فيما خلقت له بوجه أكمل . والإنسان الموهوب له العقل الكامل الذي باستعماله يبلغ درجة إلى أن يكون خليفة عن ربه سبحانه وتعالي ، ويبلغ درجة من السعادة القصوى يكون فيها في روضات الفردوس الأعلي تتولي خدمته الملائكة الروحانيون، وإن أهمل تلك القوة انحط إلي أسفل سافلين حتى يهوى فى نار جهنم نعوذ بالله من إهمال استعمال العقل، أما المصدق بالله ورسله المؤمن بيوم الحساب الذى يخالف السنة فهو عندي كالحيوان ، لأنه انقاد لحظه وشهوته كما ينقاد الحيوان للإنسان فيحمل عليه ويركبه أو يذبحه ليأكل لحمه ، فكذلك الإنسان المخالف للسنة ولو بلغ من العلم بظاهر الحياة الدنيا مبلغا يستخدم فيه حرارة الشمس وزوابع الرياح وتيارات الماء ويخترع فيه ما يعجز الصناع .

و ليس قصاري كمال الإنسان بمعناه الحقيقي أن تتوفر لديه أشهي المطاعم وأجمل الملابس والخيل المسومة والمساكن المشيدة وألذ المناكح ، فإن الطاووس أجمل ثيابا ، والنحل أنظم المساكن ، والسبع أنفذ كلمة وأجراً قلبا وأشد جأشا ، والخنزير أشد شيقا وأكثر سفاداً ، والحمام أطرب وأرخم صوتا .

و إنما هذه كمالات من لا علم لهم بفضائل النفس ودرجات رقيها ولذتها الروحانية وكفى الحيوان الذي هو على صورة الإنسان تعسة أن يحرم فى الدنيا ملاذ صورته ، ويعذب في الآخرة فيكون الجماد خيرا منه والحيوان أفضل منه ، قال الله تعالي مشنعا عليهم : ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [2] وقال سبحانه وتعالي : ﴿ذرهم يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] وقال سبحانه وتعالي : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [2] فهم مسئولون سؤال العاقل الكامل ، ومؤاخذون مؤاخذة المفكر البصير ، لأن الله جلت قدرته جعل لهم عقلا يعقل وأرسل لهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فأقاموا الحجة القاطعة علي صدقهم أنهم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، وبينوا مناهج الحق وسبل الهدي بيانا تلمسه العقول إذا خلصت من سجن الحظ والهوى وتجردت من درن الأمل ، وعمرهم الله عمراً يتذكر فيه من تذكر ، كل ذلك أمدهم الله تعالى به حبًّا في إقبالهم ، فأبت تلك النفوس اللقسة أن تلقي السمع أو يكون لها قلب يتقلب في جلال وجمال مبدع الكون ، أو بصيرة تخرق سياج الكون حتي تشرق عليها أنوار وميض حظيرة القدس الأعلى ، لتسكن تلك النفوس إلي منفِّسها ، والقلوب إلى مقلِّبها والأرواح إلي مروِّحها بطهور راحةُ وريحان مشاهدته ، كل ذلك تفضل به المتفضل.

و أفضل نعمة أمد بها عباده ، وأكمل مِنَّه تقرب بها إلى أحبابه هي نعمته علينا بحبيبه ﴿ ρ وآله﴾ ، الذي جعله رحمة من رحمته ، وأقامه

مقامـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــه

﴿ ρ وآله﴾ ولم يقم أحداً هذا المقام من عالين وكروبيين وحملة العرش والسفرة الكرام والرسل المقربين عليهم الصلاة والسلام ، وكيف لا وقد قال سبحانه وتعالي : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [2] وقال تعالي : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [2] – وليس بعد التصريح بــ (أيديهم)- بعد أن وضح فى افتتاح الكلام المقدس أنه يخاطب حبيبه خفاء علي ذي عقل أنه أقامه مقامه حقا ، وانابه عنه صدقا ، وما ذلك إلا لأنه ﴿ ρ وآله﴾ حقيقة ما يحب الله ، وجلي ما يريد الله عقيدة وقولاً وعملاً وحالاً ، فمخالفه ﴿ ρ وآله﴾ لم يكن مخالفا له صلوات الله وسلامه عليه وإنما هو مخالف لربه ، ظالم لنفسه ، وهو ﴿ ρ وآله﴾ فرق بين الحق والباطل فلا يتوهم متوهم أن مخالفاً لسنته ﴿ ρ وآله﴾ - ولو بلغ من العلم مبلغ إبليس ، ومن السلطة مبلغ فرعون – عاقل ، ولكنها غريزة كغرائز الحيوانات يستعملها كما يستعمل الحيوان الأعجم غريزته وفطرته وليس بعاقل عند العلماء . وقد يغتر بعض من لا علم له بمن علموا بظاهر من الحياة الدنيا ، ويعتقدون أنهم عقلاء وهم كفار أو عصاة ، ويري بعض المتمسك بدينه فارا من زهرة الدنيا مستوحشا من ملاذها التى يألفها المغرورون متلذذا بما يتألم منه غيره ، فيظن المغرور لجهله أن التقي غير عاقل . وما ذاك إلا لجهله بملاذ النفس وكمالاتها ووقوفه عند ملاذ الجسم . فإن الإنسان إذا وقف به الهمّ على مأكل شهي وفراش وَطِئ ومنكح لذيذ فقد أشبه الخنزير في سفاده . والطاووس في جماله والنحل في هندسة عشه ، وكفي به تعسة أن تكون ملاذه لا تتعدي ملاذ الحيوانات العجم ، إنما ملاذ الإنسان روحانية ، وكمالاته ملكوتية ، ونعيمه بمشاهدة آيات ربه وحضوره بمعيته سبحانه وتعالي .

**علامات المحبة الصادقة :**

قُلتُ : المحبة الصادقة ، لأن الفضائل والكمالات محبوبة للنفوس ، حتى أن مرتكب الرذائل يكره أن تنسب له ويتظاهر بالفضائل ويخاصم من يذكره بقبيح أعماله أمامه أو في غيبته ، وينكر علي من يعمل الرذائل إنكاراً حقيقياً حتى يبلغ به استقباح الرذيلة في غيره إلي درجة يعاديه فيها ، ويقطع ما بينه وبينه من المواصلات مع أنه واقع فيما يعادي عليه غيره وأكثر ، لأن الإنسان لا يقدم علي عمل من أعمال الرذائل إلا بدافع يعمي عيون عقله عن شهودة قبح الرذيلة ، حتي إذا نفذ القضاء تناسي وقوع تلك الرذيلة من نفسه وأنكر علي غيره إذا رآه واقعاً فيها ولو عقب وقوعه مباشرة . ولما كان الاقتداء برسول الله ﴿ ρ وآله﴾ والتشبه به صلوات الله وسلامه عليه والعمل بسنته ﴿ ρ وآله﴾ هو الفضيلة الكاملة والسعادة الحقيقية والفوز العظيم ، وكان أكثر أهل الرذائل الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم يدعون أنهم يحبون السنة والعمل بها ، وأنهم يحبون رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ملء قلبوبهم والحقيقة غير ذلك ، ولذلك أحببت أن أبين علامات المحبة الصادقة ليتميز الصادقون في المحبة من الأدعياء .

**العلامة الأولى :**

فأول علامة من علامات محبة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ أن يكون المحب عالماً بمقاماته ﴿ ρ وآله﴾ وكمالاته عليه الصلاة والسلام ، مدركا قدر النعمة التى أنعم الله بها علينا ببعثته ﴿ ρ وآله﴾ لنا فاهما أسرار حكمه ووصاياه صلوات الله وسلامه عليه ، والمعاني التى تتحقق بها المحبة لجنابه ﴿ ρ وآله﴾ ، ومشاهداً مكانته من الله سبحانه وتعالي وما اختص الله به ذاته ﴿ ρ وآله﴾ من الكمالات والجمالات وجلالة القدر والخصوصيات ، حتى صار أفضل الرسل والملائكة المقربين وفرد ذات الله المخصوص بخالص محبته سبحانه وتعالي . ويتحقق بالفوز

العظيم والخير الحقيقي والسعادة الأبدية بالمحافظة علي سنته وهذه أكمل علامة يزن المؤمن بها نفسه ، فمن أنس من نفسه بتلك المعانى فقد أُهِّل لمقام الحب ، واجتباه الله لمراتب الولاية واصطفاه للفوز بالقرب .

**العلامة الثانية :**
علامة المحبة للخير الواصل للمؤمن من حسن اقتدائه برسول الله ﴿ ρ وآله﴾ . المؤمن حقيقة هو من صدَّق بالغيب وأسلم لله رب العالمين ، وسلم أمره لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ - الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم – تسليما عن تبصرة بالإيمان بيون الحساب ، وتخيل عذاب ذلك اليوم ونعيمه ، وتحقق علم يقين أن النجاة لا تكون إلا بالاقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، فأحبه حبا بقدر فوزه ونجاته من أليم العذاب الذي يحصل لمن خالفه ﴿ ρ وآله﴾ ، وحبا بقدر فوزه بالسعادة الأبدية والنعيم الحقيقى . فكان حبه للرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ أعظم من حبه لنفسه إذ نفسه بدون اتباعه له ﴿ ρ وآله﴾ تجعله مخلدا فى أليم العذاب أعوذ بالله من مخالفة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ .

و قد يقوى هذا الحب حتى يبلغ بالمحب درجة يتلذذ فيها بأحكام السنة ولو كان حكم السنة لا يلائمه أو أدي إلي فقد مال أو نفس ، لأنه لكمال تصديقه بالغيب يري أن اتباع السنة هو عين السعادة وحقيقة اللذة ، ويشتد التصديق حتي يكون الألم العاجل المؤدي إلي الخير الآجل لذة ، كما شوهد في كثير من الصحابة والتابعين والآئمة والعلماء بالله تعالي من تحمل الآلام والشدائد والتلذذ بها ، خصوصاً عند الجهاد أو عند إحياء السنة والأمثلة لا تحصي في كتب السير ، وبمشيئة تعالي سأخصص رسالة خاصة أشرح فيها أحوال أهل المحبة وسيرهم ، وأكشف القناع عن مكنون مواجيدهم ذاكرا تلك الأحوال والمواجيد منسوبة إلى الأفراد الذين اجتباهم الله ، مبينا مآخذ تلك الأحوال من السنة والكتاب تكون طهورا للنفوس وريحانا للقلوب .

**العلامة الثالثة:**
و هي علامة المريد السالك المؤهل لمشاهد الأبرار وهي من دلائل الخير ، أن يكون المسلم مجذوبا بعامل قوي إلي معرفة شمائل رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ الظاهرة والباطنة ، شغفا بعلم معجزاته ﴿ ρ وآله﴾ وتعليم سننه صلوات الله وسلامه عليه ، مع الغيرة علي السنة والحب في إحيائها وبغض البدعة والمسارعة إلي سماع مذاكرة العلماء والتودد إلي بقية الاتقياء والأنس بالفقراء والتسليم لأهل الأحوال ، مع العمل بالسنة والكتاب في نفسه بدون أن يكون فى قلبه غل لمؤمن ولا حقد عليه . حتى تكون همته في تزكية نفسه ومحو لقسها ، فيكون إذا رأي الجاهل المسيئ تباعد عن عمله وحاله ، وهذه العلامة إذا ظهرت في المبتدىء دلت علي عناية الله به .

و بقي علامات المحبوب لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، ولسنا في مقام بيانها لأنها من علوم المقربين وأسرار اليقين ، وإنما أتكلم في هذه الرسالة بالعلوم التى تكون بها يقظة المسلم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ، حتي يكون بها مسلماً كاملاً مريدا صادقا . وبالاجمال فالمحب لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ عامل بسنته متجمل بهديه ﴿ ρ وآله﴾ ، ولا يتصف بالمحبة الحقيقية إلا من علم مالابد منه من السنة والكتاب وعمل بعلمه مخلصا ، وإلا فهو دعيّ غرةّ الغرور وخدعته نفسه . أسأل الله أن يمنحنا جميعا الحب الخالص لذاته العلية ولذات رسوله ﴿ ρ وآله﴾ ، ويعيننا على ما به نكون محبوبين لجنابه العلي ولرسوله ﴿ ρ وآله﴾ .

**الصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾**

**رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ هو النعمة العامة :**
بَدَهِيٌّ أن شكر المنعم أوجبه الشرع والعقل ، ويتفاوت هذا الواجب بالنسبة لتفاوت النعم ، فشكر من أنعم عليك بطعام يوم أو بثوب ليس كشكر من أنعم عليك بقوت سنة .

ولما كانت النعمة علينا برسول الله ﴿ ρ وآله﴾ لا يمكن أن يحصيها الحاسبون ، وكيف لا وقد قال الله تعالي : ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ﴾ . [2] وقال الله تعالي : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [2] فنعمة الله تعالي علينا لا يمكن حصرها ، لأنها نعمة علينا في الدنيا بائتلاف قلوبنا الأمر الذي به صرنا إخوانا متحابين ، بل أعضاء لجسد واحد يعمل كل عضو لمنفعة المجموع ، حتي بذلك دان لنا الخلق وحصلت لنا لذة الحياة وطيب المعيشة ، وتلك النعمة كلية لا تحصي مقدماتها وأسبابها ولا تحصر فوائدها وخيراتها ، وليست تلك النعمة خاصة بمن صدّقه ﴿ ρ وآله﴾ من المسلمين ولكنها عامة لكل الخلق من الإنس والجن والملائكة والحيوانات والنباتات .

**نعمة الله على الملائكة :**
أما الملائكة فإن الله سبحانه وتعالي أنعم عليهم برسول الله ﴿ ρ وآله﴾ بما أثني عليهم في كتابه العزيز كلٌّ بحسب مقامه الذي أقامه فيه ، فقال سبحانه فى أمناء الوحي : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {19} ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ {20} مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) [2] وقوله تعالي : (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ {11} فَمَن شَاء ذَكَرَهُ {12} فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ{13} مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ {14} بِأَيْدِي سَفَرَةٍ {15} كِرَامٍ بَرَرَةٍ) [2] وقال الله تعالي في الثناء علي حملة العرش ومن حوله من الملائكة : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) [2] .

وقال سبحانه وتعالي في الثناء علي جميع الملائكة: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [2] وآيات أخري لا تحصي في الثناء علي الملائكة عليهم السلام لم تكن إلا فى القرآن، الذي أنزله الله تعالي علي سيدنا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾، مما به تروحت تلك الأرواح الطاهرة وحصل لها الأنس والبهجة والسكون إلي جناب القدس الأعلى بعد أن كانت الرهبة غالبة علي الرغبة، فحصل التوسط به الذى تدوم لذة الأرواح المجردة. هذه أجل نعمة أنعم الله بها بسيدنا ومولانا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ علي الملائكة مما يمكن أن يبين في مثل هذا المختصر الذي وضع ليقظة المؤمن من نوم الغفلة ورقدة الجهالة.

فأما النعم الخاصة بالمواجهة والمؤانسة بالقدس الأعلى والنيابة عن الحق سبحانه وتعالي في التبليغ والإرشاد فهذا علم لا ينبغي كشفه بالعبارة للعامة ، ولا تحبيره علي صفحات الأوراق.

**النعمة علي المجتمع الإنسانى :**

أما النعمة التى أنعم الله بها علي الإنسان برسوله وحبيبه ﴿ ρ وآله﴾ لا فرق بين مسلمهم وكافرهم ، فما فطره الله عليه ﴿ ρ وآله﴾ من الرحمة والشفقة وحب العدل والمساواة ، وما بَّينه ﴿ ρ وآله﴾ لنا من حسن المعاملة وبذل السلام والإحسان ، حتي جعل لأهل الذمة ما للمسلمين من الحقوق ، وحظر علي كل مسلم أن يظلم أو يجهل ، وأوجب علي كل مسلم الرحمة علي جميع الخلق ، فأصبح المجتمع الإنساني في تقدم ورقي ومزيد من الحضارة والعمران وتبادل التجارة والعلوم ، وعم الأمن جميع الناس .

و لم يجعل ميزة بين أنواع الإنسان، بل لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالفضائل ومكارم الأخلاق والخوف من الله تعالي. ومن تتبع سير الخلفاء الراشدين العاملين بوصاياه ﴿ ρ وآله﴾ بعد أن أخضعوا كسرى وقيصر وفتحوا أكثر الممالك كيف انتشرت الحضارة وظهر العدل بأجلى مظاهرة وساد الأمن والأمان، واستوي النصراني المصري الفقير الصعلوك بأمير مصر العربي الشريف القرشي يوم لطم القبطي أمير مصر بمشهد الحج الأكبر انتصارا للعدل، وإظهاراً للمساواة بأمر أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب.

علم أن النعمة برسول الله ﴿ ρ وآله﴾ نال منها كل فرد من بني الإنسان قسطا وافرا لا فرق بين مؤمن وكافر، وإنما خص المؤمن بالسعادة الأبدية يوم الجزاء الأكبر، فكانت النعمة به علي المسلم في الدنيا والآخرة أشمل ولغيره خاصة بالدنيا.

**النعمة علي الحيوانات :**

أما نعمته علي الحيوانات فما بينه في وصاياه ﴿ ρ وآله﴾ من الحث علي الرحمة بالحيوانات كقوله ﴿ ρ وآله﴾ :( مَن لاَّ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ ) [2] و قوله ﴿ ρ وآله﴾ : ( إنَّ الله كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذا ذَبَحْتُمْ فَاشْحَذُوا الْمُدْيَةَ وَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ ) [2] وأحاديث كثيرة في الحث علي حسن العناية بذواب الحمل وغيرها . وقد ورد أنه ﴿ ρ وآله﴾ كان قافلاً من غزوة فخرجت حية فبادرها بعض الصحابة لقتلها فلم يتمكنوا من قتلها ، فلما رجعوا سألهم ﴿ ρ وآله﴾ فأخبروه فقال : ( وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا ) [2] فجعل قتلها شراً . فتري المسلم حقيقة يرحم الحيوانات بأجمعها حتي إذا هم بقتل المؤذي منها اجتهد أن يكون قتله له برحمة حتي لا يعذبه و هذه الوصايا نعم علي جميع الحيوانات .

**نعمة الله علي النباتات :**
أما نعمة الله به ﴿ ρ وآله﴾ علي النباتات ، فإنه ﴿ ρ وآله﴾ غرس النخل بيده ، وحث علي غرس الأشجار وعلي العناية بسقياها ، وأخبر ﴿ ρ وآله﴾ أن أجرها لا يحصي فظلها أجر وثمرها أجر وورقها للحيوانات أجر ، وجذعها للاستعمال أجر ، كل ذلك يجعل الإنسان يعتني بسقيا النباتات حتي صار المسلمون يتنافسون في الزراعة ، ومعلوم أن النبات حيٌّ حياة تناسبه يحس بالمرض إذا لم يباشر بالماء ويبست المادة التي يتغذي منها .

فنعمة الله عليه برسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ظاهرة جلية هذا سر قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [2] والعالم كل ما سوى الله .

## 5- وجوب الصلاة على المصطفى﴿ ρ وآله﴾

والنعمة به ﴿ ρ وآله﴾ علي المسلم لا تحصي ولا تعد وشكر النعمة واجب شرعا وعقلا فيجب علي كل مسلم شرعا أن يصلي ويسلم عليه ﴿ ρ وآله﴾ وجوبا عينياً.وإن رأي ذلك بعض العلماء مندوبا فإنه ليس علي إطلاقه عندهم ، ولكن ذلك كالنطق بالشهادتين ، فإنه يتعين مرة واحدة ، ولكني أرجح قول القائلين بالوجوب تكرارا وخصوصاً في التشهد الأخير من الصلاة كما رأي ذلك سيدنا الإمام الشافعي رضي الله عنه . وأن الأمر في قوله لا إله إلا الله إنما يراد به الدخول في الإسلام ، والواجب علم لا إله إلا الله علما ينتقش في النفس وينعقد عليه القلب حتي تحصل المراقبة في كل لحظة ونفس ، قال تعالي : ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [2] فأوجب علم لا إله إلا الله.

و إجماع الأمة علي فرضية الصلاة عليه ﴿ ρ وآله﴾ في العمر مرة لاخلاف فيه ، وإنما الخلاف في تكرارها هل هو واجب أو مندوب .

فأوجبه الشافعى فى التشهد الأخير . وقال القاضي أبو بكر بن بكير : افترض الله علي خلقه أن يصلوا عليه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك بوقت معلوم ، فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها وقال مالك بن أنس : تاركها في التشهد الأخير مسئ . وأوجب الشافعي علي تاركها في التشهد الأخير إعادتها . وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان ، وكان محمد بن المواز يراها فريضة فى الصلاة . وفى الحديث الشريف : ( لاَ صَلاَةَ لِمَن لَّمْ يُصَلِّ عَلَـيَّ ) وإن ضعف الرواة هذا الحديث . وقال الإمام أبو جعفر بن محمد علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه : لو صلَّيْتُ صلاة لم أُصَلِّ فيها علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ وعلي أهل بيته لرأيت أنها لا تتم .

و قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض فلا يصعد إلى السماء منه شئ حتي يصلي الداعي علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ .

**المواطن التى تتأكد فيها الصلاة علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ :**

و من المواطن التى تتأكد فيها الصلاة علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ الدعاء ، روي أن الدعاء محجوب حتي يصلي الداعى على النبى ﴿ ρ وآله﴾ . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( لا تجعلوني كقدح الراكب ، فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه ، فإن احتاج إلي شراب أو لوضوء توضأ وإلا هراقه ( أو أهرقه ) ولكن اجعلوني في أول الدعاء ووسطه وآخره ) (2)

و تتأكد عند ذكره ﴿ ρ وآله﴾ وسماع اسمه أو الكتابة أو عند الأذان، قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ﴾ (2) وتتأكد كثرة الصلاة يوم الجمعة . وتتأكد الصلاةعليه والسلام عند دخول المسجد، واستدل علي ذلك بقوله تعالي : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا

عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾ [2] فإن لم يكن في البيت أحد فقل : السلام علي النبي ورحمة الله وبركاته .

قال ابن عباس : المراد بالبيوت هنا المساجد . ويظهر من تأويله إطلاق الآية هنا وتقييد الأخري وهى قوله تعالى: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [2] الآية فقوله هنا: (تَسْتَأْنِسُوا) وقوله في الآية الأولي : (فَسَلِّمُوا) دليل علي أن الآية الأولي للمساجد . وتتأكد حال الصلاة علي الجنائز ، وفي افتتاح الرسائل وإن لم يكن عليه الصدر الأول ، ولكن أجمعت الأمة عليه في أوائل القرن الثاني عملاً بقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فى كتاب لَمْ تَزَلْ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّى عَلَيْهِ مَا دَامَ اسْمِى فِى ذَلِكَ الْكِتَابِ﴾ [2].

**كيفية الصلاة عليه ﴿ ρ وآله﴾ :**

من المعلوم أن أوامراه ﴿ ρ وآله﴾ العامة تقتضي أن تكون بقدر المبتدئين الذين ينبغي أن يكون الأدب حصنا لهم من الغلو أو التفريط ، ولما كانت السنن العامة ينبغى أن تكون مفاتيح للقلوب وحصونا للعقول ، حتى إذا عمل العامل بما علمه منحه الله علم ما لم يعلم ليكون ذلك بابا من أبواب الفضل ، ومعراجا من معارج القرب ، وسرا من أسرار المزيد . كانت الصلاة التى أمرنا بها رسول الله﴿ρوآله﴾ التى أمرنا أن نصلى عليه بها ﴿ ρ وآله﴾ دالة علي كمال التواضع ، حافظة للقلوب عن التفاضل والاشتغال بذكر خصوصية الأنبياء ، والالتفات بذكر التفاضل بينهم ، حتى يعكف الهم علي ذكر الواحد الأحد ، ويتوجه القلب إلي جناب القدس الأعلي ، ويتوجه الخيال إلي معاني القدس الأعلى ، خياله مما تنزعج من القلوب حتى إذا توجه القلب بكمال الإخلاص كوشف بحقائق المقامات المحمدية ، وواجهه الله بأسرار المنازل وصوفى بما يشرح صدرهويطلق لسانه بصلوات علي رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ تناسب قدر قربه به ، وتوافق مقام حبه ، ولذلك فالسند عن سلامة الكندي : كان أمير المؤمنين علىّ بن أبى

طالب يعلمنا الصلاة علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ يقول : اللهم داحي المدحوات ، وبارئ المسموكات ، وجبار القلوب علي فطرتها شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك ورأفة تحننك علي محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق . والمعلن الحق بالحق ، والدامغ لجيشات الأباطيل ، كما حمل فاضطلع بأمرك لطاعتك ، مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظاً لعهدك ماضياً علي نفاذ أمرك ، حتي أوري قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم ، وأبهج موضحات الأعلام ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة اللهم أفسح له فى عدنك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول ، وجزيل عطائك المعلول ، اللهم أعل علي بناء الناس بناه ، وأكرم مثواه لديك ونزله ، وأتم له نوره وأجره من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ، ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم .

و عنه أيضاً في الصلاة على النبى ﴿ ρ وآله﴾ : إن الله وملائكته يصلون علي النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، لبيك اللهم ربي وسعديك ، صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وما سبح لك من شئ يارب العالمين ، علي محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وإمام المتقين ورسول رب العالمين ، الشاهد البشير الداعي اليك بإذنك السراج المنير وعليه السلام .

و عن سيدنا عبد الله بن مسعود : اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك علي سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاماً محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون ، اللهم صل علي محمد وعلي آل محمد

كما صليت علي إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك علي محمد وعلي آل محمد كما باركت علي إبراهيم وعلي آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

**فضل الصلاة على النبى ﴿ ρ وآله﴾ :**

لما كان الترغيب في الصلاة علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ لا يكون إلا للمريد الذي لا يقع به العلم علي عين اليقين ، ولم تنكشف له حجب الوهم والخيال عن المكانة المحمدية ، ولم يذق من صافى راح المعرفة ذوقا يتحقق به بقدره وقدر النعمة التى أنعم الله بها عليه على يده صلوات الله وسلامة عليه ، كان ولا بد للمريد من ذكر ما يقوي رغبته في الصلاة علي النبي ولا يكون ذلك إلا من الحديث الشريف ، والأحاديث في ذلك لا تحصى عدًّا . منها عن : أنس بن مالك أن النبي ﴿ ρ وآله﴾ قال :﴿ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صلاةً صَلَّى الله عليه عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحطَّ عشرَ خَطيئاتٍ ، ورفَع له عشر درجات ﴾ وفي رواية : ﴿ وَكَتَبَ له عَشْرَ حَسَنَاتٍ﴾[2] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : ﴿ أَوْلَى الناسِ بى يوَم القيامةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً ﴾ [2] . وعن أبى طلحة : دخلت علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره فسألته فقال : ( وَمَا يمنعُنِى وقد خرج جبريلُ آنفا فأتانى بِبِشارة مِنْ ربِّى عزَّ وَجَلَّ ان الله تعالى بعثنى إليك أُبَشِّركَ أنه ليس أحدٌ من أُمَّتِكَ يُصَلِّى عليك إلاَّ صَلَّى الله وملائكتهُ عليه بها عَشْراً ) والأحاديث الواردة فى فضل الصلاة علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ كثيرة ، والمريد الصادق إذا أشرقت عليه أنوار القرب انجذب بعامل الحب فتلذذ بالصلاة علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ ، لذة تجعل نفسه تبتهج بالصلاة عليه ﴿ ρ وآله﴾ بهجة تنسيه ما عداها من العطايا ، لأنه يكون آنسا بمشاهدة جماله ﴿ ρ وآله﴾ فرحا بما كوشف به من مقاماته العلية . وكيف لا وشكر النعمة واجب شرعاً وعقلاً .

و أجل نعمة لله علينا نعمته سبحانه علينا بسيدنا ومولانا محمد ﴿ ρ وآله﴾ ونعمته علينا باتباعه ﴿ ρ وآله﴾ والعمل بسنته صلوات الله وسلامه عليه ، ولذلك فإن أكثر العارفين يمنحهم الله من سوابغ إحسانه حقيقة حب في قلوبهم لما كوشفوا به من مقامات رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ فتنطلق ألسنتهم بجمل من الصلاة عليه ﴿ ρ وآله﴾ تكشف الستار عن مقام كل عارف ومقدار عوارفه ، وتلك الجمل تكون كراح للأرواح ، وطهرة لنفوس من تلاها بعده .

و فضل الصلاة عليه ﴿ ρ وآله﴾ ظاهر في الدنيا قبل الآخرة ـ فإن تكرار الصلاة علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ يزكي النفس ويجمل لطائف القلب ، وييسر خيري الدنيا والآخرة ، وقد شهدت ذلك بنفسي في نفسي وفي غيري ، ولا برهان أقوي من التجربة ، وفقني الله وإخواني جميعاً للمحافظة علي السنة ومنحنا حب رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ .

## فضل زيارة النبى ﴿ ρ وآله﴾

**ما يستحسن عند الزيارة :**

هذا الموضوع أكتب فيه لأهل التسليم ممن وفقهم الله تعالي للعمل بوصاياه ﴿ ρ وآله﴾ ومعرفة قدر النعمة به ﴿ ρ وآله﴾ المؤمنين حقا ، لنه عمل ينتجه الإيمان الكامل . وإني والحمد لله علي يقين أن كل مسلم يحن لزيارة قبر النبي ﴿ ρ وآله﴾ ينمو في كل نفس ، ولكني أبين الآداب التى تأدب بها الصحابة رضوان الله عنهم والتابعون وأئمة الخير ممن يقتدي بهديهم مبينا ذلك بأسانيده ، وأستحسن كما استحسن أهل العلم كالإمام مالك وغيره أن يقول المتوجه إلي المدينة : توجهت لزيارة النبي ﴿ ρ وآله﴾ أو للسلام علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ ويقول عند رجوعه : زرت النبي ﴿ ρ

وآله﴾ أو سلمت علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ ولا يقول زرت قبر النبي ﴿ ρ وآله﴾ والذي أراه في استحسان هذا المذهب لأن الناس لم يتوجهوا لزيارة القبر كما يتوجه الناس لزيارة القبور ، لأن زيارة القبور للعظة والاعتبار وللدعاء لأهلها والاستغفار لهم ، ولكن المزور هنا هو النبى ﴿ ρ وآله﴾ فيجب أن يميز الناس بين الزيارتين . وهذا أدب الله به أهل العلم وكيف لا والمتوجه إلى المدينة يشهد مواطن تنزل الوحى ، وأماكن جلوسه ﴿ ρ وآله﴾ ومواضع وضع قدمه الشريف ، وأفقا بورك برفع صوته ﴿ ρ وآله﴾ فيه بالقرآن والعلم والأمر والنهيى، وروضة ثبت أنها روضة من رياض الجنة ، وحظيرة بوركت بمس جسده الشريف ، ولذلك فقد ثبت أنه يجب ضرب أكباد الإبل إلى تلك الأماكن .

**آداب الصحابة والسلف في الزيارة :**

أما آداب الصحابة والسلف في الزيارة فأبين كما ورد رضوان الله عنهم : عن نافع ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﴿ ρ وآله﴾ : ( من زار قبرى وجبت له شفاعتى ) [2]

و عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ( من زارنى فى المدينة مُحْتَسِباً كان في جواري وكنت له شفيعاً يوم القيامة ) [2] . وفي حديث آخر : (من زرانى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ) . وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبى ﴿ ρ وآله﴾ . وقال ابن أبى فديك : سمعت بعض من أدركت يقول : بلغنا امه من وقف عند قبر النبي ﴿ ρ وآله﴾ فتلا هذه الآية : ﴿ إن اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [2] ثم قال صلي الله عليك وسلم يا محمد ، من يقولها سبعين مرة ناداه ملك : صلي الله عليك يا فلان ولم تسقط لك حاجة .

و قال بعضهم : رأيت أنس بن مالك أتي قبر النبي ﴿ ρ وآله﴾ فوقف فرفع يديه حتي ظننت أنه افتتح الصلاة ، فسلم علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ ثم انصرف . وقال نافع : كان ابن عمر يسلم علي القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجئ إلي القبر فيقول : السلام علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ ، السلام علي أبي بكر ، السلام علي أبي ثم ينصرف . ورؤي ابن عمر واضعا يده علي مقعد النبي ﴿ ρ وآله﴾ من المنبر ثم وضعها علي وجهه . وعن ابن قسيط والعتبي : كان أصحاب النبي ﴿ ρ وآله﴾إذا خلا المسجد جبوا رمانة المنبر التى تلى القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون .

و قال القاضي أبو الوليد الباجي : وعندي أنه يدعو للنبي ﴿ ρ وآله﴾بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر. وقال ابن حبيب : ويقول إذا دخل مسجد الرسول : باسم الله وسلام علي رسول الله ، السلام علينا من ربنا وصلي الله وملائكته علي محمد ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم . ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه ، وإن كانت ركعتان في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري علي ترعة من ترع الجنة ) . ثم تقف بالقبر متواضعاً متوقراً فتصلي عليه وتثني بما يحضرك ، وتسلم علي أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر من الصلاة في مسجد النبي ﴿ ρ وآله﴾ بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء . وقال مالك في كتاب محمد : ويسلم على النبى ﴿ ρ وآله﴾ إذا دخل وخرج يعنى بالمدينة وفيما بين ذلك قال محمد : وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافراً .

و روى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي { ρ وآله} أن النبي { ρ وآله} قال : ( إذا دخلت المسجد فَصَلِّى علي النبي { ρ وآله} وقولي : اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبوابَ رحمتِك ، وإذا خرجت فصلي علي النبي { ρ وآله} وقولي : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبوابَ فضلك ) .

هذا ما كان عليه أئمة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وما ورد في ذلك عن رسول الله { ρ وآله} وعمل الصحابة هو النور الذي يجب علي كل مسلم أن يقتدي به في زيارة النبي { ρ وآله} وفي السلام عليه .

**شهود أهل الحب الوالهين :**

علي اني لا أنكر علي أهل الحب الوالهين الذين انجذبت قلوبهم إلي حضرة المعية المحمدية إذا سطعت أنوار بصائرهم فأخفت مشهد الأبصار ، فشهدوا بالروح عند دخول المسجد النبوي ما مثله الخيال الصافي من كدرات الأهواء ، واستحضره القلب المطمئن من معانى المكانة المحمدية ، فحصل الخشوع الممزِّق لأغشية القلب حتي يصرخ الصارخ ، ويصعق الصاعق ، ويغني الممغنى ، ويهتز الواجد ، ويبكي العاشق ، ويتمثل الواصل فمنهم من يمد يده مسلِّماً ، ومنهم من ينحني مقّبلاً ، ومنهم من يلتمس مخاطباً ، ومنهم من يشكو مشاهدا ، ومنهم من يقبل البشري ، ومنهم من يسمع .

كل ذلك مسلم لأهله مقبول منهم ، لأن مقامات المحبة تتفاوت حتي تنزل السكينة وتحصل الطمأنينة ولديها يكون المؤمن وسطا . وقد سبق لك تفاوت أعمال أصحاب رسول الله { ρ وآله} في زيارته صلوات الله وسلامه عليه مما سبق لك من أعمالهم رضي الله عنهم ، ومن تدبر قول الإمام مالك رضي الله عنه أنه يكره أن يقول : زرت قبر رسول الله { ρ وآله} ويحب أن يقال : زرت رسول الله { ρ وآله}

يظهر له جلية هذا الأمر ، وإنما ينكر علي أهل المحبة من لم يقرأ علومهم ومن لم يتعلم أسرارهم ، ومن جهل شيئاً عاداه .

## 6- تعظيم عترته الشريفة ( ρ وآله)

**مودة آل بيته الشريف :**
قال الله تعالي : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [2] هذه الآية الشريفة وإن أولها بعض العلماء بأن رسول الله له قرابة فى كل قبيلة من قبائل العرب ، وإن الله سبحانه وتعالى أمر بصلة الرحم وَوُدِّ ذوي القربي ، ورسول الله ( ρ وآله) أوصل الناس لِرحَمِهِ فيذكَّر العرب بأن لا يقطعوا قرابته ( ρ وآله) ، ولكن بعض المحققين أولها إلي مودة آل بيته الشريف . ومن المعلوم أن آل بيته (ρ وآله) هم السيدة الزهراء عليها السلام ، وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين وسيدنا علي بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وسيدنا جعفر الطيار وسيدنا العباس بن عبد المطلب وسيدنا الحمزة وسيدنا عقيل بن أبى طالب .

**حق أهل البيت في عنق كل مسلم :**
ففى عنق كل مسلم حق لأهل البيت ، وهذا الحق هو احترامهم وتعظيمهم ومساعدتهم ما داموا متصفين بصفات أهل البيت ، لأنهم يمثلون حقيقة هذا النسب المقدس . فهم الأئمة والهداة وهم السادة المقتدي بعملهم ، وليسوا معصومين فعلينا أن نستر زلاتهم ونخفى عوراتهم ونعينهم ما داموا علي الحق ، ونخلص لهم في النصيحة ونجتهد في تعليمهم وإرشادهم وردهم عن كل ما يخالف جدهم ( ρ وآله) ، فإن قبلوا فهم أهل البيت، وإن أبوا إلا مخالفة السنة والكتاب وجب علينا أن لا نعنيهم علي ذلك وان ننفر منهم تأديبا لهم لا عقوبة ، وعلينا أن نبين لهم سنن رسول الله ( ρ وآله) ونذكِّرهم بأنهم أولي الناس بالتمسك بها ، وأحق الناس بإحيائها ، ولا نعتقد أن ذلك يغضب رسول الله ( ρ وآله) ولا أن ذلك يضرنا بشئ ، بل نتيقن أن ذلك

يرضى رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ خصوصاً إذا أنتجت أعملنا الثمرة المطلوبة ، فإن ذلك شئ يسر رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، ويكون عملنا هذا تقربا إلي رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ من بذل أموالنا وأولادنا لهم .

**المخالف ليس منهم إنما ذلك دعي ينتسب إلي غير أبيه :**
يقول ﴿ ρ وآله﴾ : (( أَبْقَيْتُ فيكم ثقلين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وأهل بيتى))

فأهل بيت رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ هم أنجم الهدي الذين أبقاهم رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ليبينوا لنا كتاب الله ، وليجددوا لنا سنن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، ومن خالف ذلك فليس منهم وإنما ذلك دَعِيٌّ ينتسب إلي غير أبيه ، وإنا أصبحنا في زمان يمكن كل إنسان أن يدعي تلك الدعوة ويأخذ بها حجة مسجلة يبرزها إن عورض في قوله وعمله المخالف للسنة ، فيتحشاه الجهلاء الذين يجهلون السنة .

أسأل الله سبحانه وتعالي أن يجعلنا ممن يعظمون السنة وأهلها ويعظمون أهل بيت رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ القائمين لإحياء سنته ﴿ ρ وآله﴾ ، وأن يمن علينا بالعفو والعافية والخير الحقيقي في الدنيا والآخرة وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

**دعائم الإيمان ودعائم الكفر**

لما بينت جملا من الواجب لله سبحانه وتعالي ولرسوله ﴿ ρ وآله﴾ من شعب الإيمان ، أحببت أن أورد إجمالاً دعائم الإيمان ودعائم الكفر ، نعوذ بالله منه ، ليكون المؤمن علي بصيرة في أمره متوقياً شر ما يضعف الإيمان أو يزيله ، متحرياً كل ما من شأنه يكون مزيدا فى الإيمان .

**دعائم الإيمان :**
سئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن دعائم الإيمان فقال : الإيمان علي أربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهاد .

و الصبر منها على أربع شعب : على الشوق . والشفق . والزهد . والترقب . فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات . ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات . ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات . ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات .

و اليقين منها علي أربع شعب : على تبصرة الفطنة . وتأول الحكمة . وموعظة العبرة وسنة الأولين . فمن تبصر فى الفطنة تبينت له الحكمة . ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة . ومن عرف العبرة فكأنما كان فى الأولين .

و العدل منها على أربع شعب : علي غائص الفهم . وغور العلم . وزهرة الحكم . ورساخة الحلم . فمن فهم علم غور العلم . ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم . ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الدنيا حميدا .

و الجهاد منها على أربع شعب : علي الأمر بالمعروف . والنهي عن المنكر . والصدق في المواطن . وشنآن الفاسقين . فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين .. ومن نهي عن المنكر أرغم أنوف الكافرين . ومن صدق في المواطن قضي ما عليه . ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة .

**دعائم الكفر :**
و قال υ : الكفر علي أربع دعائم : علـي التعمق . والتنـازع . والزيـغ والشقاق . فمن تعمق لم ينب إلى الحق . ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق . ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة . ومن شاق وعرت عليه طرقه وأعضل عليه أمره وضاق عليه مخرجه .

و الشك على أربع شعب : علي التمارى والهول والتردد والاستسلام . فمن جعل المراء دينا لم يصبح ليله . ومن هاله ما بين يديه نكص علي عقبيه . ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين . ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما .

## الاستغفار من الذنوب

يحسن هنا أن أبين حقيقة الاستغفار ، قال سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع علي ستة معان . أولها الندم علي ما مضي . والثاني العزم علي ترك العود إليه أبدا . والثالث أن تؤدى إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة . والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدى حقها . والخامس أن تعمد إلى اللحم الذى نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتي تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد . والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول : أستغفر الله . هذا ما قرره أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب في الاستغفار وقد ذكرته في هذا الموضع بعد ذكر دعائم الإيمان ودعائم الكفر والعياذ بالله تعالي ، ترغيبا لي ولإخواني المؤمنين في التوبة التى لا يغلق بابها عن الإنسان ما دام حيا يرزق ، ومن استعصت عليه نفسه جاهدها حتي تلين له ، وأكبر دعائم الجهاد مخالفتها ، وقد بينت أنواع رياضة النفس في الكتب السابقة والعاقل لا يعدم معرفة طرق تزكية نفسه .

# الباب الثالث
# الإمــامة
## الفصل الأول
## تعريف الإمامة وصفة الإمام

**تعريف الإمامة :**

هي عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص لرسول الله ( ρ وآلـه) في إقامة الأحكام الشرعية وحفظ حوزة الملة علي وجه يجب اتباعه علىكافة الأمة . هذا الموضوع يشتمل علي مباحث :

**المبحث الأول : في وجوب نصب الإمام :**

أوجبه الإمامية والإسماعلية علي الله تعالي والمعتزلة والزيدية أوجباه علينا عقلاً . وأهل السنة أوجبوه علينا سمعا ولم يوجبه الخوارج مطلقاً .

و أريد أن أذكر بيان وجوبه علينا سمعا وعدم وجوبه علي الله تعالي ، أما الأول : فلأن نصب الإمام لدفع ضرر لا يندفع إلا به ، لأن البلد إذا خلا عن رئيس قاهر يأمر بالطاعات وينهي عن المعاصي ويدرأ بأس الظلمة عن المستضعفين استحوذ عليهم الشيطان ، وفشي فيهم الفسوق والعصيان وشاع الهرج والمرج . ودفع الضرر عن النفس بقدر الإمكان واجب بإجماع الأنبياء واتفاق العقلاء ، فإن قيل : يحتمل مفاسد أيضاً إذ ربما يستنكف الناس عن طاعته فيزداد الفساد ، أو يستولى عليهم فيظلمهم ، أو يحتاج لدفع المعارض وتقوية الرياسة إلي مزيد مال فيغتصبه منهم . قلنا احتمالات مرجوحة وترك الخير لأجل الشر القليل شر كثير . وأما الثانى : وهو عدم وجوبه علي الله تعالي

فلما بينا فيما سبق من كتبنا أنه لا يجب عليه شئ بل هو الموجب لكل شئ . قال : احتجت الإمامية بأن نصب الإمام لطف ، لأنه إذا كان للناس إمام كان حال المكلف إلى قبول الطاعات والاحتراز عن المعاصى أقرب مما إذا لم يوجد ، واللطف علي الله واجب قياساً علي الممكن . والجواب بعد تسليم المقدمات الباطلة : إن اللطف الذي ذكرتموه إنما يحصل بوجود إمام قاهر يرجي ثوابه ويخشي عذابه وأنتم لا توجبونه . كيف ولم يتيسر من عهد النبوة إلي أيامنا إمام علي ما وصفتموه .

**صفة الإمام عند من أوجب تنصيبه عقلا :**

**قول من أوجب تنصيب الإمام عقلاً في صفته :**

الأولي : أن يكون مجتهداً في أصول الدين وفروعه ليتمكن من إيراد الدلائل وحل الشكوك والحكم والفتوي في الوقائع ، الثانية : أن يكون ذا رأي وتدبير يدبر الحرب والقلم وسائر الأمور السياسية ، الثالثة : أن يكون شجاعا لا يجبن عن قيام بالحرب ولا يضعف قلبه عن إقامة الحد، وَجَمْعُ تساهلوا في الصفات الثلاث وقالوا : ينيب من كان موصوفا بها ، الرابعة : أن يكون عدلا لأنه متصرف فى رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم ، الخامسة والسادسة : العقل والبلوغ ، السابعة : الذكورة ، فإنهن ناقصات عقل ودين ، الثامنة ، الحرية لأن العبد مستحقر بين الناس مشتغل بخدمة السيد ، التاسعة كونه قرشيا خلافا للخوارج وجمع من المعتزلة لقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ الأئمة من قريش ﴾ [2] واللام في الجمع للعموم حيث لا عهد فقوله الأئمة للعموم . وقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ( الولاة من قريش ما أطاعوا الله واستقاموا ) [2] .

**القول في عصمة الإمام :**

قال : ولا يشترط فيهم العصمة خلافا للإسماعلية والإثنا عشرية ، ، وينقض مذهبهم صحة إمامة أبى بكر رضى الله عنه . والأمة اجتمعت علي كونه غير واجب العصمة ولا أقول أنه غير معصوم .

احتج المشترطون للعصمة في الإمام بأن وجه الحاجة إليه : إما أن المعارف الإلهية لا تعلم إلا منه كما هو مذهب أصحاب التعليم . أو تعليم الواجبات العقلية . أو تقريب الخلق إلي الطاعات كما هو مذهب الإثنا عشرية ، وذلك لا يحصل إلا إذا كان الإمام معصوماً . وبأن احتياج الناس إلي الإمام لجواز الخطأ عليهم ولو جاز الخطأ عليه لاحتاج إلي إمام آخر .

ولقوله:﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (2) وأجيب عن الأول بمنع المقدمات وعن الثالث بأن الآية تدل علي أن شرط الإمام ان لا يكون مشتغلاً بالذنوب التى تنفك بها العدالة لا أن يكون معصوماً .

**صفة الإمام العادل :**

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلي الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ، فكتب إليه الحسن رحمه الله : اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفةّ كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق علي إبلِهِ ، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى ويذودها عن مراتع المهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذي الحر والقر . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني علي ولده ، يسعي لهم صغاراً ويعلمهم كباراً ، ويكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها ، ويكتسب لهم فى حياته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقه البره الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلاً ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتفطمه أخري ، وتفرح بعافيته وتغنم بشكايته . والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتامي وخازن المساكين يربي صغيرهم ويمون

كبيرهم . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده . والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وعباده يسمع كلام الله ويُسْمِعُهم ، وينظر إلي الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملَّكَكَ الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فأفقر أهله وفرّق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم ؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه ، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر ، واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذى أنت فيه يطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحباؤك يسلمونك فى قعره فريدا وحيدا فتزود له بما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ، فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين علي المستضعفين فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلاًّ ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك ، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك ، ولا تنظر إلي قدرتك اليوم . ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور فى حبائل الموت ، وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحى القيوم . إنى يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظمتى ما بلغه أولوا النهى من قبل فلم آلك شفقة ونصحا ، فأنزل كتابى إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة . والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

**قول علماء النفس في صفة الإمام العادل :**
هو الرئيس الذي لا يرأسه إنسان آخر أصلاً ، والإمام الحاكم بالسوية الذي يخلف صاحب الشريعة (ρ وآله) في حفظ المساواة ، ولا تتحقق تلك المنزلة المقدسة منزلة الخلافة عن الرب سبحانه وتعالي وعن رسوله (ρ وآله) إلا لمن فطر علي تلك الخصال : أحدهما أن يكون تام الأعضاء يمكن كل عضو أن يقوم بما خلق له بسهولة . الثانية : أن يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له فليقاه بفهمه علي ما يقصده القائل وعلي حسب الأمر في نفسه . ثم أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه ؛ وفي الجملة لا يكاد ينساه . وأن يكون جيد الفطنة ذكياً إذا رأس الشئ بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دل عليها . وأن يكون حسن العبارة يؤاتيه لسانه علي إبانة كل ما يضمره إبانة تامة . وأن يكون محبا للتعليم والإستفادة منقاداً لهما سهل القبول ، لا يؤلمه تعب التعليم ولا يؤذيه الكد الذي يناله منه .

ثم أن يكون غير شره علي المأكول والمشروب والمنكوح متجنباً للعب مبغضاً للذات الكائنة عن هذه . وأن يكون محباً للصدق وأهله مبغضاً للكذب وأهله . وأن يكون كبير النفس محبا للكرامة تكبر نفسه عن كل ما يشين من الأمور وتسمو نفسه إلي الأرفع . وأن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده . وان يكون محبا للعدل وأهله مبغضا للجور والظلم وأهلهما ، يعطي النَّصفّ من نفسه وأهله ومن غيره ويحث عليه ويؤتي من حل به الجور ، ويكون مؤاتيا لكل ما يراه حسنا وجميلا . وأن يكون عدلا غير صعب القياد ولا جموحا ولا لجوجا ، إذا دعي إلي الجور وإلي القبيح نفر وامتنع . وأن يكون قوي العزيمة علي الشئ الذي يري أنه ينبغي أن يفعل جسورا عليه مقداما غير خائف ولا ضعيف . واجتماع هذه كلها في إنسان واحد عسر ، فلذلك لا يوجد من فطر علي هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس فإن وجد مثل هذا ثم حصلت فيه

بعد أن يكبر تلك الشرائط الستة المذكورة بعد أو الخمسة منها دون الأنداد من جهة القوة المتخيلة كان هو الإمام الأعظم وإن اتفق أن لا يوجد مثله في وقت من الأوقات كان الإمام القائم بالأمر رئيس أهل الشوري الذين يمثلون جميع تلك الصفات حتي يقوموا بتنفيذ الأحكام الشرعية مع ملاحظة الاقتداء بالأئمة الهادين الذين جملهم الله بجمال تلك الصفات .

و يجب أن يكون الإمام الأعظم المنفرد بالاجتهاد والاستنباط والحكم فيما لم يكن له نظير في السنن ، وهو الذي اجتمعت فيه من مولده وصباه تلك الشرائط المتقدمة . ويكون بعد كبره فيه ستة شرائط : أحدهما أن يكون حكيما . والثانى : أن يكون عالما حافظا للشرائع والسنن والسير التى دبرها الأولون محتذيا بأفعاله كلها حذو السنن الماضية لأئمة الشريعة بتمامها . الثالث : أن يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة ، ويكون فيما يستنبطه من ذلك محتذياً حذو الأئمة الأولين . الرابع : يكون له جودة رؤية وقوة استنباط في الحوادث التى يقتضيها الوقت الحاضر من الأمور والحوادث التى تحدث ، مما لم يكن في زمن أئمة الهدي المقتدي بهم صريح حكم فيها ، ويكون متحرياً بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المسلمين وأهل ذمتهم . والخامس : أن يكون له جودة إرشاد بالقول إلي العمل بالشريعة وسنن الأئمة الراشدين قبله ، وإلي التى استنبط بعدهم مما احتذي فيه حذوهم .

السادس : أن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب . وذلك أن يكون معه الصناعة الحربية الخادمة و الرئيسية .

فإذا لم يوجد إنسان واحد اجتمعت فيه هذه الشروط ولكن وجد اثنان أحدهما حكيم والثاني فيه هذه الشرائط الباقية كان أحدهما رئيسا والثانى مشيرا لجماعة المسلمين ، فإذا تفرقت هذه في جماعة وكانت

الحكمة في واحد والثانية في واحد والثالثة في واحد والرابعة في واحد والخامسة في واحد والسادسة في واحد وكانوا متلائمين كان أحدهم إماما والبقية منشيرين ، فمتي اتفق في وقت ما أن الحكمة فقدت معها سائر الشروط كان الرئيس القائم بأمر الأمة ليس إماما واستعد المجتمع للهلاك ، فإن لم يتفق ان يوجد حكيم تضاف إليه الإمامة لم تلبث الجماعة إلا ريثما تتقهقر وتغلب علي أمرها ، ويسارع الأجانب في استبعادها ومحو فضائلها وسلب أموالها ، والله سبحانه وتعالي يحفظ المسلمين من أئمة الجهالة وقادة الضلالة إنه مجيب الدعاء آمين ( وأرى ) أن الإمام الأعظم لأ يخص ذاته بشئ من الخيرات أكثر مما يعطي غيره كما ورد فى الخبر أن الخلافة تطهر الإنسان .

**انتخاب الإمام :**

ينتخب العامة لمنصب الخلافة العامة من كان شريفا فى حسبه ونسبه ، وبعض العامة يؤهل لذلك من كان كثير المال ، وأما أهل العقل فإنهم يؤهلون لذلك من كان حكيماً فاضلاً ، فإن الحكمة والفضيلة هما اللتان تنال بهما الرياسات والسيادات الحقيقية ، والمؤهل للخلافة العامة لا يخفي علي أحد ، والله يوفق المسلمين لخيري الدنيا والآخرة ويدفع عنا جميعاً شرور أنفسنا وشرور الأشرار .

# الفصل الثاني
# الواجب علي الإمام والواجب له

**الواجب على الإمام الأعظم**

الإمام الأعظم خليفة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ وعليه أعظم واجب لأنه مطالب بحقوق بقدر ما على الأمة بأسرها ، وكيف لا وهو مطالب

بإقامة حدود الله تعالي وبتنفيذ أحكام الله ودفع المظالم عن المسلمين وأهل الذمة ، وحفظ الثغور وإحياء الأفراد بمادتي العلم والضروري والكماليّ للحياة ، فهو مسئول أمام الله تعالي وأمام رسوله ﴿ ρ وآله﴾ وأمام كل فرد من أفراد الأمة بحقوق توجب عليه اليقظة والسهر والجد والدأب وطرح حظوظ نفسه وشهواته وراءه حتي يكون خليفة لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ممثلاً لجنابه ﴿ ρ وآله﴾ ، ويجب عليه أن يسوق كل إنسان نحو سعادته التى تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم إلى قسمين : أحدهما في تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية . والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والأعمال الحسية ، وإذا سددهم نحو السعادة الفكرية بدأ بهم من الغاية الأخيرة علي طريق التحليل ، ووقف بهم عند القوي التى ذكرناها ، وإذا سددهم نحو السعادة العملية بدأ بهم من عند هذه القوي وانتهي بهم إلي تلك الغاية ، حتي يكون كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية آمنا على دمه وماله وعرضه ، ساعياً بقوتيه البدنية والفكرية فى نوال السعادة والخير الحقيقي ، مجدّاً في طاعة الله ورسوله ، وطاعة أولى الأمر المتجملين بصفات رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ رحمة وكرما وعطفا واستقامة وتقوي وعلما وعملا . فيتمتع كل مسلم بالحرية التى لا يخاف فيها إلا ذنبه ولا يخشى فيها إلا ربه ، يبذل الفضل من ماله وجاهه وعلمه لإخوته المؤمنين اقتداء بالإمام الأعظم ، وتشبها بولاة الأمر ، فيكون وقت كل فرد بين شغل الصناعات المفيدة للمسلمين والزراعات المعينة لهم ، واختراع ما لابد منه من الآلات الحربية ومعدات النقل وفنون الطب المخففة لآلام المجاهدين ، وكشف أسرار الكائنات مما به راحة المجتمع الإسلامي ، لأن قلوب المسلمين صفت بالإمام الأعظم من السخائم وطهرت النفوس من الرذائل حتي حصل التآلف والتحابب والتعاطف والتراحم ، وشعر كل فرد بقدر الواجب عليه لإخوته المؤمنين . كل ذلك بعد القيام بما أوجبه الله تعالي والعمل بما سنه رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ويكون هذا كله سعيا وراء سعادة الدنيا والآخر، وحفظاً للدين وصيانة لجماعة المسلمين .

كل تلك النعم يفيضها الله علي المؤمنين ويزيدهم من فضله عزة لهم في قلوب اعدائهم ورهبة في نفوس جيرانهم ، ويحصل المزيد بدخول الناس أفواجا أفواجا في دين الله لما يرونه من الخير والسعادة والعزة لمن تمسك بدين الإسلام فتكون تلك الحالة كداع يدعو جميع الأديان الأخري إلي دين الإسلام ، ويكون الفضل في ذلك كله للإمام الأعظم الذي جاهد نفسه في ذات الله تعالي لتكون كلمة الله هي العليا.

و مثل هذا الإمام لا يشك مسلم في أن طاعته طاعة لله ورسوله ، ومعصيته معصية لله ورسوله ، والخروج عليه كفر ، وإخفاء النصيحة عنه ضلال.

**لذة الإمام الأعظم :**

لذة الإمام الأعظم تكون روحانية أكثر منها جسمانية ، فإنه يتلذذ بما يري عليه المسلمين من العلم والعمل والصناعات والفنون والزراعات وما يراه لهم من الشرف والحرية والثروة والتمكين في الأرض بالحق ، والتآلف وروابط الإخاء وحسن طاعتهم له ومسارعتهم فيما يرضيه ، وحبهم له وثنائهم عليه ودعائهم له بالقلوب والألسنة . ويتلذذ براحة ضميره وأمنه علي نفسه في كل حال وكل مكان ، لأن كل مسلم حريص علي حياته يتمني أن يفديه بنفسه وماله وأهله فيمشى فى الأسواق منفرداً ، ويجلس في المسجد وحيداً ، ويسافر بلا خادم ولا زاد ولا حارس يحرسه ، لأنه يجد فى كل بلد وفي كل مكان أولاداً بررة وحفدة يعظمونه . ويتلذذ بتنفيذ أمره ورهبة أعدائه منه وتملقهم له وخوفهم من سطوته بما يفد عليه من وفودهم الحاملة لكتب الخنوع والذل وهدايا التودد . ويتلذذ بما يناله من نصرة جيوشه وسعة مملكته وإذلال خصومه ، وتوفير أموال بيت المال من الغنائم وعشور تجارات الأجانب ومحصولات المدن وخزن الأموال التى فى بيت كل مسلم المعدة لطلبه عند مقتضي ذلك عن سماح نفس ورغب في رضوان الله الأكبر .

و يتلذذ بما ينعم الله به عليه من القربات التى يقوم بها بإعلاء الكلمة وأمن الطرق ودفع المضار وإقامة الحدود ، وعمارة المساجد ومعاهد العلم وانتشار الفنون والصناعات والحرف ، وتعضيد القائمين بها حتي تكون الأمة بأجمعها كبيت واحد هو لهم كأب وهم له أبناء يسعي كل فرد في خير المجتمع .

**مثال الإمام الأعظم :**

مثَّل العلماءُ الإمام الأعظم بالقلب في الجسد فقالوا : كما أن العضو الرئيسى فى البدن هو أكمل أعضائه وأتمها فى نفسه وفيما يخصه وله من كل ما يشاركه فيه عضو آخر من الأعمال أفضلها . ودونه أيضا أعضاء أخري رئيسية لما دونها ورياستها دون رياسة الأول وهي تحت رياسة الأول تَرْأس وتُرْأس . كذلك الإمام الأعظم هو أكمل أجزاء المسلمين فيما يخصه وله من كل ما شارك غيره أفضله ودونه قوم مرءوسون منه ويرأسون آخرين .

و كما ان القلب يتكون أوّلاً ثم يكون هو السبب في أن يكون سائر أعضاء البدن والسبب فى أن تحصل لها قواها وأن تترتب مراتبها ، فإذا اختل منها عضو كان هو المرقد له ما يزيل عنه ذلك الاختلال ، كذلك الخليفة الأعظم ينبغي أن يكون هو أولاً ثم يكون هو السبب فى أن يتمتع المجتمع بالعدل والمساواة وإقامة الشريعة والسبب فى أن تحصل الملكات الإرادية وأن تترتب مراتبها . وإن اختل منها جزء كان هو العامل علي إزالة اختلاله . وكما ان الأعضاء التى تقرب من العضو الرئيسي تقوم بالأفعال التى هي علي حسب غرض الرئيس الأوّل مما هو شرف ، وما هو دونها من الأعضاء يقوم عاملاً بما هو دون ذلك في الشرف إلي أن ينتهي إلي الأعضاء التى تقوم بالأخس من الأعمال . كذلك الأجزاء التى تقرب في الرياسة من الإمام الأعظم تقوم بأعمال إرادية هى أشرف لأنها منفذة لإرادة الرئيس مباشرة ، وهكذا كل عامل يبعد عن الإمام يقوم بأعمال إرادية هى أخس من

أعمال من هم أقرب للإمام إلي أن تنتهي إلى أعمال يقومون بأخس الأعمال و هم البعيدون عن الإمام كأهل المهن المحتقرة ، والمكتسبون بالأعمال المرذولة . وخسة الأفعال ربما كانت بخسة موضوعاتها . فإن كانت الأفعال لا غنى عنها مثل فعل المثانة وفعل الأمعاء السفلي في البدن مع خسة موضوعاتها فإنها عظيمة . وربما كانت خسة الأعمال لقلة فائدتها أو لسهولتها كذلك في المجتمع الإسلامى ، وكذلك كل جملة كانت أجزاؤها مؤتلفة منتظمة مرتبطة فإن لها من سائر الأجزاء هذه الحال .

**الواجب للإمام على كل فرد من أفراد المسلمين وعلى جماعتهم :**
تقدم أن الواجب على الإمام أعظم واجب لعظم مسئوليته ، ولأن زلته زلة العالم بأجمعه ، وبخطئه يوقع المسلمين فى الخطأ . وقلَّ أن يأتي الشر لجماعة المسلمين إلا من قِبَلِ إمامهم ، وذلك قد يكون للتساهل فى حدود الله وفى إقامة شعائره فيجرأ أهل النفوس اللقسة على ارتكاب المحرمات ، فهو المؤاخذ على خطأ نفسه وخطأ العامة سواء أحدثه فقلدوه فيه أو علمه وتهاون فى المؤاخذة عليه . وكما أن الواجب عليه عظيم ومسئوليته أعظم فقد أوجب الله سبحانه وتعالى وأوجب رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ علي كل فرد من أفراد المسلمين وعلى جماعتهم للإمام واجبات ، وحذرنا من الإهمال فى القيام بها ، فإنه كما تحصل المضرة لجماعة المسلمين بإهمال الإمام فقد تكون المضرة أعظم بمخالفة أمره والتهاون بشأنه ، فإن ذلك ربما فرق كلمة الجماعة وأكثر الأحزاب في المسلمين ومكن منهم عدوهم الشيطان الرجيم ، وأدخل بينهم الدسائس والمفاسد من أعدائهم الكافرين . والحوادث السابقة عبرة للمعتبر قال الله تعالي : (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ) (2) . والذى عليه أكثر المفسرين أن أولى الأمر هنا هو الإمام ونوابه ولاة الأمور . وإن كان بعض المفسرين أوّل ذلك بأهل العلم فقهاء القلوب وهذا لا يمنع ، فإنه تقدم لنا أن الإمام ونوابه يلزم أن يكونوا علماء فقهاء

القلوب وهذا لا يمنع ، فإنه تقدم لنا ان الإمام ونوابه يلزم أن يكونوا علماء فقهاء فتكون طاعتهم واجبة من جهة الفقه والعلم ولازمة من جهة الولاية . وقال الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {54} إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ {55} وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[2]

بين لنا سبحانه وتعالي أن أولياءنا هم العلماء ، لأن تلك الصفات التى ذكرها الله تعالي بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ﴾ الآية . تعين أنهم علماء فقهاء لأن إقامة الصلاة لا تتحقق إلا من العالم الراسخ . ومن تدبر قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾[2] علم معني إقامة الصلاة . وقوله سبحانه : ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[2] يظهر من هذه الآية حقيقة الزكاة الشاملة لتزكية النفس وزكاة المال كما قال تعالي : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ [2] أى لتزكية أنفسهم وتقيد تأدية الزكاة بالركوع يرجح هذا المعنى . وإنما يزكي نفسه من عرفها ومن عرف نفسه عرف ربه . فهؤلاء الأئمة جعل الله طاعتهم طاعة لجنابه العلي ولرسوله ﴿ ρ وآله﴾ ومخالفتهم مخالفة لله ولرسوله ﴿ ρ وآله﴾ وكفي بذلك إثما . فالواجب على كل مسلم أن يطيع الله ورسوله وولاه الأمر وأن تكون طاعته لولاة الأمر عن حب خالص لخير المسلمين جميعاً وإخلاص في النصيحة لهم ، ويتحقق أنه بطاعته لولاة الأمر ، ونصيحته لهم كأنه أحسن إلى نفسه وإلى إخوته المؤمنين في الدنيا ، وفاز برضاء الله سبحانه ورضاء رسوله الله ﴿ ρ وآله﴾ وبالنعيم الأبدي ، واقتدي بأئمة الخير ، وجدد سنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، وكان إماما لمن يأتي بعده لأن الأبناء يقلدون الآباء .

و لمـا كـان القـائمون بـالأمر رجـالا منـا جماعـة المسـلمين لـم تثبـت عصمتهم ، ولكن لهم اجتهاد فيما لم يرد عنه نص صريح في الشريعة ولا نظائر له فى عمل أئمـة الهدى ، بقدر وضـوح الدلالـة وطمأنينـة القلوب والتحرى أن يكون أقرب إلـي الحق ن والدلائل الشرعية إمـا إقرار أو شهادة أو قرائن دالة فما علي كل مسلم قضـي عليـه وال مـن ولاة المسلمين بما هو برئ منه بعد اجتهاده فى الحكم إلا إن يتلقي ذلك راضياً بقضـاء الله داعياً لمـن حكـم عليـه أن يوفقـه الله للصـواب ، وإذا أداه اجتهـاده إلـي عمـل مـا يضـر بصـالح الأفراد أو الأمـة فـالأولى أن يتلقوا هذا الأمر بتسليم لقضـاء الله وقدره ، وبدعاء للأمير أن يبـين الله له الحق في كل أعماله رحمة بالمسلمين واجتماعاً لقلوبهم علي إمامهم ، والاجتهاد من جماعة المسلمين في نصيحة الأمير بطرقها المقبولـة ووسائلها المؤدية للخير العام من غير تنفير ولا تفرقة ، حتي لو ظهر أن الأمير يقصد المضرة فعلي المسلم أن يحسن ظنه مفوضـا أمره لله خشية من تفرقة الجماعة والتشنيع علـي الإمـام ، لأن ذلك يـؤدي إلـي التحزب والخروج عليه فيكون المسلمون عاملين علي إضعاف قوتهم وذهـاب سـلطانهم وتسـليط عـدوهم علـيهم ، وبـذلك تهمـل أحكـام الله وتتعدي حدوده سبحانه وتعالي . وكيف لا وبخروج بعض المسلمين علي بعض هلاك للنفوس وضياع للأموال وخراب للعمران ومحو للصـناعات النافعـة والعلـوم المفيـدة ، وبـذلك تـتمكن الأعـداء فيكـون جماعة المسلمين أذلاء بعد العز . ومن تدبر هذا واستحضر قدر مـا ينـال الإسـلام والمسلمين مـن عملـه يحـب أن يكـون للمسـلمين سلطان قوي ولو ضرب ظهره وأخذ ماله . ومعلوم أن عزة جماعة المسلمين وقوتهم ومنعتهم وقوة سلطانهم عز لكل فرد من أفراد المسلمين أيـن كانوا وكيف كانوا ، ووسعة لأرزاق كل فرد وإعلاء لكلمـة الله ولسـنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ .

**كل مسلم مطالب بسلامة جماعة المسلمين :**

و لا لوم على إذا قلت إن كل فرد من أفراد المسلمين مطالب بسلامة جماعة المسلمين وسلامة كل فرد منهم بقدر استطاعته ، ولقائل أن يقول : كيف يمكن كل فرد أن يقوم بهذا الواجب ؟ فأقول له : أن معظم النار من مستصغر الشرر ، فلو أن كل فرد حمل أحوال اخوته وأميره على الأجمل منها وسد أبواب الفتن من جهته ، وإذا علم بفتنه غاب عنها ولم يشهدها أو اجتهد في إطفاء نارها ما أصاب جماعة المسلمين ما أصابهم . قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ كلٌّ واحد من المسلمين على ثغور الإسلام ، فإذا تهاون إخوانك فاشدد ، لئلا يأتى العدوُّ من قبلك﴾[2] وليس الأمر ببعيد فإن مثال الإمام الأعظم مع جماعة المسلمين كعائلة لها رئيس ، فإن كان الرئيس شفيقاً مدبراً حكيماً واقتدي به أفراد العائلة صفت حياتهم وارتفع شأنهم وتجدد مجدهم ، وإن كان الرئيس غير حكيم ولا مدبر أمكن أفراد العائلة أن يخففوا شروره ويدفعوا مضاره عنهم بحكمة وروية ونصح بدون مخالفة ولا تنفير ، فإن خرجوا عليه ونفروه هدم المجد وبدد الأموال واستعان برياسته على إذلالهم ، ولم يمض زمن إلا ويصبحون جميعاً أذلاء فقراء وقد تقدم مثل لذلك بالقلب والجسد . فعلى كل مسلم أن يتحقق أنه بغضبه وسعيه فى الانتقام سارع في إهلاك نفسه وأهله ومحو مجده وعزه . وليست الحوادث التى تحدث بين العائلات ورئيسها التى بها تصبح الديار بلاقع والعز ذلا والغني فقرا والهدى ضلالا بقليلة أمام المتأمل البصير .

فالواجب علينا جميعا أن نسعى بإخلاص وصدق فيما به عز جماعة المسلمين وسعادتهم وقوة سلطانهم ، معتقدين أن ذلك عز لكل فرد وشهرة لصناعتنا وزراعاتنا وبلادنا وشرف لنا عند أعدائنا .

و إنى أرى كثيراً منا قد من الله عليهم بمواهب العقول أو بالوسعة فى الرزق أو بالقوة في الجسم لا يهمهم هم المسلمين بل حظ كل واحد

منهم قاصر علي نيل حظوظه وشهواته ، فتراه لا يهتم بغير ذلك ولو أضيعت حدود الله وأهملت سننه سبحانه وتعالى وتُركت شعائره وضعفت جماعة المسلمين ، ويظن المغرور لجهله أنه متلذذ متنعم . وربما أعان على هدم السنة ومحو الفضائل الإسلامية ، ولا يعلم أن ذلك هو عين الذل والفقر والهلاك الأكبر في الدنيا والآخرة . قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ( من لا يهمه همّ المسلمين فليس منهم ) وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿مَنْ سَنَّ سنة حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ﴾[2] وبمعناه ﴿ مَنْ سَنَّ سنةً سيئةً ﴾ فإياك أيها الأخ البار وفقني الله واياك لما يُحب أن تجلب لنفسك خيرا قليلا فتفتح به على المسلمين شرا كثيرا ، أو تدفع عن نفسك شراً قليلا فتجلب به علي المسلمين شرا كثيرا ، وكن يا أخي يقظاً مشدداً علي حماية ثغرك الذي أنت عليه من الإسلام وأن أهمل جميع إخوانك ، حتي تكون قد قمت بالواجب عليك لله تعالي ولرسوله ﴿ ρ وآله﴾ ولإخوتك المؤمنين ولأولي الأمر منا .

**صبر المظلوم خير من أن يكون سبباً في فساد المجتمع :**

و تدبر أن رئيس عائلة لو أنه طمع في مال فرد من العائلة وصبر المظلوم راضيا فإن هذا الرئيس قد تأخذه الشفقه عليه ويشفق عليه إخوانه فيعطفون عليه جميعا وتدوم الألفة والجماعة ويبقي للعائلة مجدها وعزها ويهابها جيرانها . ولكن إذا قام الفرد حنقا واستعان ببقية الأفراد علي نصرته وأخذ حقه من الظالم ، وبث فيهم أن هذا الظالم سيعاملهم بتلك المعاملة وأنه لابدْ من بذل المجهود في إذلاله وخذلانه ، فإما أن يتحدوا علي ذلك فيكيدون لرئيسهم ويكيد لهم فما يمضي زمن إلا ويهلكون جميعاً ويرجعون أذلاء ، وإما أن يكونوا ضعفاء فستعينون بجيرانهم الذين ينتهزون تلك الفرصة ليضعفوا قوة العائلة ، ويستولوا علي ثروتها ومجدها ويظهرون لهم المساعدة والرحمة ، ويقبحون عمل رئيسهم ويبغضون فيه ويمدونهم بالمال

والجاه لإذلال الرئيس ، حتي تصبح العائلة كأنها لم تكن فهكذا جماعة المسلمين .

وأعلم يا أخى أيدك الله واياي أن كثيراً من الناس يبذلون مواهبهم فى جلب الخير لأنفسهم بواسطة الأمراء والرؤساء ، ويعتقدون أن الخير لا يصل إليهم إلا اذا تمكنوا من قلوب الرؤساء وصارت لهم الكلمة النافذة لديهم ، فإذا تمكنوا من اغراضهم سلطوا الأمراء على أعدائهم وعلى أهل الفضل ممن يخشون علي أنفسهم من فضلهم ، وعلى من يحسدونه ممن يحبهم الأمراء ، فيفسدون أخلاق الأمراء ويمئلون صدورهم وغرا على أهل النصيحة والرأى حتى يفسدوا بين الراعي والرعية ، فيبيت الأمير يكيد لأفاضل امته وأفاضل أمته يحذرون منه ، وهؤلاء من أشرار الناس ، وهم الأمراض المفسدة للجسد الإسلامي فاحذر يا أخي أن تكون منهم ، وتحقق أنك إن عشت فقيراً تجوع يوماً وتشبع يوماً خير لك من أن تكون سببا في فساد المجتمع الإسلامي .

و جاهد نفسك أيها الأخ خشية أن تغرك الدنيا فتبيع الفضيلة بالرذيلة ن والهداية بالضلالة ، والآخرة بالدنيا ، وتحقق صدق قوله ﴿ ρ وآله﴾ : ( من أعان ظالماً سلطه الله عليه ) .

و اعلم أيها الأخ البار أن كثيرا ممن لم يؤمنوا بيوم الحساب يستعينون علي قضاء شهواتهم الدينويه بالكذب وبإخوان السوء الذين يشهدون لهم بالزور ، حتي يضطر اعداؤهم أن يقابلوهم بالمثل ، فينتشر الزور والبهتان بين جماعة المسلمين وتتفرق الكلمة ، ويصبح المسلمون مشغولين بأذية بعضهم بعضا ، وأعداؤهم في استعداد لهم وفي انتهاز فرصة غفلتهم .

هذا وإن كان وليُّ الأمر واجبا عليه أن يكون يقظا متحريا من الوقوع في شبكة الأشرار وصحبة الخبثاء ، ولكن أهل الجهالة والضلالة

والخبث يجملون ظاهرهم بصفات الأتقياء البررة وهم ذئاب أشرار ، والوالي يحكم بالظاهر فلا لوم عليه إلا إذا كان شريرا مثلهم ، وإن كان الواجب عليه أن ينفر من الأشرار المتجملين ظاهرا عندما تظهر منهم بإدرة الخيانة ويبعدهم عنه ، ولا يكون ذلك إلا بتوفيق من الله وحسن معونة منه سبحانه وتعالي والله ولى المتقين . ومن فهم قوله سبحانه وتعالي ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾ إلى قوله تعالي : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ﴾[2] وقوله تعالي : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ ﴾ إلى قوله سبحانه تعالي : ﴿ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[2]

و قوله تعالي : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ) [2] وقوله تعالي : (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا )[2].

من فهم تلك الآيات وكان يؤمن بيوم الحساب تصغر في عينه الدنيا وتحتقر ، ويفر من نعيمها الزائل وحظها الفاني ، ويقبل بقلبه وقالبه علي ما ينال به الخير العظيم في الدنيا والآخرة . والله سبحانه وتعالي أسال أن يمنحنا الفضل الذي به تألف القلوب وإعلاء الكلمة وإحياء السنة وخير الدنيا والآخر إنه مجيب الدعاء.

**الإيمان بيوم الحساب :**

من نوّر الله قلبه بالفقه ففقه أسرار تلك الآيات ونظائرها في كتاب الله تعالي ، علم كيف يتحفظ من التشبه بالشياطين ومن الاقتداء بأهل النفوس اللقسة ، وجاهد نفسه حتي تزكو وعكف علي الحق ولو كان مراً عليها .

و لو أن كل أخ من إخواننا المؤمنين في كل البلاد تيقظ قلبه من نومه الغفلة ورقدة الجهالة واستحضر هول يوم الجزاء، وتحقق أن نعيم هذه

الدار آلام وشقاء وأن حلالها حساب وحرامها عقاب ولذتها ألام ، كما قال تعالي :﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [2] وهذه الآية دالة علي أن من أراد الدنيا بأن عكف عليها يعجل الله له فيها ما قدره له أزلا بدون أن يناله منها إلا ما سبق له في علم الله بدون زيادة ولا نقص ، وتكون إرادته لها دليلاً علي عدم إيمانه بيوم الحساب ، وعدم الإيمان بيوم الحساب موجب لعمي القلب عن خوف مقام الرب والرغبة فيما عنده ، فيئول ذلك إلى خسران الدين والدنيا والآخرة ، ولذلك فقد حكم الله عليه بأن جعل له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . أما مذموما فلانكشاف النعم التى أنعم الله بها عليه من الإيجاد والإمداد والمنن التى منّ بها عليه من بعثة الرسل وورثتهم وإقامة الحجة علي ذلك، والفضل العظيم الذي تفضل به عليه من تسخير ما فى السموات وما فى الرض جميعاً منه له ، وكفرانه بكل تلك النعم ونسيانه للمنعم جل وعلا.

كل تلك النقم والبلايا لم تصبه إلا بنسيان يوم الحساب، ولم يتمكن الشيطان الرجيم لعنة الله عليه من قلب المسلم حتي يجعله أتبع له من ظله إلا بنسيانه يوم الحساب. فكن يا أخي يقظ القلب. وعلي كل أخ من إخواننا منحهم الله روح القدس وودهم الله بكمال التصديق بيوم الحساب أن يجعل أكبر همه استحضار هول ذلك اليوم مستحضرا بقلبه مدلول قوله تعالي:﴿ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[2] وأن ينبه جميع إخواننا وفقهم الله إلي الاستعداد له مادواموا لم يبلغوا درجة الرهبة والرغبة بأن كانوا في مقام القبض والبسط أو الخوف والرجاء ، حتي يقوم كل أخ من إخواننا بما أوجبه الله تعالي وأوجبه رسوله ﴿ ρ وآله﴾ مما هو خير لكل فرد من أفراد المسلمين ، بل وخير لكل حي ، حتي يكون كل أخ ساعياً في خير كل أخ ، وكل أخ لكل أخ كعضو متمم لجسد . وبذلك يتحقق قوله سبحانه وتعالي : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2]

وكن يا أخي منحك الله العناية وإخواننا علي يقين أن أشرار الخلق إذ شهدوا اهل الحق في عزة انخذلوا أمامهم ، وتستروا عن المظاهرة بشرورهم ، وتكلفوا أن يتشبهوا ولو ظاهر بأهل الخير. وقد يكون هذا التكليف بعد هذا طبيعة فيكون المجتمع الإسلامي كما قال الله تعالي : ﴿ كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء {24}تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾[2] وبانخذال أهل الباطل وظهور اهل الحق تقل أو تنمحي المفاسد ، وتكون الهفوة كبيرة يتحاشاها أهل المفاسد أن تقع منهم . ولكن إذا ظهر أهل الضلال على أهل الحق تصبر السنة بدعة ، والكبائر محاسن مألوفة ، والقربات خرافات ، والصلاح بلها وحماقة ، والفجور شرفا ورفعة ، وينكر المعروف ويعرف المنكر نعوذ بالله من ظهور أهل الباطل علي أهل الحق .

و أعلم يا أخى أرشدنى الله وإياك للطريقة المستقيمة التى يكون إمامنا فيها سيدنا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ أن الأخ إذا صدّق بيوم الحساب سهل عليه الرجوع الى الحق ، وهان عليه العمل به ، وخف علي قلبه الاعتراف بجهله وحمقه ومخالفته ولو كان في ذلك رجمه أو قطع يده أو ضياع شرفه وماله ومنـزلته ، لأنه يبيع الفاني بالباقي والدنئ بالعلي ، ويتلذذ بذلك لذة من نال ووصل وفاز واتصل ، فيكون أحيا فضيلة الصدق وجدد سنة الحق وصار إماماً للمتقين بعده ، يقتدي به الصالحون ويأتم به المرشدون . وإذا لم يؤمن بيوم الحساب استصغر كبائره واستعظم صغائر غيره ، واغتر بنفسه حتى يعتقد أنه خير موجود يتجمل ظاهراً أمام الناس ويأتى بأقبح القبائح في خلوته ولا يخاف الرقيب سر قوله تعالي : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) [2] .

**وجوب طاعة الأمير :**

تقدم ذكر الواجب للأمير علي كل فرد من أفراد المسلمين وعلي جماعتهم وذكر الآيات القرآنية المتضمنة ذلك. وأحب أن أورد ما ورد

من الأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع ثم أردفها بما ورد من الأحاديث الحسنة لتنجلي الحقيقة واضحة للعمل بها :

قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾: ﴿ من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصي الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويُتّقىَ به، فإن أمر بتقوي الله وعدل فإن له بذلك أجراً. وإن قال بغيره فإن عليه منه وزرا ﴾[2]

قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ ان أمر عليكم عبد مجدع يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له واطيعوا ﴾[2]

و قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ﴾[2]

**لا طاعة للأمير في معصية الله :**

هذا الحكم الشرعي يجب أن تنكشف حقيقته وتظهر خفاياه ، وقبل أن نورد الأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع نبين ما يجب علي المسلم إذا أمره الأمير بمعصية الله تعالي وبمخالفة سنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ فيما يعتقد ويعلم . ومعلوم أن أحداً من الناس لا يعتقد أنه أحاط بالسنة إلا إذا كان مدعياً ، والعلم كله في جماعة المسلمين كلهم ، وقد تقدم أن الأمير يجب أن يكون أعلم الجماعة وأن يكون أهل خاصته علماء حكماء ، فقد يأمر الأمير واحد من المسلمين بأمر من السنة عند الأمير ومن طاعة الله عنده وهو عند المأمور من معصية الله ومن مخالفة السنة ، وقد يأمره بما هو معصية ومخالفة قصدا فالواجب علي المسلم في هذا الحال أن يلاطف الأمير ملاطفة تجعله واثقاً بإخلاصه ويكتم أسراره ، وأنه يفديه بماله وولده من مضار الدنيا والآخرة ، حتى إذا أنس الأمير به قال له : إني علي قدر علمي أعتقد أن هذا العمل معصية لله تعالي ومخالفة لسنة رسوله

﴿ ρ وآله﴾ ، وإني أعيذ الأمير بالله من هذا فهل لذلك وجه شرعى ، فيبين له الأمير . كما إذا كان فى جهاد فأمر الأمير فرقة من جيشه بالهزيمة أمام العدو والهزيمة من أمام العدو من الكبائر إلا برخصة شرعية ، فعلي الأمير أن يبين له وجه ذلك . وكما لو أمره الأمير بقتل إنسان يعلم أنه تقي صالح وقد علم الأمير بعيونه أنه عين للعدو أو رأس للخوارج أو يسعى فى الأرض بالفساد ، وعلي المأمور أن يسأل الأمير وعلي الأمير إذا علم منه كتم السر أن يبين له ذلك أو يقيله . كما إذا أمر الأمير مسلماً بالكذب في وقت الجهاد وكان المسلم لا يعلم أن الكذب في وقت الجهاد قد يباح، وعليه أن يسأل الأمير وعلي الأمير أن يبين له وجه ذلك. وقد ورد في السنة أن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ أمر بقتل رجل فوجدوه يصلي، وأمر بهدم مسجد الضرار على من فيه، وأمر سيدنا أبا بكر الصديق بقتل رجل سرق، ورخص بعد فتح خيبر لرجل من المهاجرين أن يتكلم فيه ﴿ ρ وآله﴾ لخلاص ماله من مكة وكل ذلك من السنة.

و الأمير خليفة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ إلا إذا أمر بمعصية لا تحتمل التأويل بوجه من الوجوه فالواجب علي المأمور أن لا يطيعه، وعليه عند ذلك أن لا يبيح هذا السر لجماعة المسلمين خشية من تفرقه الكلمة، ولكن عليه أن يظهر له الطاعة إذا كان فى حالة غضب وحدة، ثم ينتهز فرصة زوال حدته ويذكره بأيام الله وبعاقبة معصية الله فيراجعه ولو بلغ ذلك أنه يأمر بقتله، فيكون من خيار الشهداء لأنه قام بالواجب لله تعالي ولرسوله ﴿ ρ وآله﴾ ولولي الأمر، فإن أطاعه في معصية الله أغضب الله تعالي وو أغضب رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، وأعان الظالم وسعي في زوال الإمارة عن الأمير ، واستحق سخط الله تعالي وسلط الله الأمير عليه ، وإن خالفه وخرج مشيعاً تلك الفاحشة أمام المسلمين حتى أوجد في المسلمين روح الخروج عليه ومحاربته كان كمن فتح باب شر علي المسلمين ، وليس من ضرب ظهرك وأخذ مالك أمرك بمعصية الله ولكن عصي الله فيك ، فعليك أن تستر

هذا ستراً لعورات المسلمين وحفظاً لقلوبهم من التفرقة . وفي هذا الإجمال تفصيل لذي اللب . قال ﴿ ρ وآله﴾ : ( السمع والطاعة علي المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يُؤمر بمعصية ، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة )[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ لا طاعة في معصية ، إنما الطاعة في المعروف ﴾[2] وعن عبادة بن الصامت قال: ﴿ بايعنا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ علي السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا ، وعلي أن لا ننازع الأمر أهله ، وعلي أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم )[2] . وفي رواية : ﴿ علي أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحا ﴾ [ أي مجاهراً به ] عندكم من الله فيه برهان .

**لا طاعة علي المسلم للأمير إلا فيما استطاع :**

عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالي عنهما قال : ﴿كنا إذا بايعنا رسـول الله ﴿ ρ وآله﴾ علي السمع والطاعة يقول لنا : (( فيما استطعتم ))[2][2]

يظهر من هذا الحديث الشريف تقرير أصل من أصول الدين ، وهو أن شرط القيام بتأدية كل حكم من أحكام الشرع القدرة علي عمله ، سر قوله سبحانه وتعالي : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[2] فلو أن الأمير أمر مسلما بما لا قدرة له عليه وخالف أمره يكون مطيعاً لله تعالي ولرسوله ﴿ ρ وآله﴾ ، ولكن يجب عليه أن لا يجعل ذلك سببا لإشاعة الشر بين المسلمين علي إمامهم .

**مفارقة الجماعة مفارقة للدين والخروج علي الإمام خروج من الدين :**

قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ من رأي من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية ﴾[2] وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ﴿ من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب

لعصبية أو يدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقتل ، قتل قتلة جاهلية ، ومن خرج علي أمتي بسيفه يضرب بَرَّها وفاجَرها ، ولا يتحاشي من مؤمنها ، ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه ﴾ .

**الصبر علي الإمام الظلوم خير من فتنة تدوم:**

عن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾: ﴿ خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ،وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ، قال : قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، إلا من ولي عليه وال فرآه يأتى شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ، ولا ينزعن يدا من طاعة الله ﴾[2]
.

عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ﴿ يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد بَرِىء ومن كره فقد سَلم ، ولكن من رضي وتابع ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلُّوا لا ، ما صلُّواَ ﴾ [2] يعنى من كره بقلبه وأنكر بلسانه . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه تبارك وتعالى عندهما قال : قال لنا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إنكم سترون بعدى أثرة وأموراً تنكرونها ، قالوا فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم ﴾ [2] قال : وسأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ فقال : ﴿ يا نبىّ الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا؟ قال : اسمعوا وأطيعوا فإن عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم ﴾هذه الأحاديث الصحيحة وإن اختلفت ألفاظها فقد أتحدت مدلولاتها ، وإن كان في كل حديث من أسرار الحكمة ما لا تفي العبارة بها إلا أننا نأخذ منها حُكما شرعيا فى موضوعنا هذا وهو أن الواجب علي كل فرد منا وعلي جماعتنا الصبر على جفوة الإمام وهفواته ، والابتهال إلي الله أن يصلح أحواله ومستقبله ، وأن يريح المسلمين من شره من غير أن يفتح باب من أبواب الشر عليهم ، ولم يكن ذلك كله إلا خشية أن يقوم

بعض أفراد المسلمين أو جماعتهم برد الإمام عن ظلمه بالقوة فيقاتلهم بالمثل فيزول سلطان المسلمين ، ويتمكن منهم أعداؤهم .

و صبر المسلمين علي جفوة الإمام وظلمه مع حفظ دينهم ودنياهم إجمالا ، ومع أن الإمام منهم ولو كان ظالماً غاشماً يؤدي إلي زوال الشر عن المسلمين ، إما بتوبة الإمام ورجوعه إلي الحق عندما يذكره الأتقياء أو بموته وتولية غيره فيتغير الحال بتغيره ، وإذا لم يصبروا عليه وخرجوا عليه فإنه يدافع عن نفسه بما لديه من القوة فتسل سيوف المسلمين علي المسلمين ، و فى ذلك ما فيه من غضب رب العالمين ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، وتكون النتيجة التجاء أخدهما إلى عدو غشاش يعين أحدهما على الآخر حتي يتمكن من جماعة المسلمين فيمحوا معالم الدين ، ويغير سنن المسلمين ، وربما قهرهم علي الكفر بعد الإيمان بالقوة التى تجعلهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، أو يغير مدينتهم المؤسسة علي الكتاب والسنة وحضارتهم القائمة علي الحق والعدل والمساواة كما بين في سنن الأئمة الهادين بمدنية المدن الضالة الفاسقة وحضارتها وحضارة المدن الجاهلية الماحقة .

وليست الحوادث التى حدثت بين الإمام والأمة فأنتجت تلك النتائج الضارة وبدلت معالم الحق وأنواره بظلمات الباطل وأضراره والفضيلة الشرعية بالرذائل البهيمية الشيطانية بقليلة ، كل هذا الأمر العظيم نتج من أمر صغير هو عدم صبر المسلم علي جفوة الأمير ، وعدم تواضع الإمام وإعطائه الحق من نفسه لرعيته ، ولكن ترك الصبر من المسلم وإعجاب الإمام برأيه واتباعه هواه وإطاعته الشح صيرت الملك صعلوكاً مملوكاً والرعية العزيزة بإمامها همجا رعاعا ، ولذلك فقد حذرنا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ في هذه الأحاديث الصحيحة من عدم الصبر علي الإمام ، ونهانا عن الخروج عليه ، وأمرنا ﴿ ρ وآله﴾ بالدعاء له ليدوم سلطان المسلمين وتبقي كلمة الله هي العليا :

فانظر يا أخي بعين البصير الناقد في هذا الأمر الخطير ، وإياك أن تدفعك العزة بالاثم فتستعظم الجفوة من الإمام أو الأذية منه في نفسك أو مالك او ولدك ، فينفخ فيك شيطان الغرور فتسعى فى تمزيق جماعة المسلمين وإضعاف سلطانهم ، وتسعي في الاستنصار بغير المسلمين والاستعانة بغير المؤمنين ، أو تجعل لك عصبة ممن لا خلاق لهم أهل المطامع في الدنيا والشوق إلى الرياسات ، وتقوم فتخرج علي الإمام . وقد علمت يا أخى أن الخوارج كلاب النار ، فالواجب علينا جماعة المسلمين أن نتمسك بقول رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، وأن نصبر على جفوة الأمراء ، حتى إذا صبرنا ودعونا الله تعالي نظر الله إلينا فولي الأمور خيارنا ، قال الله تعالي : (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ :﴿ كما تكونوا يُوَلَّ عليكم ﴾ . وفى هذه الأحاديث المتقدمة من غوامض الحكمة ما لا يسعه هذا المختصر إذ ليست من مقاصده ، وستأتي الإشارة إليها في كتاب آخر إن شاء الله تعالي ، والله سبحانه أسأل ان يجعلنا جميعاً من أهل الخير والفلاح ، وأن يجدد بنا السنة ويعلي بنا الكلمة إنه مجيب الدعاء .

**الخروج من طاعة السلطان خروج عن المحجة ورفض البيعة رفض للإيمان :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ :

﴿ من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ﴾[2] عن إبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﴿ ρ وآله﴾ قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيَ ، وأنه لا نبي بعدي ، سيكون خلفاء فيكثرون ، قالوا فما تأمرنا ؟ قال : فُوا بَيْعَةَ الأوّل فالأول ، أعطوهم حقهم فإن الله تعالي سائلهم عما استرعاهم﴾ [2] .

هذان الحديثان الصحيحان يعِّينان علي كل مسلم أن لا يخرج عن بيعة الإمام وأن لا يعيش نَفَساً بدون الإمام، فإن الخروج عن طاعة الإمام ورفض البيعة مخالفة لأمر الله تعالي وأمر رسوله ﴿ ρ وآله﴾، وفتح لأبواب الشرور علي المسلمين، وإيقاد لنيران العداوة والبغضاء ، ومحاربة لله ولرسوله. وليس من مسلم يؤمن بالله ورسوله ويؤمن بيوم الحساب يسعي في مضرة فرد واحد من أفراد المسلمين لينفع نفسه، فكيف يسعي في محو الإسلام والمسلمين ؟ أسأل الله تعالى أن يحفظنا من التفرقة ومن الخروج من الطاعة والخروج علي الجماعة.
وفي الحديث الحسن قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾: ﴿ آمركم بخمس : بالجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله ، وإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ، ومن دعا بدعوي الجاهلية فهو من جثاء جهنم وإن صام وصلي وزعم أنه مسلم ﴾[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله ﴾[2] .

**الإمام لا يكون إلا واحدا شرعا :**

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منها ﴾ . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( إنه سيكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان ﴾[2] . وقال ﴿ ρ وآله﴾ ﴿ من أتاكم وأمْرُكُمْ جميع علي رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر ﴾[2] .

هذه الأحاديث الصحيحة تبين لنا ما يجب العمل به فيما إذا ظهر من ينازع في الخلافة أو يدعيها لنفسه بعد تنصيب الإمام واجتماع كلمة المسلمين عليه ، وتعين علينا جماعة المسلمين أن نقتل الآخر إذا

توفرت تلك الشروط ، ومنه يظهر أن من أعان الخارج كان مثله يجب قتله حدًّا . وأما من خرج ضرارا وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله أو معينا لعدو كافر ليوليه الإمارة أو لعصبية وانتقام قتل كفرا .

و لا يعلم قدر المفاسد والمضار التى تحصل لجماعة المسلمين بالإهمال في قتله إلا الله سبحانه وتعالي. فالواجب علينا جميعاً أن تنفذا أحكام الله ورسوله بكل شدة، ولاتأخذنا رأفة في دين الله علي الفاسقين الخوارج، والله سبحانه وتعالي أسأل ان يودنا بوده الذي وَدَّ به أهل محبته.

**إنما يُؤَمَّرُ مَنْ أُكْرِهْ عليها لا من طلبها :**

لو أن جماعة المسلمين سلكوا مسلك الأئمة الهداة فى اختيار الإمام كما فعل سيدنا ومولانا أبو بكر الصديق إذ اختار سيدنا ومولانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبين لهم بالدلائل البرهانيه وجه اختياره له حتي اطمأنت القلوب ، وكما جعلها عمر بن الخطاب لعدد من الصحابة شورى بينهم وجعل ابنه من أهل الشوري وليست له الإمامه ، وكما أجمع أهل الشورى على إمامة سيدنا علي بن أبى طالب عليه السلام وهو كاره لها ، لدام الأمر علي ما كان عليه ، ولا نتشر الإسلام حتى دخل فيه جميع سكان الأرض . ولكن الإمامة صارت حظاً في النفوس يختص به الرجل وولده أو أخاه، ويقهر جملعة المسلمين علي البيعة له، فيكون القائم بالأمر معتقداً أن المسلمين لم يرضوا له إلا بالقهر فيتحرز منهم ويخشي علي نفسه من غدرهم ويشغل وقته بالكيد لهم، حتي يتمكن منه عدوه على غرة منه. وقد سري هذا البلاء حتي أصبحت وظائف القضاء وحماية الثغور وقيادة الجيوش وإمارة الخراج تطلب ببذل المال والجاه والعرض والدين، فيتعلم الولد من صغره ليكون قاضياً في كبره، ويشب ومعه تلك الغاية فيسعي لنوالها من الأمير برمي القائم بها أو بالتشنيع عليه

أو بالكذب عليه أو بدعوي أنه عدو للأمير حتي يتولي هذا المنصب جاهلاً بقدر تبعاته، ويحكم في دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بحظه، فما يتلذذ بالرياسة إلا ريثما يسلط الله عليه آخر بنتقم الله به منه ، وينتقم الله من الظالم بالظالم وهذا عقابه العاجل له في الدنيا وفي الآخرة عذاب شديد . فالواجب علي إمام المسلمين وعلي جماعتهم أن لا يولوا ولاية قضاء أو جباية أو حماية ثغور أو إمارة جيوش إلا من كان أهلاً ومحلاً، وأكره عليها وفر منها خوفاً من الله تعالي أن لا يحسن القيام بها، كما حصل ذلك لأئمة السلف الصالح ،فكم ضُرِبَ عالم وكم عُذِّبَ تقيّ ليتولى وفر منها.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ( إنكم ستحرصون علي الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ) [2] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله ألا تستعلمني ؟ قال : فضرب بيده علي منكبي ثم قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ يا أبا ذر إنك ضعيف و إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدي الذي عليه فيها ﴾ [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ يا أبا ذر غنى أراك ضعيفا وإنى أحب لك ما احب لنفسي ، لا تُؤَمَّرَنَّ علي اثنين ولا تُوَلَّيَنَّ مال يتيم ﴾ .

و عن أبى موسي رضي الله عنه قال : د خلت علي النبي ﴿ ρ وآله﴾ أنا ورجلان من بني عمي فقالا : أمِّرْنَا علي بعض ماولاك ، فقال : ( إنَّا واللهِ لا نولى علي هذا العمل احداً سأله ولا احد حرص عليه ) [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( لا نستعمل علي عملنا من أراده ) [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ تجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه ﴾ [2] وقال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ ألا كلكم راع وكلكلم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذي علي الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع علي أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية

علي بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم ـ وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ﴾[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾: ﴿ ما من وال يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة ﴾[2] . و قال ﴿ ρ وآله﴾ ﴿ ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة ﴾[2] . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إن شر الرعاة الحطمة﴾[2]. وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به ﴾[2] .

**سعادة الإمام المقسط :**

معلوم أن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ خاتم الأنبياء فلا نبيّ بعده يسوس الناس ، ولكن الله تعالي من جماعة المسلمين بأن أبقى فيهم اسرار النبوة وورثهم أنوراها ، وأقام لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ أبدالا يقومون بحجة الله ويجددون سنة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ منهم الإمام الأعظم ، فإذا كملت معانيه وصحت مبانيه كان هو الصورة المحمدية الكاملة والخليفة الحقيقى لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ وخليفة ربنا سبحانه وتعالي في أرضه ، وهي أشرف المقامات بعد الرسالة وأجل المنازل بعد النبوة ، بها طهارة النفس وتزكيتها والمنافسة في نوال القرب من حضرة القدس ، والحظوة لدي رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، حتي قد يبلغ درجة من الكمالات النفسية إلي ان تكون مخالفة أمره من أكبر الكبائر لأنه قام مقام رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، ويكون اجتهاده حقاً واستنباطه حقا وعمله سنة يقتدي بها ، فلا يعلم إلا الله ما أخفي له من قرة أعين وما أعده الله له من عظيم الفضل وجزيل الثواب . قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ في الحديث الصحيح : ﴿ إن المقسطين عند الله علي منابِرَ من نور عن يمين الرحْمن – وكلتا يديه يمين – الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا ﴾[2]

**تحرز الأمام من بطانة السوء :**
اعلم يا أخى يا أخى منحنى الله وإياك الإخلاص لذاته والصدق فى معاملته سبحانه، وأن الخليفة لادنيا إلا عنده ولا دين إلا به ، والناس قسمان : طالب دنيا وطالب دين . وأشد الناس طمعاً في الدنيا لا يطلبها إلا عند الإمام ، وأشد الناس حرصاً علي الدين لا يطلبه إلا بالإمام . ولذلك ترى أشد الناس حرصاً علي الدنيا يبذلون النفس والنفيس في التقرب منه ، وأحرص الناس علي الدين يهتمون بشأنه للنصيحة وتجديد السنة وإعلاء الكلمة به .

و معلوم أن أهل الدنيا يتجملون للسلطان بما يحب إن بالدين وإن بالدنيا فيخفي عليه أهل الحق ، فربما ظن الخير فى أهل الشر فأفسدوا عليه ملكه وفتحوا عليه أبواب الفتن والشرور ، وربما ظن الشر فى أهل الخير فأبعد عن نفسه الخير ، وكل ذلك من عدم رويته في الأمور وبحثه عن خفايا كل أمر ، وجهله بمقاصد أهل الشرور الذين يسمعونه ما يحب ويعينونه علي ما يهوي ، ويظهرون له الحب في ذاته والسعي في تقوية سلطانه فيغتر بهم وينفر من أهل النصيحة المخلصين ، فيكون عاقبة ذلك فساد الراعى والرعية وتفرق الجماعة . وأما إذا كان السلطان حذراً يقظاً أبعد أهل المطامع الأشرار وقرب الحكماء الأخيار واقتدي بهم ، فصلح الرعي والرعية وكان الله مع الحميع وأغدق نعمه وفضله ، قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ ما بَعَثَ الله من نبيّ ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان ، بطانة ، بطانه تأمره بالمعروف وتحضه عليه ن وبطانه تأمره بالشر وتحضه عليه ، و المعصوم مَنْ عَصَمَةُ الله ﴾

**هول يوم القيامة علي السلطان المخالف :**
قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتي يفك عنه العدل أو يوبقه الجور ﴾ . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ ويل للأمراء ، ويل للعرفاء ، ويل الأمناء ، وليتمنين أقوام يوم القيامة أن

نواصيهم معلقة بالثريا يتجلجلون بين السماء والأرض وأنهم لم يلوا عمـــــــــــــــلا ﴾[2] وقـــــــــــــال ﴿ ρ وآلـــــــــــــــه﴾ :
﴿ إن العرافة حق ولابد للناس من عرفاء ، ولكن العرفاء في النار ﴾[2]
وقـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــال
﴿ ρ وآله﴾:لكعب بن عذرة : ﴿ أعيذك بالله من إمارة السفهاء ، قال : ومـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا
ذاك يارسول الله ؟ قال : أمراء سيكونون من بعدي من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم علي ظلمهم فليسوا مني ولست منهم ولم يَرِدُوا عليّ الحوض ، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم علي ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وأولئك يَرِدُونَ على الحوض ﴾

إذا كان المصدق لهم بكذبهم المعين لهم ليس من رسول الله ولا يرد عليه الحوض فكيف بنفس الأمراء . أعوذ بالله من إمارة تبعد عن الله ورســـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــوله
﴿ ρ وآله﴾ . عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ضرب علي منكبيه ثم قال : ( أفلحت يا مقدام إن مت ولم تكن أميراً ولا كتاتباً ولا عريفا﴾[2] عن عقبة بن عامر قال: قال النبى ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلي الله يوم القيامة وأشدهم عذابا – ويروي وأبعدهم منه مجلسا – إمام جائر﴾ [2]

**آداب عمومية للراعي والرعية وردت في أحاديث حسان :**
عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﴿ ρ وآله﴾ قال : ﴿ من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السطان افتتن – ويروي ومن لزم السلطان افتتن – وما ازاداد عبد من السلطان دُنُوًّا الا ازداد من الله بعدا ﴾[2] وعن عقبة ابن عامر قال : قال النبى ﴿ ρ وآله﴾ :(لا يدخل الجنة صاحب مَكْس) يعنى الذى يعشر الناس .وقال ﴿ ρ وآله﴾

﴿ أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سطان جائر ﴾[2] وعن أبى إمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﴿ ρ وآله﴾ قال :﴿ إن الأمير إذا ابتغي الريبة في الناس أفسدهم ﴾ [2]و عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ يقول : ﴿ إنك إذا اتبعت عورات الناس أفسدتهم ﴾ [2] عن أبى ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ كيف انتم وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيئ ؟ قلت أما والذي بعثك بالحق اضع سيفي علي عاتقي ثم أضرب به حتى ألقاء ، قال ﴿ ρ وآله﴾ : أَوَلا أدلك علي خير من ذلك ؟ تصبر حتي تلقاني ﴾[2]

# الفصل الثالث
# الواجبات العامة
# أولاً : واجبات العلماء

أيها العلماء الحكماء الأتقياء أنتم ورثة رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، وسرج الدنيا ومصابيح الآخرة ، يأمن الناس يوم القيامة وتخافون لأنكم مسئولون ، ويفزع الناس في الدنيا وأنتم حصون الأمن لأنكم النور المبين للهدي الماحي للضلال . الملوك ملوك علي الناس وأنتم ملوك عليهم إليكم يرجعون وبكم يقتدون وبمشورتكم يعملون ، فعظموا العلم بالزهد في الدنيا وتحقيرها والرغبة في الآخرة والعمل لها ، ولا تتشوفوا إلى السيادة الفانية والرياسة المفسدة وارضوا بالقليل من الدنيا لتتمكنوا من عمل الخير العام للمسلمين . فإنكم إذا عظمتم الله ورسوله وعظمتم شعائر الله سبحانه وتعالي ،و أقبلتم بكليتكم علي الحق محقرين لزهرة الدنيا وبهجتها ، جملكم الله بحلل العزة والجلال

والهيبة والوقار ، فخضعت لكم الأمراء وأطاعتكم الرعية ، فكنتم حجة الله علي عبادة ، بكم تعلو كلمته وتجدد سنته . وإذا غرتكم الدنيا وقادكم الحظ والهوي هوي بكم إلي هوة الذل ، فخلت الأرض من قائم لله بحجة وعملتم بالرأي والهوى فضللتم وأضللتم وهلكتم وأهلكتم وكان إثم ذلك عليكم فاحفظوا الله يحفظكم واحفظوا الله تجدوه أمامكم . كونوا مع الله تروا الله معكم.

و اقتدوا بإخوانكم العلماء الذين سبقوكم بالإيمان فإنهم كتبوا لأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب يعظونه ويحذرونه ، وكان من تعلمون مكانته من الله ورسوله ﴿ ρ وآله﴾ فمدحهم وأثنى عليهم . وهكذا كان العالم من أمة محمد ﴿ ρ وآله﴾ في السلف ينطق بالحق أمام الخليفة لا يخشي في الله لومة لائم ، فكان سيدنا عمر بن الخطاب يعارض سيدنا أبا بكر . وكان المسلم يقف أمام عمر رضي الله عنه ويقول له : لو انحرفت عن السنة لقطعنا رأسك . وكانت العالمة من النساء تدخل علي سيدنا معاوية فتتكلم معه حتي تبكيه. وكتب محمد بن سهل لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما يعظه مشدداً. ووقف ابن جريج أمام أبي جعفر المنصور فذمه وشنع عليه ورماه بالظلم والجور، وفضيل بن عياض رضي الله عنه كلم أمير المؤمنين هارون حتي أبكاه. وكان العلماء في كل عصر أمراء علي الملوك يسعي الملك إليهم صاغراً. حتي صار العلم آلة لجمع الدنيا ووسيلة للسيادة وسلَما للرياسة، وكيف لا وكان السلف رضوان الله عنهم يضربون علي الولاية ويفرون منها ، ويرضي العالم أن يكون خوّاصا أو خرّازا لِيُجْهَلَ عند الأمراء خوفا علي نفسه من الفتنة، وأصبحنا وطالب العلم يفتتح طلبه بنية أن يكون قاضياً أو واليا أو قائدا، ولذلك دُرست آثار السنة وخفيت طريق الهداية، كل ذلك لإهمال العلماء في واجباتهم وتهاونهم في القيام بما فرض عليهم.

و قد كاد النور أن يطفأ لولا بقية ثقة بالله، وأمل في البقية الباقية من صالح عباد الله تعالي.

فيا أيها العلماء لو رضيتم بالفقر فى الدنيا لتحيوا سنن الله أغناكم الله في الدنيا والآخرة ، ولو زهدتم في الدنيا لتجددوا سنن رسول الله ( ρ وآله) أقبلت عليكم الدنيا صاغرة ، فقوموا بواجبكم وارفعوا أصواتكم بالنصيحة لخاصة المسلمين وعامتهم ولأولى الأمر منكم ، وإن منعوكم ذلك فاكتبوا لهم معتصمين بالله ، معتقدين أن رضاء الله خير من الدنيا وما فيها ، فإن في ذلك عز للمسلمين وقوة لسلطانهم وسعادتكم في الدنيا والآخرة ، واحذروا قوله تعالي : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (2) وتجملوا بحقيقة قوله تعالي : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ (2) واعلموا أن جهادكم أكبر من جهاد الجيوش الفاتحة ، وما يستفيده المسلمون منكم خير من غنائم الأكاسرة والقياصرة ، والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه من العلم والعمل آمين .

**ثانياً : واجبات التجار**

أيها التجار أنتم أمناء الله في أرضه، والجالبون الخير لعباده ، وكنوز المسلمين عند الحاجة ، وحصونهم عند الداعي ، تجلبون لهم النافع من الميرة والذخيرة وضروريات الحياة وكمالياتها مما أباحه الله سبحانه ، وتصدّرون ما زاد عنهم إلي البلاد الأخري لتنمية أموالهم ، وأنتم رواد الإسلام وناشروا أنواره بين الأمم الذين لهم يهدهم الله لدينه . بكم تنتشر فضائل الإسلام وتحمي ثغوره وتعلم كمالاته بما جملكم الله به من الصدق والأمانة والوفاء ، وما منحكم الله من الحب لدينه والرغبة في تذكير الخلق لفضائله . وبكم يعلم أمراء المسلمين أسرار داخلية الأمم الأخري وعوائدهم وأخلاقهم والوجوه التى يؤلفهم بها

الأمير أو يفاجئهم. فإذا شغلكم حظ العاجلة عما أوجبه الله عليكم من الحقوق أبدلتم الوفاء بالغدر ، والأمانة بالخيانة ، والصدق بالكذب ، والنصيحة بالغش ، والاشتغال بنشر فضائل الدين بحب غير المسلمين ومدحهم ، فيسلب الله البركة من أيدي من يتصفون بتلك الصفات ويذهب الصناعة من بلادهم ، ويجعل ذلك في أيدي أعدائهم تعجيلا للعقوبة منهم في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقي . فاسترجعوا أيها التجار مجدكم القديم ، وعاهدوا الله ورسوله ﴿ ρ وآله﴾ أن تقوموا بالواجب عليكم لإخوانكم المسلمين ، وتجعلوا التجارة تجارة رابحة لن تبور تنالون بها سعادة الدنيا والآخرة ، ولا يكون ذلك إلا بالاخلاص لله ورسوله ﴿ ρ وآله﴾ والنصح لخاصة المسلمين وعامتهم والعمل لتقوية سلطان المسلمين ، والله سبحانه يجملنا بواسع فضله ويمنحنا الهداية إلي الصراط المستقيم .

**ثالثاً : واجبات الصناع**

أنتم الأيدى العاملة لخير المسلمين . أبدانكم متعبة لسعادتهم ، وأفكاركم مشغولة لراحتهم ينامون وأنتم تسهرون ، ويستريحون وأنتم تتعبون ، ويفرحون بالرياسات والفتوحات والغنائم وأنتم في أعمالكم دائبون ، ولو تفكر السلطان علي سريره والأمير علي منصته والوالي علي رعيته والتاجر في بهجته والمزارع في روضته والمسافر في البر والبحر في راحته ، والعالم بين كتابه ومحبرته ، والمثري في شاهق قصره ، لتحقق أن تلك النعمة أنعم الله بها علي الكل علي يدك أيها الصانع المسكين تتعب فكرك لتخترع ما به راحة أمتك وإعلاء كلمة ربك وإحياء سنة نبيك ونمو ثروة إخوانك ، وتتعب يديك وبدنك لتقيهم ضرر الحر والبرد ، فأنت ولا شك نعمة الله علي المسلمين لخير الدنيا والآخرة . أحل الرزق رزقك وأطيب الطعام طعامك ، سيأتى عليك يوم يخاف الناس وأنت آمن ، ويحزن الناس وأنت فرح ، ويعذب الناس وأنت متنعم ، ولا يكون ذلك إلا إذا أسهرت طرفك فيما نَفْعُهُ عامُ وخيرُه عام للدين والدنيا مما به قوة السلطان وضعف

الأعداء وثروة الإخوان وراحة الأبدان . فاعمل فعملُك لله ، واجتهد ولا تهمل فى عملك فإن إهمالك فى عملك وتهاونك بإتقانه بذهب عزة المسلمين ويمكن منهم أعدائهم ، ويجعل إخوانك المسلمين يرغبون فى صنائع أعدائهم فيحبونهم ويقلدونهم ويرغبون فيهم ، فيكون ذلك ضياعا لسلطان المسلمين ولأموالهم وفساداً في الدين . فأتقن عملك وانصح ، واجتهد أن ترغب إخوانك في صنائع بلادهم بما تخترعه وما تتقنه والله ولي ووليِّك وهو حسبي ونعم الوكيل .

و كما أقامك الله عاملاً به حفظ ثغور المسلمين وطيب حياتهم ، فاجعل لك أيها الصانع وقتا تشكر فيه ربك علي ما من عليك به من الأعمال النافعة لجميع إخوانك المسلمين ، وتجالس فيه أهل العلم والتقوي لتنال سعادة الدنيا والآخرة . ولكنك يا أخي إذا كنت بياض نهارك بين الصناع ، وفي وقت فضائك في مجتمعات اللهو والغفلة أو مع زوجتك وأولادك ، ولم تجالس العلماء وأهل التقوي الذين تتعلم منهم الإخلاص في العمل وحسن النية في أعمال الدنيا لله رب العالمين حتى تكون صناعتك التى تعملها للدنيا نافعة لك يوم القيامة فتفوز بسعادة الدنيا والآخرة جميعاً ، كانت تلك المنافع العامة التى تقدمها لجماعة المسلمين لا أجر لها يوم القيامة . لأن ثواب يوم القيامة إنما يكون لعمل قصد به وجه الله تعالي ، ولا يقصد العامل وجه الله تعالي إلا إذا كان عالماً والله سبحانه وتعالي يمنح الصناع الرغبة في العلم النافع .

**رابعاً : واجبات المزارعين :**

أيها الفلاح أنت الذي يخرج الله علي يدك خبايا الأرض وخفي كنوزها مما به غذاء الأبدان الحية وما به الأثاث والزينة والرياش . أقامك الله مقام العامل لنفع الكائنات الحية من أنواع النباتات والحيوانات ، ولولاك أيها المسكين لجاعت الأبدان وفترت الأفكار . فما من زينة ظهرت ولا آلة اخترعت ولا أمن استتب ولا معارف ولا علوم نشرت

ولا فنون شهرت ولا مساجد شيدت لعبادة الله ولا لذة فرح بها إلا بعد الراحة من الجوع والعري ، ولا راحة منهما إلا بعملك الذي أقامك الله فيه وأمدك بالقوة المعينة لك عليه ، فأنت مصدر كل خير وراحة وهناءة لجماعة المسلمين ، إذا قمت بواجبك حق قيامك توفرت العدة والعدد وتجددت سنن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، وعمرت مساجد الله سبحانه وتعالي وكثر شاكروه وذاكروه سبحانه . أقامك الله في عمل يشهد فيه العامل آثار قدرة القادر وآيات حكمة الحكيم ، تقوم يا أخي فتشق الأرض فيصب الله الماء صبا إما من السماء أو من النهار أو من العيون ثم تتوجه إلى بيتك وقد وضعت حبة من الجماد ميتة في أرض ميتة ولا قدرة لك علي غير ذلك ، فتصبح يا أخي فتري الأرض اهتزت وربت واكتست بحلة سندسية ونما نباتها وأزهر ، تشهد ذلك صباح مساء ، وتشاهد من غرائب صنع ربك سبحانه وآثار رحمته مالا يشهده غيرك من بني الإنسان ، ثم تدعي يا أخي أنك زرعت وتعبت وعملت وعملت ، ثم تبخل بحقوق الله وتدعي أن ذلك ملكك جهلاً منك بالواجب عليك لربك المنعم ، ونسيانا بوصايا نبيك ﴿ ρ وآله﴾ الرءوف الرحيم عليك . ينتج من ذلك ما تراه بعينك ، تري الحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فكأن ربحك في الواحدة سبعمائة ، ولكن البركة نزعت من العمل فكأنك أيها الفلاح مع شهودك تلك البركات والخيرات لم تعمل شيئاً ، وذلك لأنك تسهر الليل والنهار في العمل الشاق ولا تعود لأهلك إلا بالخشن من اللباس والردىء من الطعام .

لِمَ ذلك أيها الفلاح وأنت تَفتَح كنوز الأرض وتستخرج خباياها ؟ أنبهك إلي سبب ذلك لعلك تنتبه فتعود لك البركة وتفاض عليك الخيرات : ذلك لأنك تشهد آثار قدرة ربك وبديع صنعه وغريب آياته لتتذكر فتذكر وتشكر ، فتنسي وتغفل وتجعل العمل إمالك أو للحاكم الذي أعانك بالماء أو الجسور . تنبه يا أخي : هل الحاكم أجري لك الأنهار وأنزل تلك الأمطار وأوجد لك الأرض خصبة سهلة ؟ تضيع

الوقت في شكر الحاكم وذكره ، فاحذر يا أخى أن ينتج نسيانك ربك إمساك السماء ماءها والأرض نباتها ، وتنتشر جنود ربك في المزروعات فتفسدها وفى الأنهار فتغيرها ، فإن الله غيور أن يهب نعمته لعبد يشكر غيره أو يمن علي عبد يذكر غيره . أيها الفلاح تضر زراعة جارك لتنفع زراعتك ، وتضيق أرضه لتوسع أرضك ، وتحرم الورثة من الميراث لتكثر أطيانك ، وتظن أنه يبارك لك في مالك أو بدنك أو أهلك أو زراعتك ، وجهلت طريق البركة وسبيل النعمة ، أتغضب ربك ويبارك لك ؟ أو تسخطه ويعينك ؟ وتحزن الناس بسلب أموالهم وظلمهم وتظن أنك تفرح في الدنيا أو الآخرة ؟ لذاك تري الفلاح الذي يعمل هذه الأعمال شقي الجسم والفكر في الدنيا فإن تاب وأقلع وأصلح عملا تاب الله عليه وسعد في الدنيا والآخرة . وإن دام علي ذلك فلا يعلم عاقبة أمره في الآخرة إلا الله تعالي . فتنبه أيها الفلاح الذي جعله الله مصدراً للخيرات ويداً عاملة لجلب المسرات ودفع المضرات إلي مقامك في الوجود ، ومنزلتك بين إخوانك واشكر ربك على ما أولاك يبارك لك ويتولاك ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

**خامساً : الواجب للوالدين :**

لست في مقام تقرير حقيقة خفية ولكنها ثابتة شرعا وعقلا ، وجلية تؤثر علي القلوب والحواس تأثيرا يؤدى الى الانفعال النفساني والجسماني بالعواطف والاعتقاد والانقياد وبالغيرة والحمية . ما لي وللتكلم في واجب فطرت علي مراعاته النفوس الكريمة !! وجبلت علي القيام به العقول السليمة ، حتي صار من المقرر عقلاً وعادة أن الولد إذا لم يقيم لوالديه فيما من شأنه أن يقوم به أهل العواطف ظلم أمه . وسمعت أن بعض أولياء الله المتوسمين جلس في مجلس فرأي رجلاً يؤذي والده فذم الناس أم العاق ، فقال الولي : الولد من ظهر أبيه إلا أن أباه كثير الحلف بالطلاق . فيظهر من هذا ان المرأه إذا

حفظت فرجها وحفظ الرجل لسانه من يمين الفسق وبطنه من الحرام رزقه الله بأولاد بررة يكونون له كعينه ويديه ورجليه .

و يعيشك أيها الأخ هل تتصور أن إنسانا عاقلاً يتوهم أن اليد اليمنى تضر اليسري أو تضر الرأس أو العين وهي جزء من الجسد ؟ لا شك أنك تقول لا ! لا أتصور ذلك ، إذا فكيف تتصور أن خلاصة الجسد وصورته الحقيقية بل وثمرة شجرته تؤذي الأصل ؟ إلا أن تكون من أصل آخر لا يجمعها عليه أصول دانية ولا عالية . فالولد العاق إما أن يكون من حرام عملا أو غذاء أو قولا ، لأن الولد زهرة الشجرة التى هي الوالد والوالدة . والوالد والوالدة هما مظهر الشفقة والرحمة والحنان والبر والإمداد والإيجاد الإلهي ، ولذلك فقد أوجب الله الشكر لهما ، وجعل رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ الجنة تحت أقدام الأمهات وجعل الوالد علي باب الجنة . قال سبحانه وتعالي : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا﴾ (2) وقال الله تعالي : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسنا ﴾ (2) وقال سبحانه وتعالي : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (2) وقال سبحانه وتعالي : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(2) .

و قال ﴿ ρ وآله﴾ في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل : يارسول الله مَنْ أَحَقُ بحُسن صحابتى ؟﴿ قال : أمك ، ثم أمك ، ثم أبوك، ثم أمك ﴾(2) وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ رغم أنفه ، رغم أنفه ، رغم أنفه ، قيل من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عنده الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة ﴾(2) وعن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها أنها قالت : قِدمت عليَّ أمى وهي مشركة في عهد قريش فقلت : يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصِلُها ؟ قال : ﴿ نعم ، صليها ﴾ (2) . وفي الحديث الحسن عن رسول الله

﴿ ρ وآلـه﴾ أنـه قـال :﴿ رضـا الـرب فـي رضـا الوالـد وسـخط الـرب فـي سخط الوالد﴾ [2] وعـن أبـى الـدرداء رضــي الله عنـه أنـه قـال : سـمعت النبي ﴿ ρ وآله﴾ يقول : ﴿ الوالد أوسط أبـواب الجنـة فـإن شئت فحـافظ علي الباب او ضـيع ﴾[2] هذه الآيـات القرآنيـة والأحاديث الشريفة قد بينت لنا حقوق الوالدين وشرحت لنا مقدار السعادة التى تنالها ببرهاما والشقاء الذي يناله العاق .

**من كمال البر للوالدين :**

و من كمال البر أن تبذل مالك وتحفظ مـا لهمـا ، وتأكل بعد أكلهمـا ، وتنام بعد نومهما ، وتلبس بعد لبسهما ، وتجتهد أن تعمل مـا يسرهما ولـو كـان كـافرين ، حتـى لـو طلبـاً منـك أن تسقيهما الخمـر فاسقهما ، وعليك أن لا تخالفهما إلا إن جاهداك علي أن تشرك بالله مـا لـيس لـك به علم فالواجب عليك أن لا تطيعهما كما قال : ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [2] وإيـاك أن يـدفعك الطمـع فتـوفر مالـك وتنفـق مـن مـا لهمـا أو تـأخذ مـن مالهمـا شـيئا تـدخره لنفسـك أو لأولادك ، أو تجمـل امرأتـك بشـىء لـم تجمل به والدتك  فإن ذلك عقوق تعذب به يوم القيامة وتعاقب بـه فـي الدنيا بعقوق أولادك لك وكن علي يقين أن برك لوالديك سعادة لك في الـدنيا بالعافيـة فـي بـدنك والنسيئة فـي عمـرك والوسـعة فـي رزقـك. و نجابة أولادك وسرورك  بهم ، ولو تحققت ذلك يـا أخـي لبـذلت الـنفس والنفيس في إدخال السرورعلي والديك ، فإنك لا تدري متي يفارقاك . لو تصـورت يـا أخى كيف كانـا يفرحـان بـك صـغيراً ، ويبـذلان نفـائس أموالها لسرورك ، وكيف تحملت والدتك فـي حملك ورضـاعك وفـي تمريضـك ، ومـا تحمَّلـه والـدك فـي تربيتـك لبـذلت وسـعك لتسـرهما وتكرمهما ليموتا راضيين عنك ، داعيين لك ، وتعيش بعدهما مطمئن القلـب بأنـك سـتنال الخيـر ببركـة دعائهمـا ، والذريـة الصـالحة ببركـة رضـاهما ، مع ما يحصـل لك مـن البهجـة والسـرور عنـدما تتـذكر أنـك

أحسنت إلي والديك وأن الله سبحانه وتعالى سيدخلك الجنة مع الأبرار البارين . تلك البهجة يا أخى خير من الدنيا وما فيها .

و أظنك تقول : أبنائي وزوجتي ، أنت يا مسكين لا تدري أهم أبناؤك حقا أم التصقوا بك ، ولا تعلم أرزقت بهم ليكونوا لك خيرا في الدنيا والآخرة أو شقاء لوالديهما فى الدنيا والآخرة ، فكيف يا أخي تترك الأمر الجلي خيره ، البينة سعادته، وهو بر والديك الذين أحسنا إليك وأوجب الله عليك أن تقوم لهما بالإحسان ، وتجتهد في الأمر المشكوك فيه الذي لا تعلم عاقبته وهو أن تدخر لأبنائك وتهلم الحقوق الواجبة عليك لوالديك ؟ أعاذنى الله وإياك يا أخي مما يوجب المقت والسخط . ولو أنك ادخرت لأبنائك نفساً عالية ترفعهم عن سفاسف الأمور ، وعقلاً ذكيا يعقلهم عن مهاوي المقت ، وخلقا جميلا حسنا تحسن به معاشرهم لأرحامهم وأقاربهم ، وكنزا من الدين يمنحهم الله به السعادة في الدنيا والآخرة لكان خيراً من نفائس الأموال وكنوز الذهب والفضة . والله تعالي يا أخي يجعلني وإياك من الأبرار البارين لوالديهم إنه مجيب الدعاء وصلي الله علي سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم .

و من بر الوالدين بعد موتهما الاستغفار لهما والصلاة عليهما ، وصلة الأرحام التى توصل بهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وإكرام صديقهما ، ومن إكرامهما في حياتهما أن تبر يمينهما فتري الفاسق الغوي إذا مات والداه أو أحدهما دعاه الطمع الأشعبي والغرور بالدنيا ونسيان يوم الحساب أن يقوم فيحارب إخوته وأخواته ، ويعتقد أنه لا عدو له في الأرض إلا أبناء والديه ، وما ذلك إلا لأن الجهل أنزل المال عنده منزلة الإله المعبود الذي يأمره فيطيعه . ومن الضلال من يسلط علي إخوته الأشقاء أو أبناء العلات ليستريح من منافستهم له في هذا العرض الزائل . ولعمري أن هذا العمل لا يعمله رجل من أهل الجنة ولا من ذاق حلاوة الإيمان . كن يا أخى علي يقين أنك إن

بررت والديك بعد موتهما بصلة أرحامهما ، إن الله تعالي يبارك لك بركة تدوم لك حتي تكون في الفردوس الأعلي ، ومن اغتر بمال يفني وملك يزول ورياسة تتحول ورياش يبلي واستعان بأهل الزور والبهتان فقطع أرحامه ليكثر ماله فرحا بالمال والسيادة والرياسة، كان كمن عرض نفسه لشقاء الدنيا ،فإن قطيعة الرحم تعجل عقوبتها في الدنيا ، خصوصاً وأن قطيعة الرحم عقوق للوالدين ، وعقوق الوالدين موجب لسوء الخاتمة نعوذ بالله .

**الواجب الثاني للوالدين :**

أحق ما يجب للوالدين بعد موتهما دوام الصلاة عليهما والاستغفار لهما خصوصاً عقب الصلوات الخمس وعقب مجالس الذكر والعلم ، ويلي هذا الواجب مقدس أوجبه الشرع وفطرت عليه النفوس الفاضلة وهو صلة أرحامهما ، والأرحام في الأصل كل من لك به قرابة توصلها بك أمك نسبة للرحم ، ولكن العرف الشرعي أطلق اللفظ وجعلها عامة لكل من لك به قرابة تدلي الى أمك أو أبيك ، وجعل قرابة الأم أولي بحسن العاطفة وان كان للعصبة تأثير علي النعرة بالنسب والحمية للقرابة ، فابدأ أيها الأخ أيدك الله بالتوفيق بصلة أرحامك معتقدا أن ذلك سعادة لك فى الدنيا والآخرة ، وليكن ذلك بقدر استطاعتك . وابدأ بنفسك ثم بمن تعول . ومن يدفعه الأمل إلي الطمع فيقصِّر في حقوقه الصلة ويحتال في سلب ما في أيديهم فيكون قد ارتكب جريمتين ، جريمة التلصص وجريمة قطعية الرحم . واللص الذي يتلصص علي الأجنبي أقل وزراً منه . كيف يكون سرورك أيها الأخ إذا أنت أكرمت إخوتك وأقاربك وتحققت أن الله تعالي يكرمك في الدنيا بأن يجعل في قلوب أبنائك الرحمة والعاطفة لبعضهم وشهدت ذلك في حياتك ، وانتقلت إلي الدار الآخرة شاكراً ربك علي ما وهبهم من التعاطف والتواصل والتآلف والمساعدة والمسارعة إلى جلب الخير لبعضهم ودفع الضر عن بعضهم ، وانتقلت إلى البرزخ فوجدت قبرك روضة من رياض الجنة فكمل سرورك وتمت بهجتك

، ولم يكن ذلك كله يا أخي إلا لقيامك بالواجب لوالديك وأقاربك بما تفضل الله به عليك من حسن العناية والتوفيق لما يحب .

**حالة العاق لوالديه :**

ثم انظر يا أخي للعاق لوالديه القاطع لرحمه كيف تصب عليه البلايا في الدنيا صبا بكثرة القضايا والخصومات ، ثم يجعل الله له أبناء فجرة يبددون ما جمع في حياته، وينغضون عيشه بما يقع بينهم من الخصومات والعداوات ، وما يناله منهم من قبيح أعمالهم مع الناس حتي يتمني أنه لم يكن تزوج ، بل وأنه لم يوجد في الدنيا ، فيعيش طول عمره في شقاء وكبائر حتي يفارق الدنيا فينتقل من آلام بدنية فكرية إلى حفرة من حفر النار ، نعوذ بالله من قطيعة الأرحام . ولا يصبر أبناؤه حتي يواروه في التراب ، بل تقع بينهم المنازعات والمخاصمات ، وربما تلا كموا وتضاربوا بالعصي وتزاحموا علي تفتيش الحجرة التى هو فيها ، وربما وطئوه بالنعال وهو ملقي بينهم وهم الذين كان يسهر ليجمع لهم ويخاصم أقاربه ليجدد لهم .

انظر يا أخي بعينك عاقبة هذا الأمل ونتائج هذا الطمع . صِلْ رَحِمكَ يا أخي ليرحمك الرحمن ، وأكرم أقاربك ليقرّبك القريب ، وبِرّ والديك ليبرك البر الودود ، قال الله تعالي : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[2] وقال سبحانه وتعالي : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[2] وقال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ من أحب أن يُبْسَطَ له في رزقه وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه﴾[2] . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ خلق الله الخلق ، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن فقال : مه ، قالت : هذا مقام العائذ بك من القطعية ، قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ، قالت : بلي يا ربى ،قال : فذاك ﴾[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ لا يدخل الجنة قاطع رحم ﴾[2] ﴿ أحاديث صحيحة ﴾ ﴿ . وفي الحديث الحسن يقول ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ لا تنزل الرحمة علي قوم فيهم قاطع رحم

﴾ [2] . وقـال ﴿ ρ وآلـه﴾ : ﴿ مـا مـن ذنـب أَحْـرىَ أن يعجِّـل الله لصـاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر في الآخرة من البغي وقطعية الرحم﴾ [2]

**الواجب الثالث للوالدين :**

يجب عليك يا أخـي أن تبـر أَهْلَ وُدِّ أبيك ممـن كـان يـودهم ويحـبهم ، ولاتتشبه يا أخـي بمـن أبعدهم الله عـن أعمـال الخيـر الـذين إذا تمكنـوا أساءوا الي أهل ود والديهم ، واضرب لك مثلاً : قد يكون للرجـل ولـد سيئ ويكون لوالده إخوان صدق فيشدون علـى الولـد،ويأمرون والـده بالتشديد عليه ليتحسن مستقبله ، فيظن الجاهل أن ذلـك الرجـل العاقـل صديق أبيه يعين أباه علي مضرته ، فإذا توفي أبوه قام فحارب صديق أبيه وآذاه . وقد يكون الرجل متزوجاً امرأة غيـر أمـه وتكـون محظيـة عند والده محبوبه لديه ولم ترزق من أبيـه بـأولاد، فـإذا مـات ابـوه قـام فجعلها أعدي أعدائه وأشر أَلِدَّائه ولـم يـراع حقـوق والـده . وقـد يكـون عامل مخلص فى عمله له محافظ علـي أموالـه ، ويكـون الولـد مسـرفا فيشدد عليه العامل وهو صـادق أمين ، فـإذا تمكـن المسـرف مـن المـال أو الميراث حـارب العامل الصدوق الأمين وطرده من عمله ولم يراع حقوق والده . وقد ورد عن سيدنا عبد الله بـن عمـر رضـي الله عنهمـا وأرضـاهما أنـه كان راكبا علي جمل فمرّ بـه أعرابي فنـزل عن الجمل فقابلـه وحياه ، ثم أخذ بزمام الجمل وأعطاه إياه وانصـرف ، فقيـل لـه : ما هذا ؟ قال : هذا الرجل كان يضـحك والـدي إذا رآه فأجببـت أن أبـر والدي بإكرام من كـان يضـحك لرؤيتـه . وهكذا فليكن البـر ومـن هـذا الإمام يؤخذ . فقم يا أخـي بإكرام أهل ود أبيك لـتكن بـارا . ومـن كمـال البر وفـاء عهودهما بان تفي لهما بمـا عاهدا عليـه بعد موتهمـا ، وكـن علي يقين أنك تفوز بالمسرات فـي الـدنيا والسـعادة فـى الآخـرة ، والله تعالي يمنحني وإياك التوفيق لما يحب ويرضـي إنـه مجيب الدعاء .

## نصيحة للأبناء:

يا بنيّ ، لا تجهل من أنت ولا ما يجب عليك ولا ما يجب لك ، لعلك يا بني تظن أنك بما تجده من عواطف أمك وأبيك ومن حرصهما علي سرورك وخيرك ومن بذل نفائس أموالها فيما فيه راحة بدنك وزيادة صحتك أن ذلك واجب عليهما أو حق لازم عليهما لك فتجهل قدرك وتنسي قدر النعمة عليك من ربك ، فتقوم مطالباً بحقوق توهمتها لم يوجبها الشرع ولم يستحسنها العقل ، فتكلف والدتك بخدمتك أو تغضب عليها إن تهاونت بشأنك ، أو تأبى أن تلبس أو تأكل ما قدم لك ، أو تستقل ما أكرماك به ، فتكون كالذباب الذي يطوف حول النار لا يرضي بضوئها وحرارتها حتي يسقط في لهبها ، فإنك يا بني إن توهمت ذلك وقادتك رحمتهما وحنانتهما وعواطفهما لارتكاب شئ من ذلك ، أسرع بأن تعلم منزلتك وأنب إلى ربك تائباً وإلى والديك متذللاً متملقاً . لَمْ يبذلا لك ما بذلا من المال والنفس لواجب عليهما ، بل لأنك زهرة شجرتهما ومرآة حقيقتهما ، فإن نظرت إليهما بنظر الابن للوالدين نظر تعظيم وإطاعة لأمرهما وحب لهما ورغبة في نوال رضاهما ، من الله عليك بأن جعل عاطفتهما عليك في مزيد ، وجعلك لهما ظهيراً ونصيراً بعد كبرك ، فتكون لهما والداً شفوقاً ويكونان لك كولدين رحمين . وتكون قد قمت بالواجب عليك لله ولرسوله وللوالدين .

يا بني ، إن والديك لهما عليك بعد الله تعالي المنة ، وقد اكتسبا من التجارب علوما تجهلها ، فإياك يا بني أن تجتمع علي أمثالك الصغار فيحسنون لك ما يقبحه والدك مما قد تراه حسنا في سنك ، فإن ذلك ينتج احتقارك لوالديك ومخالفتك لأمرهما والكذب عليهما والمضرة لمن اتصف بهذا . يا بني إنك فى صغر سنك تستحسن أشياء هي في الحقيقة قبيحة ، وتستقبح أشياء هى فى الحقيقة حسنة ، فجاهد يا بني نفسك أن تتروي قبل العمل ، وأن تستثير والديك قبل الإقدام ، وتعلم يا

بني الملاحظة وتباعد عن كل عمل يضطرك أن تكذب علي والديك ، بل اترك كل عمل يلجئك أن تستحي منه إذا رآك غيرك . ثم اعمل بعد ذلك ما شئت . فإن أعمالك يا بني إن صدرت عن تقليدك لوالديك الحكيمين أو عن روية وملاحظة ولو كان العمل خطأ فإنك لا تري نفسك ذليلاً عند تأديبك عليه ، بل تقبل اللوم والتأديب بسرور لأنك تحب الحسن من كل شئ ، وتكره القبيح من كل شئ . يا بني لا تضيع أوقات شبابك وفراغك من هموم الدنيا مادام والداك قائمين بما لابد لك منه ، أجهد نفسك يا بني في هذا الزمن لتتحصل على ما به تكون من أهل الشرف والمجد من العلوم الدينية ومن الأغنياء عن شرار الخلق بالصناعات والفنون ، ومن المحترمين المعظمين عند الناس بالأخلاق والآداب ، قبل أن تضطر لشغل قلبك وتعب بدنك في جلب مالا بد لك منه من قوت ولباس ومسكن وزوجة وخادم . يا بني ، من شب على شئ شاب عليه . تجنب صحبة الأشرار والعمل الموجب للعار ، واجعل لعبك فيما ينفع في منزل والديك من خدمتهما عند فراغك من التعليم ، وتنظيم منزلك ونظافة ثيابك ومكانك ، لتكون عونا لوالديك من طفوليتك . وإذا من الله عليك بأن جعلك غنياً عن أشرار خلقه عالماً فكن رجلاً خارج المنزل ، فإذا دخلت علي والديك فكن طفلاً كما كنت أولاً ، عبدا كما كنت سابقاً تملك ولا تملك ، واجعلهما يدبران لك شأن داخليتك وإن أخطآ ، وحسن شأن خارجيتك فإنك لا تدري متي يأتيهما الموت .

لعلك يا بني إذا تزوجت صارت زوجتك أحب إليك من أبيك وأمك وإخوتك ،وهى إنما رضيت بك لأنك قوي سوي غني ، ولو ذهبت صفة من تلك الصفات ذهبت معها وكانت حربا علي زوجها ، فاصحب زوجتك حذرا منها ، واعلم أن حظك منها كحظ الحمار من الأتان وكن عبداً لله مطيعا لوالديك . يا بني بعض الضالين الذين حرموا الكمالات الإنسانية يتهاون بشأن والديه ويعتني بشأن زوجته أعوذ بالله أن أكون منهم أو تكون منهم ، فإنهم عبيد لشهواتهم ، وعباد

الدراهم والدنانير أقرب منهم للإنسانية . انظر إلي والديك تراك غصن شجرتهما وصورة حقيقتهما وخلاصة حياتهما ، فلا تعبد يا بني شهوتك وتكفر بربك سبحانه وتعق والديك ، واجعل والديك في أعلي المراتب من قلبك ، واجعل زوجتك كالمرحاض تأتيها عند الحاجة ، وأكرمها بقدر تلك الحاجة ، وقم لها بما فرض الله تعالى وما سنه رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، ولا تنسي الفضل بينك وبينها ، ولا تجعلها سببا في عقوق والديك وقطيعة رحمك ، فإن الإنسان لا يدري لعله يجمع المال ويحرم منه أرحامه ثم تحوزه الزوجة وتنفقه علي زوج اجنبى . أحب يا بني زوجة أبيك وإن كانت كدراً لوالدتك براً بوالدك ، إلا أن توفيت والدتك فاجعلها في منزلتها وأحبب إخوتك منها كحبك لإخوتك ، واجعلهم لك أنصار وأعوانا وكنوزاً وجمالاً لتكون كثيرا بهم . اجتهد يا بني إن كان ورثك والدك مجداً وشرفاً أن تحافظ علي ميراث والدك ، وأن تجتهد في أن تزيده وتنميه ليحيي والدك ، وإن ورثك مالاً وعقاراً فاجتهد أن تحفظ ميراث أبيك وأن تأكل من عرق جبينك ، وتهتم أن يكون لك مالاً وعقاراً اكتسبته بنفسك لتورثه لأولادك كما ورثك أبوك ، وعليك أن تجعل أهل بلدك يعلمون أن هذا العقار والمال ميراث أبيك لك ليحيي ذكر أبيك ، وأن هذا المال والعقار هو ما اكتسبته بنفسك لتحيي ذكرك . واجتهد أن تورث أبناءك هذا المبدأ الشريف ليدوم عقار المسلمين وما لهم في خزائن المسلمين . واعلم يا بني أن بعض أهل الغواية الأنذال المفسدين الذين هم مرض في جسم العائلات يتمني الخبيث منهم أن يموت والده ليرث ماله ، فإذا مات والده قام فبذل المال في شهواته وحظوظه حتي إذا لم يبق في يده ما يستعين به ندم ولات حين مندم ، فتمني أن والده عاش له بعد أن أحوجته الضرورة إلي خدمة من كان خادماً عنده أو ارتكب ما به يحشر إلي السجون أعاذنى الله وإياك يا بني من أعمال الأشرار وفعل الخبثاء إنه مجيب الدعاء . وإلي هنا أقول لك أيها الولد البار : اجتهد في صحبة العلماء العاملين ، وداوم علي مجالسة الأتقياء الصالحين

وتعلم منهم وتشبه بهم ، والله يتولاني وإياك إنه ولي المؤمنين وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي أله وصحبه وسلم .

**سادساً : بيان الحقوق الواجبة علي المسلم لإخوانه :**

سبق الكلام في الواجب عليك لنفسك ولربك سبحانه وتعالي ولرسول الله
﴿ ρ وآله﴾ ولأولي الأمر منا ولوالديك ولأرحامك ، ولم نتكلم علي الحقوق الواجبة علي الزوج للزوجة والحقوق الواجبة علي الزوجة للزوج والواجب علي الوالد لأبنائه لأنه سبق شرح تلك المعاني في كتاب : ( أصول الوصول ) وكتاب : ( معارج المقربين ) وغيرهما [2] في مواضعها الخاصة بها ، والمراد بعون الله تعالي بيان الحقوق الواجبة علي المسلم لإخوانه . وقد ثبتت تلك الحقوق شرعاً بنص قوله تعالي : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [2] وقوله تعالي : ( وتعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان ) [2] وقوله تعالي : ( إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ ﴿ تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إن اشتكي عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمي ﴾ [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ :﴿ المؤمنون كرجُلٍ واحد ، إن اشتكي عينُهُ اشتكي كلُّه ، وإن اشتكي رأسُه اشتكي كلُّه﴾[2] وعن أبى موسي عن النبي ﴿ ρ وآله﴾ أنه قال : ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك بين أصابعه ﴾[2].

وعنه عن النبي ﴿ ρ وآله﴾ أنه كان إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال: ﴿اشفعوا فلتؤجروا ، ويقضي الله علي لسان رسوله ما شاء ﴾[2] وقال
﴿ ρ وآله﴾ : ( انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يارسول الله

أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه ﴾ [2] وقال: ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يمسله ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فَرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات الآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة ﴾[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوي ههنا ويشير إلي صدره ثلاث مرات . بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كلُّ المسلم على المسلم حرام دمُه وماله وعرضه ) وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ أهل الجنة أربعة ، ذو سلطان مقسط، ومتصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربي ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال . وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له [2] الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلا ولا مالا ، والخائن الذي لا يخفي له طمع وإن دق إلا خان ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا هو يخادعك عن أهلك ومالك ﴾ وذكر البخل والكذب والشنطير الفحاش . وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾[2] وقال : ﴿ والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه﴾ [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ) وقال : ﴿مازال جبريل يوصيني بالجار حتي ظننت أنه سيورثه ﴾[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿إذا كنتم ثلاثة فلا ينتاج اثنان دون الآخر حتي يختلطوا بالناس من اجل أن يحزنه﴾ [2] وعن تميم الدارى أن النبى ﴿ ρ وآله﴾ قال : ﴿ الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، قلنا : يا رسول الله لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامَّتِهم ﴾ [2] .

و عن جرير قال : ﴿بايعتُ رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ علي إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم ﴾[2] هذه أحاديث صحيحة علي شرط الشيخين رضي الله عنهما .

و في الحديث الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق ﴿ ρ وآله﴾ يقول : ﴿ لا تُنـزع الرحمة إلا من شقي ﴾ [2] وقال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ﴾ [2] وقال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر ﴾ [2] .

**سعادة الدنيا والآخرة بأحكام الله ورسوله ﴿ ρ وآله﴾ :**

هذه الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية تبين للمؤمن سبل الخير وتوضح مناهج السعادة وما من حكم من أحكام الشريعة المطهرة إلا وهو خير للمسلمين في الدنيا والآخرة . وأوجب الله سبحانه وتعالي علينا أن نجعل كل فرد من أفراد المؤمنين أخاً لنا ،وأوجب علينا أن نقوم بحقوق المسلمين بالتعاون والائتلاف والمحبة ، وبين لنا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ذلك بيانا جليا حتي صار كالمحسوس ، وإليك ما نناله من الخير في الدنيا والآخرة باتباع سيدنا ومولانا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، تعلم أيدك الله أن الناس محتاج بعضهم إلي بعض ، وأن كل واحد من الناس لا ينال كماله بل ولا يحصل علي ضروريه إلا بمعاونة الآخرين له ، لأن الناس مطبوعون علي النقصان ومضطرون إلي زوال هذا النقصان بالتمام ، ولا سبيل لكل واحد أن ينال كماله بنفسه ، فالضرورة داعية إلي التعاون والائتلاف والحاجة صادقة في ذلك وباعثة علي حال تؤلف بين أشتات المسلمين ليصيروا بالائتلاف والاتحاد جسداً واحداً ، حتى يقوم كل عضو من أعضائه بمفرده وبمعاونة الأعضاء علي الفعل الواحد النافع ولا تنال العيشة الطيبة في الدنيا ولا السعادة الأبدية في الآخرة إلا بالاتحاد والتعاون . وإذا سعى كل فرد من المسلمين في الخير لجماعة المسلمين حصلت المودة فالمحبة فالصداقة ، وللمحبة أنواع ، فمنها ما ينعقد سريعا وينحل سريعا وهي المحبة للذة لأن اللذة سريعة التغير . ومنها ما

ينعقد سريعا وينحل بطيئا وهي المحبة التى سببها الخير . ومنها ما ينعقد بطيئاً وينحل سريعاً وهي المحبة التى سببها المنافع . ومنها ما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا وهي التى تتركب مما تقدم إذا كان فيها الخير . ولا تكون الصداقة صداقة إلا إذا كانت بين الأخيار لأن محبتهم لأجل الخير الحقيقي المقصود للأرواح . ولما كان الخير الحقيقي المقصود بالذات لا تتغير ذاته ، صارت محبة الأخيار لا تتغير أبدا بل وتنمو في كل نفس . متي بلغت المحبة لدرجة الصداقة كان المجتمع الإسلامي بأجمعه يمثل الجناب المحمدي ، لأن الخيرات الحقيقية تقسمت عليه وصارت مقاصدهم الخير المطلق الحقيقي . ما الذي ينتج عن ذلك يا أخي ؟ ينتج عن ذلك عز المسلمين وقوة سلطانهم ورغد عيشتهم ، وتقسيم السعادة بين كل فرد منهم حتي يكون كل فرد قد حاز قسطاً عظيماً من السعادة ، وإذا حصل ذلك دان لهم الخلق أجمعون ، وفتحت لهم كنوز السموات والأرض ، وتوالت عليهم الغنائم وصارت كلمة الله هي العليا ، وتجددت شعائر الإسلام وعمرت مساجد الله ، وانتشر العدل بين العالم ولا يعلم قدر ما ينال كل فرد من النعيم الأبدي والسعادة الحقيقية يوم القيامة إلا الله تعالي . إذا تدبرت هذا علمت أن أحكام الله سبحانه وأحكام رسوله ﴿ ρ وآله﴾ بالعمل بها سعادة الدنيا والآخرة . ومعلوم أن الإنسان في هذه الدار الدنيا إما أن يكون وحده وقد تقدم الكلام علي ما يجب على الشخص لنفسه ، وبينا تدبير النفس في : ( معارج المقربين ) وطرق تزكيتها . أو يكون مع خواصه من والدين وأرحام وأهل وولد وأتباع ، وتقدم الكلام علي حقوق الوالدين والأرحام والأهل والولد في كتابنا هذا ، وتقدم الكلام علي حقوق الجار والأتباع في كتاب : ( أساس الطريق ) عند ذكر الإنسان ، أو يكون مع عموم الخلق وهذا الأمر الثالث هو المراد بيانه .

**سابعاً : الواجب لعموم الخلق :**
نبتدئ بأقل الواجبات . أقل واجبات حسن الصحبة وكف الأذى عن جميع المسلمين لقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ [2] وفوق ذلك أن تنفعهم وتحسن إليهم وأن تحب لهم ما تحب لنفسك ، وأن تتواضع لكل مسلم ولا تفتخر عليه ، وإن تَكَبَّرَ عليه أحد من المسلمين فعليه أن يتواضع له لقوله تعالي : ( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ) [2] وعليه أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان ، وأن يكون مع كل مسلم مستبشراً طلق الوجه ليدخل عليه السرور ، وأن يصلح ذات البين ولو بالمبالغة في الكلام . وعلي كل مسلم أن لا يسمع بلاغات بعض الناس لأن النفوس جبلت علي حب الانتقام ، وأن لا يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام فإن ذلك ليس من خلق المؤمنين . وأن تحسن إلي كل أحد بقطع النظر عن كونه اهلاً او ، وأن تخالق الناس علي قدر عقولهم ولا تنتظر من الجاهل ما تنتظره من العالم ، وأن تنزل الناس منازلهم فتكرم أهل المكانة والجاه ولو في الدنيا . ومن أعظمها ستر عورات المسلمين وأن تتقي مواضع التهم حفظاً لقلوب المسلمين من سوء الظن وألسنتهم عن الغيبة ، وأن تسعي لقضاء حوائج المسلمين ولو بشفاعة . ومنها المبادرة بالسلام علي كل مسلم ومصافحته ليكون لك فضل البداية ، وأن تنصر أخاك في غيبته بالرد عن عرضه وماله . ومنها مداراة أهل الشر لتسلم من شرهم . ومنها التردد علي مجالس المساكين والتباعد عن مجالسة الأغنياء فإنهم موتي القلوب . ومنها عيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم وزيارة قبورهم والدعاء لهم في الغيبة وتشميت عاطسهم وإنصاف الناس من نفسه . هذه بعض الحقوق الواجبة علي المسلم لإخوانه آثرنا ذكرها لتنبيه إخوتي المؤمنين إليها ومراعاتها لتقوي المحبة وتجدد الصداقة وترضي الله ورسوله ﴿ ρ وآله﴾ ، والله سبحانه أسأل أن يعيد للمسلمين مجدهم ، وينظر إلينا جميعاً نظر إحسان وود إنه مجيب الدعاء وصلى الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم آمين .

هذه هي الحقوق التى وردت بها الأحاديث النبوية الصحيحة وحث عليها القرآن المجيد ، وهي حقوق تجب مراعاتها علي كل مسلم لكل مسلم حتي يكون مسلماً حقيقيا وبحسن مراعاتها تكمل الأخلاق ويسهل علي المسلم حسن معاملة إخوانه المسلمين، وبذلك يكون مسلماً كاملاً وعضوا عاملاً لخير المسلمين ، ومن ذاق حلاوة قوله تعالي : ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [2] وإن كان سببها خاصاً فحكمها عام ، عَلِمَ – حقيقة العلم – أن الواجب علي كل مسلم لكل مسلم أمور وجدانية يمكن للمسلم أن يدركها من سر قوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ أحب لأخيك ما تحب لنفسك ﴾و الذي تحبه لنفسك لا يخفي عليك من الجاه والمنزله والأمن والعافية وحسن السمعة ورغد العيش وغير ذلك مما لا يخفي علي إنسان وهذا هو الميزان الحقيقي الذي به يكون المسلم مسلماً بمعناه ، ومن أحب أن يكون إماماً للمتقين فالسبيل إلي نوال ذلك أن يتعلم أخلاق رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، وقد كتبانا نبذا من أخلاقه ﴿ ρ وآله﴾ الظاهرة في كتاب : ( أصول الوصول ) وكتاب : ( معارج المقربين) فاجتهد يا أخي ان تطلع علي تلك الأسرار في مواضعها ، لتتجمل بتلك الجمالات لتكون من المحسنين ، والله سبحانه وتعالي أسأل أن يعاملنا بإحسانه ، ويعيننا علي حسن معاملة إخواننا إنه مجيب الدعاء آمين .

**ثامناً : الواجب لمعلم الخير :**

قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ من حديث طويل : ﴿ إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض – حتي النملة في جحرها وحتي الحوت- ليصلون علي معلم الناس الخير ﴾[2] قبل أن نتلكم عن الواجب في هذا الموضوع نبين الخير ومن هو معلمه الذي نقصد أن نشرح الواجب له في مخضرنا هذا .

**بيان الخير المقصود ومن هو معلمه الحقيقي :**

معلوم أن الخير هو المقصود للكل وكل ما سواه وسائل له ، فكأنه المقصود لكل النفوس علي السواء ، والمقصود أولاً وبالذات وهو الحق تقدست ذاته وتنزهت صفاته تتألّه لجنابه العلي النفوس الطاهرة ، وتحن إليه الأرواح الملكية ، فهو المقصد الحقيقي لأولي العزم من الرسل ولعالين من الروحانيين ، ولكل الأفراد الوارثين ، ولأهل الخصوصية من أولياء الله المقربين ، وما سواه من المقاصد وإن علا ومن المطالب وإن سما فهو بالنسبة للمقصود الأول وسائل توصل إليه ، ومعارج تقرب إليه مشرقات دالات عليه ، وإنما تشتاق تلك النفوس الطاهرة إلي الفردوس الأعلي لا الفردوس وما فيها ، أوتتمنى الرضوان الأكبر لا لنيل الرضوان وإدراكه ، إنما ذلك كله لحظوة تؤدي إلي جلوة ، وقرب ينبئ بحب .

و الوسائل كلها إلى هذا المقصود الأعظم هي كالمقاصد لعظمتها . ولما كان معلم الخير يطلق ويراد منه كل من دل علي خير ديني أو بدني أو دنيوي أو أخروى. كان هذا اللفظ عاماً يشمل معلمي الصناعة النافعة العامة ومعلمي الأخلاق والتهذيب . لآن من الصناعات ما هو ضروري للعمران لا يستقيم حاله إلا بها كعلوم الطب وفنون الزراعات والتجارات وفن تنظيم المدن ومالابد للمجتمع منه من فنون العمارات ، وما يتصل بذلك من فنون النسيج والخياطة والبناء وغيرها ، فإن ذلك لابد للمجتمع الإنسانى منه ، وبدونها لا يكون المجتمع فاضلا . ومعلموا الفنون أو الصناعات يُعَدُّون من معلمي الخير ويتصل بذلك علوم الأحكام والقضاء وإقامة الحدود وسياسة المدن . وقد قام العماء فشرحوا فضل هؤلاء المعلمين ومالهم من الأجر عند الله تعالى .

و لكنى في مختصرى هذا أتحكم على معلم الخير الحقيقي ، وأُلْمِعُ إلي فضل معلمي الخير الذي هو وسائل للخير الحقيقي ، فان الزراع

والتجار قاموا للمجتمع بعمل به اتسع الوقت وحصلت الراحة للقلوب والأبدان ، فلو أن الزراع والتجار والصناع لاحظوا في أعمالهم حسن النية وقصدوا بذلك النفع العام بالمجتمع الإسلامي لكانوا كالمجاهدين في سبيل الله أو كالصائمين القائمين ، فإن المزارع يتعب نفسه الليل والنهار ليريح بقية إخونه ، والتاجر يتعب نفسه ، ويبذل ماله ويشغل فكره ليأخذ ما زاد عن لوازم أمته ويرسله إلي البلاد المحتاجة له ويجلب لأمته ما هم في حاجة إليه من البلاد الأخرى ، فهو في جهاد لو حسنت نيته وصدقت عزيمته وهو الأمين علي المسلمين وعلي قلب نبي مالم يخن أو يغش المسلمين . والصانع مسكين يتعب جميع جوارحه ليعمل عملاً به سرور إخوانه وراحتهم ، فلو حسنت نيته ولاحظ جانب ربه في عمله كان كالمجاهد في سبيل الله . وأحل الأرزاق أرزاق الزراع والتجار والصناع إذا صدقوا ، ومعلموا الصناعات أو التجارات أو الزراعات معلمون للخير المقصود لا بالذات ولكن للوسائل بها نيل الخير الذي لابد منه للتوجه إلى هذا المقصد الأعظم الذي هو الخير الحقيقى فهو المقصود . وقد أثني الله تعالي في القرآن على العاملين ، المخلصين في المعاملة ، أما معلم الخير الحقيقى بالذات دون غيره ، إذ به سعادة الأبد والنعيم الحقيقي في الدنيا والآخرة ، فإن معلم الخير الحقيقي هو الشمس المضيئة التى تبين سبل السعادة في الدنيا والآخرة ، وتوضح الطريق المستقيم الذي يكون به الناهج عليه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فهو النجاة الحقيقية للعالم كله ، والسعادة الحقيقية لبني الإنسان ، ورحمة الله الحقيقية لمن اقتدي به وقبل وصاياه يُعزِ الله به بعد الذل ، ويغنى به بعد الفقر ، ويقوي به بعد الضعف ، سر قوله سبحانه وتعالي : ﴿ ولو أن أهل القري آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( قال الله تعالي لإبراهيم υ : إني عليم أحب كل عليم ) وعن أبي امامة قال : سئل رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ عن رجلين أحدهما عالم والآخر عابد ، فقال ﴿ ρ وآله﴾ : ( فضل العالم علي العابد كفضلي علي أدناكم رجلا )[2]

**معلم الخير الأول هو سيدنا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ :**

و معلم الخير الأول هو سيدنا ومولانا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، وقد سبق لك في الواجب عليك أن طاعته ﴿ ρ وآله﴾ هي طاعة الله ، وأن مخالفته ﴿ ρ وآله﴾ معصية لله ، ولسنا الآن بصدد شرح تلك المعاني بالنسبة لجنابه ﴿ ρ وآله﴾ لأننا قدمنا نبذاً في الواجب لجنابه ﴿ ρ وآله﴾ في كتابنا هذا .

**الوارث هو معلم الخير بعد رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ :**

و المراد الآن أن نبين الواجب لوارث رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ الذي هو معلم الخير بعد رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ الذي هو حجة الله علي خلقه ، ونور تستبين به السنن وتتضح به السبل كما قال الله تعالي :

﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (2) وقوله سبحانه وتعالي : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (2) وقوله سبحانه وتعالي : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ (2) وقوله سبحانه : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (2) وقوله سبحانه وتعالي : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (2) وقوله تعالي : ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (2) . وسر قوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلم ﴾ (2) وقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿خيار أمتي علماؤُها ،وخيارُ علمائها فقهاؤُها ﴾ (2) وقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين ﴾(2) وقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ عليَّ بخلفائي ، قالوا من خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يحيون سنتي يعلمونها عباد الله ﴾ وقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ ما عُبِدَ اللهُ بشئ أفضل من فقه في الدين ، ولَفَقَيهُ واحدُ أشدُّ علي الشيطان من

ألف عابدٍ ﴾[2] ولكل شيء عمادُ وعماد الدين وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفعُ العبد المملوكَ حتى تُجْلِسَهُ مجالسَ الملوكِ ﴾ . وقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ تعلَّموا العلمَ قبلَ أن يُرفعَ ، ورفعه ذهاب أهله ، فإن أحدكم لا يدري متي يحتاج إليه أو متي يحتاج إلي ما عنده ، وليحذر أن يطلبه لمراءٍ أو رياءٍ ، فإن المماري به مهجورٌ لا ينتفع ، والمرائي به محقورٌ لا يرتفع ﴾[2] والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في الحث علي العلم والثناء من الله سبحانه ورسوله ﴿ ρ وآله﴾ علي العلماء المعلمين للخير لا تحصي ولا تعد .

**الواجب لمعلم الخير في مقام البداية :**
أول واجب عليك لمعلم الخير أيها الأخ المسترشد بعد أن تتحقق أنه معلم للخير وأنه دال علي الحق وأنه علي الصراط المستقيم ، يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويخالق الناس علي قدر عقولهم ، أن تفرغ قلبك وبدنك من الشواغل بقدر استطاعتك ، وأن تتلقى منه العلم بقبول وإقبال بدون التفات أو شعور من نفسك بأنك تعلمت شيئاً فى حال بدايتك ، فإن ذلك ربما أدي إلي إظهار مبادىء العلم الذي تعلمته من العالم الرباني أمام الجهلاء أدعياء العلم فينكرون عليك في بدايتك ، وأنت لا قدرة لك علي إقامة الحجة وبيان المحجبة ، فيكون ذلك منتجاً لشكك في معلم الخير أو في اشتغالك بالخلق عنه ، وأن تكون أمامه كمريض يستشفي ، يشعر بآلام الجهل كما يشعر المريض بآلام المرض ويتمني عَوْدَ العافية عليه كما يتمني المريض ، وتتحقق أن هذا العالم الرباني هو الطبيب الذي يزيل أمراضك بما تتعلم منه . هذا في مقام البداية .

**الواجب على من ذاق حلاوة العلم الرباني :**
فإذا ذقت حلاوة العلم الرباني يجب عليك أن تكون كالميت بين يديه الذي يتحقق أن هذا المعلم يحييه من هذا الموت بما يجمله به من علوم الحكمة وأسرار المعرفة سر قوله تعالي : ﴿اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا

دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (2) والاستجابة لمعلم الخير استجابة لله ولرسوله ﴿ ρ وآله﴾ ، فإن أمراض القلوب والآم النفوس أعظم وأشد في الحال والمآل من أمراض الأبدان والآم الجوارح ، فإن أمراض الأبدان وآلام الجوارح تفضي بالإنسان إلى الموت الذي لابد منه ، وأما أمراض القلب وآلام النفوس فإنها تفضى بالإنسان إلي جحيم الغضب وسَقَر المقت وجهنم الحجاب عن حضرة الله سبحانه وتعالي . ومن الواجب عليك أيها الأخ أن تتقرب إليه بما يحب لتشرح صدره ، فإنك إن شرحت صدره بالتقرب إليه بما يحب أباح لك بغرائب العلوم وأسرار الفهوم وكاشفك بالمكنون ، وتملق له يا أخي فإن التملق ليس من خلق المؤمن إلا في طلب العلم ، كما قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم ﴾ . ويجب عليك ياأخي أن يكون تعلمك من العالم الربانى بعمله أكمل من تعلمك بقوله فإنه يعمل بالعزائم ، وقد يقول بالرخص لمقتضيات ، وتعلمك من سكوته أكمل من تعلمك بكلامه فإن سكوته علم وكلامه علم ، وكن حاضر القلب والجسم معه إن استطعت ، فإن غاب عنك يا أخي لا تحدث نفسك بأن تقوم لتعلم الناس ما تعلمته منه ، فإن ذلك وقفة لك في طريق التعليم والتفات عن معلم الخير ، ولكن كن رواية لعلومه ومحدثا عنه إن استطعت أن تميز بين مراتب النفوس وما يليق لكل نفس ، فإن جهلت مراتب النفوس وما يليق لكل نفس فجاهد نفسك أن تعمل بما علمته منه ، ليعلمك الله علم ما لم تعلم خشية من أن تَزِلَّ فَيَزِلَّ العالَم بزلَّتك ، ويتركك الناس ويذمون معلم الخير فتكون زلتك بذم معلم الخير وتنفير المسلمين منه شرا علي الناس . إذا بلغ حُبَّكَ لمعلم الخير مبلغاً لا تستطيع أن تكتمه فجاهد نفسك أن تكون بواعث الحب مُعِينَةً لك علي الاقتداء والعمل بوصاياه ، وإياك أيها الأخ أن تقوي عليك عوامل المحبة فتقوم معلنا أسراره ومبينا أحواله ظنا منك أن الناس يحبونه كما أحببته ، وينتفعون به كما انتفعت به ، فتخطئ السبيل وتفسد علي العالم أحوالهم ، فإنه لم يكاشفك بما كوشفت به من

الأسرار إلا بعد تزكية نفسك وعلمه منك الأهلية واعتقاده أنك علي الصراط المستقيم .

و إياك أيها الأخ أن تدعوك المحبة إلي تنقيص العلماء ومجادلة الناس ، فإن ذلك ليس من آداب المريدين الصادقين ، ويجب عليك أيها الأخ المخلص أن لا تقلده فيما لم يستبن لك منه وجه التأويل إلا إذا أمرك .

**صفات معلم الخير الحقيقي :**
و معلم الخير الحقيقي لا يخفي علي ذي عقل ولكنى أشرح لك بعض صفات العلماء .

من أكمل صفاتهم الخشية لله والتواضع لله تعالي ، والتباعد عن مجالسة الأمراء والحكام ، ودوام الميل إلي الفقراء والمساكين ، والعمل بما علموا ، فمعلم الخير هو العالم الربانى الذي وصفه الله تعالي في كتابه وأثني عليه ، وقد وصفه سيدنا علي بن أبي طالب وفضَّله علي الخلائق فقال في وصفه : ﴿ القلوب أوعية وخيرها أوعاها، و الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم علي سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلي ركن وثيق . العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة ، محبة العلم دين يدان به . يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته .

العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ومنفعة المال تزول بزواله . مات خُزَّانُ الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر . ثم تنفس الصعداء فقال : هاه . إن هاهنا علما جَّما لو أجد له جَمَلَةً ، بلي أجد لقنا غير مأمون يستعمل الدين في طلب الدنيا . ويستطيل بنعم الله تعالى على أوليائه ، ويستظهر بحججة علي خلقه ، أو منقادا لأهل الحق ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له .

وليسوا من رعاة الدين في شئ لا ذا ولا ذاك . فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات ، أو مغرًى بجمع الأموال والادخار منقاد لهواه أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة . اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حامله . بل لا تخلي الأرض من قائم لله تعالي بحجة إما ظاهرا مكشوفاً وإما خافياً مقهوراً لئلا تبطل حجج الله تعالي وبيناته ، وأين أولئك ؟ هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ، يحفظ الله تعالي بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم . هجم بهم العلم علي حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين ، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون . صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلي ، أولئك أولياء الله من خلقه وعماله فى أرضه والدعاة إلي دينه ، ثم بكي وقال : ﴿ واشوقاه الي رؤيتهم ﴾ فهذه كلها أوصاف علماء الآخوة ، وهذه نعوت علماء الباطن وعلماء القلوب لا علماء الألسنة .

و كذلك وصفهم سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه- في وصف العلم بالله تعالي فقال : ﴿ تعلموا العلم فإن تعلمه خشية ، وطلبه عباده ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة ، والصاحب في الخلوة ، والدليل علي السراء والضراء والزين عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالي به أقواما فيجعلهم الله في الخير قادة وهداة يقتدي بهم أدلة فى الخير تقتفي آثارهم ، وترمق أعمالهم ، ويقتدي بفعالهم ، وينتهي إلي رأيهم ، وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، حتي كل رطب ويابس لهم مستغفر حتي حيتان البحر وهوامه وسباع البر ونعامه والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمي ، ونور الأبصار من الظُّلَم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلي ، والتفكُّر فيه يعدل بالصيام ومدراسته بالقيام ، به يطاع الله تعالي وبه يعبد وبه

يوحد وبه يتورع وبه توصل الأرحام ، العلم إمام والعمل تابعه ، تُلْهَمُهُ السعداء وَتُحْرَمُهُ الأشقياء ﴾ فهذه أوصاف علماء الآخرة ونعت العلم الباطن .

هذا ما أحببت أن أبين به صفات معلم الخير من كلام أئمة الصحابة رضوان الله عنهم ليتبين للمريد الصادق الأوصاف التى جمل الله بها عبداً من عباده كان ولا شك معلما للخير . وقد سبق لي وصف العلماء الربانيين وشرح علاماتهم الظاهرة والباطنة في كتاب ( أصول الوصول ) عند ذكر علماء الآخرة وفي كتاب ( معارج المقربين ) عند ذكر العلم والإيمان . وفي ( مذكرة المرشد والمسترشد )[2] عند ذكر المرشد ونوابه . فمن أراد المزيد فليراجع تلك الكتب ، إلا أني أري من الواجب عليّ أن أشرح بعض مشاهد العلماء العارفين بإيجاز خصوصاً فيما يتعلق بعلم المعرفة والإيمان واليقين .

**العلم والإيمان :**

اعلم يا أخي وفقك الله تعالي أن تلك العلوم العالية من أخص علامات العالم الرانى لأنها مواهب من الله تعالي يتفضل بها سبحانه فضلاً منه وكرما ، وأما علم الأديان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين فهو مع كل مؤمن موقن حسن الإسلام ، وهو مقامه من الله وحاله بين يدي الله ، ونصيبه منه في درجات الجنة به يكون من المقربين عنده والعلم بالله تعالي والإيمان به قرينان لا يفترقان ، فالعلم بالله تعالي هو ميزان الإيمان به يستبين المزيد من النقصان ، لأن العلم ظاهر الإيمان يكشفه ، ويظهره ، والإيمان باطن العلم بهيجه ويشعله ، فالإيمان مدد العلم وبصره ، والعلم قوة الإيمان ولسانه ، وضعف الإيمان وقوته ومزيده ونقصه بمزيد العلم بالله عز وجل ونقصه وقوته وضعفه . وفي وصية لقمان الحكيم لابنه : ﴿ يابني كما لا يصلح الزرع إلا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل ﴾ ومثل المشاهدة من المعرفة من اليقين من الإيمان كمثل النشاء من الدقيق

من الحنطة ، والحنطة تجمع ذلك كله. كذلك الإيمان أصل ذلك والمشاهدة أعلي فروعه ، كالحنطة أصل هذه المعاني والنشاء أعلى فروعها . فهذه المقامات موجودة في أنوار الإيمان يمدها علم اليقين .

**مقامات المعرفة والمشاهدة :**

ثم إن المعرفة علي مقامين : معرفة سمع ومعرفة عيان : فمعرفة السمع في الإسلام وهو أنهم سمعوا به فعرفوه وهذا هو التصديق من الإيمان ، ومعرفة العيان في المشاهدة وهو عين اليقين . والمشاهدة أيضاً علي مقامين : مشاهدة الاستدلال ومشاهدة الدليل عنها . فمشاهدة الاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو في السمع ، لسانها القول ، والواجد بها واجد يعلم علم اليقين من قوله تعالي : ﴿ من سبأ بنبأ يقين إني وجدت ﴾ [2] فهذا العلم قبل الوجد وهو علم السمع وقد يكون سببه التعليم . ومنه قوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ تعلموا اليقين ﴾ أي جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علي اليقين لأنهم علماؤه . وأما مشاهدة الدليل فهي بعد المعرفة التى هي العيان ، وهو اليقين لسانه الوجد والواحد بها واجد قرب . وبعد هذا الوجد علم من عين اليقين وهذا يتولاه الله تعالي بنوره علي يده بقدرته ، ومنه قوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ فوجدت بردها فعلمت ﴾ فهذا التعليم بعد الوجد من عين اليقين باليقين وهذا من أعمال القلوب وهؤلاء علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب وهم المقربون من أصحاب اليمين وعلم الظاهر من علم الملك وهو من أعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم أصحاب اليمين .

**فضل اليقين :**

جاء رجل إلى معاذ بن جبل فقال : أخبرني عن رجلين أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتريه الشك في أموره ، فقال معاذ: لَيحْبِطَنَّ شكُّه اعماله . قال : فأخبرني عن رجل قليل العمل إلا أنه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب ،

فسكت معاذ فقال الرجل : والله لئن أحبط شك الأول أعمالٌ بره ليحبطن يقينُ هذا ذنوبه كلَّها ، قال : فأخذ معاذ بيده وقام قائماً ثم قال : ما رأيت الذي هو أفقه من هذا . وقد روينا معناه مسندا قليل : يا رسول الله رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين . فقال : ( ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقي له فضل يدخل به الجنة )

و روينا في حديث أبي أمامة عن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ أنه قال : ﴿ وَمِنْ أقلِّ ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ، ومن أُعْطِيَ حظَّه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ﴾ وفي وصية لقمان لابنه : يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ، ولا يقصر عامل حتي يقصر يقينه ، وقد يعمل العمل الضعيف إذا كان متيقناً أفضل من العمل القوي الضعيف في يقينه .

و من يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الإثم . وقد كان يحي بن معاذ يقول : إن للتوحيد نوراً وللشِّرك ناراً وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشِّرك لحسنات المشركين .

**مقامات اليقين :**

و اليقين علي ثلاثة مقامات : يقين معاينة وهذا لا يختلف خبره فالعالم به خبير وهو للصديقين والشهداء . ويقين تصديق واستسلام وهذا في الخبر ، والعالم به مخبر مسلّم ، وهذا يقين المؤمنين ، وهم الأبرار ، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ؛ كقوله تعالي جده : ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ [2] وقد يضعف هؤلاء بعدم الأسباب ونقصان المعتاد ويقوون بوجودها وجريان العادة ، ويحجبون ينظرهم الى الأواسط ويكاشفون بها . ويجعلون مزيدهم وأنسهم بالخلق ، ويكون نقصهم

ووحشتهم بفقدهم ، ويكون من هؤلاء الاختلاف ويتلونون بالخلاف لتلوين الأشياء وتغيرها عليهم .

**الأعمال القلبية الخاصة لمعلم الخير :**

من الواجب عليك أيها المريد الصادق أن تعتقد أن له أعمالا قلبيه خاصة به وأن ذرة صغيرة منها خير من أمثال الجبال الرواسي من أعمال الأبدان ، فلا تتشبه به في أعماله البدنية فإنه قد يقتصر علي الفرض والسنة أمامك ، فتظن بجهلك بأعمال القلوب أنه أقل عملاً منك ، أو تقلده فتترك الرغائب والمستحبات من الأعمال . كما حصل لبعض الأئمة رضي الله عنهم وقد نزل ضيفا علي تلميذ له وكان التلميذ يقوم الليل أجمعه ، فأحضر له الوضوء وانصرف عنه بعد نومه ، وحضر إليه وقت الفجر فوجد العالم جالساً ووجد الماء الذي أعده له كما هو وكأنَّ العالم نام بعد أن صلي العشاء الأخيرة ، فتعجب التلميذ من وجود الماء كما هو . وبعد أن توضأ الأستاذ وصلي الصبح أمره أن يحضر دواة وورقا وأملي عليه أحكاماً شرعية استنبطها من آيات القرآن ، وشرح له عدة آيات فهمها من كتاب الله تعالي في ليلته هذه .

فصغرت أعمال التلميذ في عينه وتحقق أن العلماء لهم أعمال قلبية خاصة بهم ، وان المريد الصادق يجب عليه أن يجاهد نفسه بالأعمال البدنية حتي يُمنَح الفقه فى القلب ولديها يكون عاملاً بقلبه وبدنه . وقد جهل كثير من المريدين أعمال القلوب عند أهل القلوب ، وشهدوا من العلماء الاقتصار على الفرائض والمسنونات، ورأوا بعض العباد يصومون الدهر ويقومون الليل فتعجبوا لخفاء السبب . اجعل معلم الخير كحقيقة جميلة أمامك وكن له كمرآة تنطبع فيها أخلاقه المحمدية وآدابه وعلومه وورعه ورحمته علي إخوانه المسلمين ، حتي تتكمل بكل معانيه وتكون له دالة على فضله وحجة له قائمة علي علمه بأخلاقك الفاضلة وورعك عن الشبهات ومخالفتك للناس . واعلم حق

العلم أنك إذا تهاونت في شئ من ذلك كنت كساع في ضرر نفسك وغيرك .

**فضل العالم ومنزلته :**

و إليك يا أخي ما ورد عن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ من الأحاديث الصحيحة : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ مَنْ دلَّ علي خيرٍ فله مثلُ أجر فاعِلِه ﴾ [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ مَنْ سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها وزرو من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ﴾ [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ :﴿ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولا تزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتي يأتي أمر الله وهم علي ذلك ﴾ [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ مَنْ نَفَّسَ عن مؤمن كُرْبَة من كُرَبِ الدنيا نفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر علي معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في مسجد من مساجد الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفت بهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بَطُؤَ به عمله لم يسرع به نسبه ﴾[2] وقال : ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من الطرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السَّمٰوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم علي العابد كفضل القمر ليلة البدر علي سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُوَرثّوا دينارا ولا درهما ، وإنما وَرَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ﴾[2] (( حديث حسن )) .

وقال أبو أمامة الباهلي رضى الله عنه : ذكر لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم . قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ فضلُ العالمِ علي العابدِ كفضلي علي أدناكم ﴾ ثم قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إن الله وملائكتهَ وأهلُ السمٰوات والأرض – حتي النملة في جحرها وحتى الحوت - ليُصَلُّون علي معلمِ الناسِ الخيرَ ﴾[2] وقال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ طلبُ العلمِ فريضةٌ علي كُلِّ مسلمٍ ﴾ وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ فقيهٌ واحدٌ أشدُّ علي الشيطانِ من ألفِ عابدٍ ﴾[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ مَن خرج فى طلبِ العلمِ فهو فى سبيلِ اللهِ حتي يرجعَ ﴾[2] .

هذه الأحاديث تبين لنا فضل العالم ومنزلته التى يجب أن ننزله فيها ، وهي شراب طهور للصادقين من المريدين يتناولون منها أسرار الواجب لمعلم الخير والآداب الواجبة له فإن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ حصر الخير كله في العلم ولا علم، إلا بمعلم ، فكان الخير جميعه لا ينال إلا بمعلم .

**الواجب في صحبة العالم الرباني الوارث لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ :**

يجب عليك يا أخي أن تنتهز فرص انشراح صدر معلم الخير وتسأله بآداب متعلم وسلوك متفهم عما لابد لك منه ، وأن تلازم مجلسه ، وأن تنافس في القرب منه ، فإن كنت جيد الفهم والحفظ فاحفظ ما يلقيه عليك من العلوم النافعة ، أو اجتهد أن تكتب ذلك إن لم تكن جيد الحفظ ، ولكن احذر أن تطلع عليه غير أهله إن كان من أسرار الحكمة أو من المكنون حتي تضعه في صدور أهله ، وإن كان من الأحكام أو من الإنذار أو من التبشير مما ينفع إعلامه ولا يضر ، يجب عليك يا أخي أن تذكِّر به إخوانك المؤمنين . ويجب عليك أن تعين معلم الخير بنفسك وبمالك وبجاهك حرصا علي دوام صفاء قلبه ، لأن عناءه في طلب الرزق أو من الخوف من الخلق يشغل قلبه ويضيعِّ وقته فيضيع العلم ، واجعل صحبتك له خالصة لله سبحانه وتعالي ولرسوله ﴿ ρ

وآله﴾ ، وجاهد نفسك حتي تذوق حلاوة أنك بصحبة العالم الرباني كأنك في معية رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ .

لأن العالم الرباني وارث رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، والوراث ينفق من مال مورثه ، وميراث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام العلم والحكمة . وتحقق أيها المريد المخلص أن العالم الرباني أنزله رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ منـزلة الأخ لجنابه ﴿ ρ وآله﴾ كما ورد بسند الإمام مالك في الحديث الطويل قوله ﴿ ρ وآله﴾ :﴿ واشوقاه لإخواني الذين لماَّ يأتوا بعد إلى قوله ﴿ ρ وآله﴾ : يحيون سنتي بعد مواتها ﴾[2] وسر ذلك يا أخي والله أعلم أن سيدنا ومولانا رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ خاتم النبين فلا نبي بعده ﴿ ρ وآله﴾ ، ومن إكرام الله تعالي لأمة حبيبه ﴿ ρ وآله﴾ أن جعل العلماء الربانين ورثة لرسوله ﴿ ρ وآله﴾ ، يقيمون حجج الله سبحانه ويجددون سنن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ . ومن الواجب عليك يا أخي لمعلم الخير أن تنشر محاسبته بين إخوتك المؤمنين بحالة متوسطة لا تنفر القلوب منه بالمبالغة ، ولا تفسد القلوب بأن تذكر ما أكرمه الله به من الكرامات وتنسي ما من الله به عليه من العلم والأخلاق والورع والتواضع والإخلاص .

و اعلم يا أخي أنك كما لا يمكنك أن تتعلم الأحكام الظاهرة إلا بمعلم عالم بها حي ، فكذلك يا أخي لا يمكنك أن تتعلم علوم اليقين وأسرار أهل التمكين وتذوق حلاوة التوحيد ، وتشهد أنوار التنـزيه والتفريد وتتجرد من أحوال الإطلاق والتقييد إلا بالعالم الحي الرابانى ، الذي يشرح لك أسرار العلوم ويبين لك غوامض الفهوم ، فلا تك ممن حجبته المعاصرة فحرم إمداد الحيّ القيوم ، واحتقر أهل زمانه واستصغر أهل عصره ، فإن فضل الله لا يقيد بزمان ومكان . ما يضرك يا أخي لو أنك سلَّمت للعالم فَسلِمْت من عقوبة الإنكار ؟ . أو أقبلت عليه فواجهك الله بالأنوار ؟ وأهم واجب لمعلم الخير يا أخي أن يكون حبك له وحضورك عنده وإقبالك عليه وبَذْلك له خالصا لوجه

الله الكريم وابتغاء فضله ورضوانه سبحانه وتعالي ، ورغبة الانتشال من أوحال التوحيد والسلامة والعافية من أمراض الجهل وآلام الغفلة ، عاكفاً بقلبك وجسمك عليه بإخلاص النية وصدق الطوية ، لأن من صحب العارف لغرض من أغراض الدنيا أو حظ من حظوظ نفسه عجل الله له ما يريد وحرمه أجر يوم القيامة سر قوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة (( يعني ريحها )) ﴾. واحذر يا أخي أن تصحب العالم الرباني وتتلقي العلم منه لمجادلة العلماء ومعارضة السفهاء وقهرهم لتعظم في أعين الناس وترفع درجتك عندهم ، فإن ذلك ربما أدي إلي سوء الخاتمة . قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ من طلب العلم ليجادل به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار ﴾ .

فإذا منّ الله عليك يا أخي بالعلم فأخلص لله سريرتك عاملا به بصدق وعلمه لإخوانك المؤمنين ابتغاء وجه ربك العظيم، زاهداً في أيديهم غير ملتفت إلى ثنائهم عليك وإقبالهم، ولا ذمِّهم لك أو إدبارهم عنك. واسمع يا أخي هذا الحديث الصحيح، قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إن أول الناس يقضي عليه يوم القيامة ثلاثة : رجل استشهد فأتي به الله فعرَّفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتي استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال رجل جرئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب علي وجهه حتي ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن : قال كذبت ولكنك تعلمت العلم وعلمته ليقال هو عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب علي وجهه حتي ألقى في النار . ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال :فما علمت فيها . قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا

أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب علي وجهه ثم ألقي في النار﴾[2] .

و احذر أيها المريد الصادق أن تجعل نعم الله عليك سبباً في العذاب يوم القيامة باستعمالها في غير ما أحب الله تعالي أن تستعمل فيه ، فإن من المريدين من إذا أحب العالم الرباني دعاه حبه لجهله إلي المبالغه فيه وانتقاد من سواه والاعتراض علي غيره فيكون قد فتح باب فتنة ، والمريد الصادق بآداب القرآن فإنه إذا جلس يذكر محاسن المرشد يجب عليه أن يحافظ علي كرامة العلماء ، فإذا ذكر أمامه عالم من السابقين أو المعاصرين أثني عليه بما يعلمه اقتداء بالقرآن المجيد سر قوله تعالي : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] ليرضي الله سبحانه ورسوله ﴿ ρ وآله﴾ : ويحصن قلوب إخوانه من دسائس الشيطان الرجيم . فإنه إن لم يعمل ذلك تمكن الشيطان منه ومن إخوته المؤمنين وجعلهم أعداء لمعلم الخير وقد بينت مراتب الرجال والواجب علي المريد للمرشد والواجب علي نواب المرشد في كتاب ( مذكرة المرشدين والمسترشدين ) بما أغني عن الإطالة في هذا المختصر ، علي أن يسرني أن يكون كل أفرد من افراد المسلمين لكل العلماء والمرشدين معينا لهم فرحا بهم ، ليتلقي عنهم الخير ويترك أعمالهم التى تخالف الشرع الشريف لأن الدعاة إلى الخير ليسوا معصومين . وما أضرنا – جماعة المسلمين – إلا التفرقة والاختلاف والانكار والجدل ، ورب رجل مسكين تنكر عليه وتعارضه وهو عند الله عظيم ، وماذا يضرنا لو أننا تلقينا العلم من كل عالم ونتخلق بـــــــــــــــــــــــــأخلاق رســـــــــــــــــــــــــول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، فإن العلم كله في العالَمِ وقد الله تعالي : (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) [2] والله سبحانه وتعالي يوفقنا جميعاً للعمل بما يحب ويرضي ويفهمنا أسرار كتابه ويجملنا بالعمل بسنة رسوله ﴿ ρ وآله﴾ ، إنه علي كل شئ قدير وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وورثته والتابعين .

## الباب الرابع
## الجهاد والمجاهدة
## الجهاد

الجهاد بذل ما في الوسع في سبيل الله تعالي ، وهو مقبول علي معنيين الأول إعلاء كلمة الله تعالي ، الثاني الرباط لحفظ ثغور المسلمين ودفع العدو عند هجومه على جماعة المسلمين ، قال الله تعالي : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {10} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {11} يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [2] وفي الخبر عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله

﴿ ρ وآله﴾ : ( من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً علي الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التى ولد فيها ، قالوا : أفلا نبشر الناس )[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فأسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلي الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة ﴾[2] وقال : ﴿ انتدب الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ﴾ وقال : ( والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أنى أقتل في

سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ) وقال : ﴿رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ﴾[2] عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : ( جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه فى سبيل الله ، فقال رسول الله ﴿ρ وآله﴾ :﴿ لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة﴾[2] .

و عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعيت باتت تحرس في سبيل الله ﴾ [2] وعن معاذ عن رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ قال : ﴿ الغزو غزوان ، فأما من ابتغي وجه الله وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد فإن نومه ونبهه أجر كله ، وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة وعصي الإمام وأفسد في الأرض فإنه لم يرجع بالكفاف ﴾ [2] عن عبد الله بن عمرو وأنه قال : يا رسول الله أخبرني عن الجهاد ، فقال : ﴿ إن قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا ، وإن قاتلت مُرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا ، يا عبد الله بن عمرو علي أي حال قاتلت أوقتلت بعثك الله علي تيك الحال ﴾

**كل مسلم مطالب بالجهاد :**

و الجهاد تعتريه أحكام شرعية : فقد يكون فرض عين وقد يكون فرض كفاية وقد يكون سنة مؤكدة . تفصيل ذلك مبين في كتب الفقه ، وما من مسلم إلا وهو مطالب بالجهاد بقدره ، إما بإعداد المعدات أو بها وبنفسه . فعلي العالم المتفنن أن يجتهد في اختراع ما به قوة سلطان المسلمين ، وعلي التاجر أن يجتهد في جلب ما به قوة المسلمين ، وعلي المزارع أن يعد ما به مساعدة المجاهدين . فكل مسلم في كل نَفَسٍ يجب أن يكون مجاهداً في سبيل الله وليس الجهاد قاصراً على مجاهدة العدو فإن من جهز غازيا كأنه جاهد فى سبيل الله . وعلي معلم الصبيان أن يبث فيهم روح الغيرة علي الدين والمدافعة عنه وعن أهله والجهاد هو العبادة التى تنبئ بكمال الإخلاص لله تعالي والتصديق لما بشر الله به . وقد كان النساء يجاهدون في سبيل

الله بما استطعن إما بالْغَزْلِ أو بالنسيج أو بتجهيز الأغذية أو بضماد الجروح أو بنقل الماء حتي كانت المرأة تقص شعرها ليكون قيداً لدابة يجاهد عليها مسلم في سبيل الله لتكون جاهدت ، حتى كان كل مسلم وكل مسلمه فى كل نفس يرى نفسه مجاهداً بأى معنى من معانى الجهاد ، حتى الأعمي فإنه كان يتوجه إلى بيوت إخوانه المجاهدين ليقضي لهم حاجتهم لُيكْتَب عند الله مجاهداً .

و الجهاد يُنْتِج نتيجتين حقيقيتين : الأولى : علو الكلمة وعز أهلها والغنيمة . الثانية : الحياة الطيبة في فردوس الله الأعلي والفوز برضوانه الأكبر . ولم ترى عينى ولم تسمع أذني بتجارة تربح هذا الربح أبداً إلا الجهاد في سبيل الله ، وإني علي يقين أن أصغر مسلم يعلم أن كلمة الله لا تعلو إلا به ، وأن العز الحقيقي لا يكون إلا بالجهاد ، ولاشرف ولا مجد أعلى من هذا ، أسأل الله تعالي أن يكشف لقلوبنا حقيقة الجمال الرباني الذي به ننجذب بكليتنا إلي الرضوان الأكبر .

**المجاهدة :**
قال الله تعالي : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [2] وقال تعالي : (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ) [2] وعنه ﴿ ρ وآله﴾ أنه قال: ﴿ جئتم من الجهاد الأصغر إلي الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد المرء هواه ﴾ وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ﴾ [2] والمجاهدة بذل الوسع في فعل ما يرضي الله تعالي وترك ما يسخط ، وبالمجاهدة تحصل رياضة النفس . ومن زين ظاهره بالمجاهدة زين الله باطنه بالمشاهدة ومن لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من عَرْفِ الطريقة شَّمةً . وقال سهل بن عبد الله : ما عُبد الله بشئ مثل مخالفة النفس والهوي ، ومن جعل زمامه في يد الشرع قاده إلي النور ، ومن جعل زمامه إلى الهوي قاده إلى

الظلمة . وكذلك قال الله تعالي : ﴿ اللهُ وَلِـيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَـى النُّـوُرِ . . .﴾ [2] . وورد فـي الحـديث أن المعاصـي إذا كثرت يختم لصاحبها بالكفر والعياذ بالله تعالي .

و ممن أقيم في المجاهدة من الصحابة رضوان الله عليهم عبدة بن هلال ، وكان قد أقسم علي نفسه أن لا يشهد عليه ليل بنوم ولا شمس بظل أبدا فأقسم عليه عمر أن لا ينهك نفسه ويرفق بها . وقال إبراهيم بن أدهم : لا ينال الرجل رتبة الصالحين حتي يجوز ست عقبات ، الأولي : يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة . الثانية : يغلق باب الراحة ويفتح باب التعب . الثالثة : يغلق باب العز ويفتح باب الذل . الرابعة : يغلق باب النوم ويفتح باب السهر .

الخامسة : يغلق باب الغني ويفتح باب الفقر . السادسة : يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت . والمجاهد لنفسه في رضاء الله تعالي تعترضه المحن والشدائد ويتعاهد بالبلايا حكمة من الله تعالي لصلاح العبد ولطفا به في آخرته ، ليعوَّضه بذلك بالملك العظيم وسعادة الأبد إن صبر ورضي . وفسر العلماء بالله تعالي المحن بستة أشياء والأول : الأمر والنهي مع غيبوبة الثواب والعقاب . الثاني تركب الهوى . الثالث : تطيع الشهوات . الرابع : تسليط الشيطان . الخامس : خلق المشتهيات . السادس : تحببه للكسل والراحة .

**الحكمة في الابتلاء والامتحان :**
و الحكمة في الابتلاء والامتحان شيئان : أحدهما : التمييز بين المطيع والعاصي بالفعل ليظهر في الدنيا من المطيع طاعته ومن العاصي عصيانه ، قال الله تعالي : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [2] أي حتى تعلم ذلك منكم واقعا لأن الموجود قبل الابتلاء إنما هو العلم بأنه سيوجد من العبد طاعة أو عصيان ، وعند الابتلاء يحصل العلم بوجود الطاعة أو المعصية من فاعلهما .

والثانى: ليستوجب من صبر الثواب ومن جزع العقاب . وقال بعض أهل المعرفة : البلوي أدب للظالم وسياسة ورياضة للتائب ، وتفقد وتطهير للأولياء ، وعبادة للأنبياء ، وشدد الله البلاء علي الأنبياء والخواص من أتباعهم ليكونوا دائماً فى التضرع إليه والمناجاة معه ، لأن الله تعالي يبغض الدنيا فامتحن أولياءه فيها لئلا يميلوا إلي مبغوضه . ومن المحن أن يجعل الله الطاعة ثقيلة والمعصية خفيفة ، قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ حُفَّتْ الجنةُ بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات ﴾ والحكمة في ذلك كما قال سيدنا على عليه السلام : ﴿ لئلا يأتي بابه كل سفلة ﴾ وقال بعضهم : ما الذي يقطع العبد عن الله تعالي بعد وصوله إليه ؟ فقال : الواصل علي ثلاثة أقسام : واصل إلي الآخرة يقطعه الميل إلى الدنيا ، وواصل إلي الدرجات والأحوال يقطعه حب الشهوات في الآخرة ، وواصل إلي الله ولا مطمع للقطع فيه لقوله تعالي : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [2] وفي الخبر عن بعض الأكابر : ( ما رجع من رجع إلا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ) .

و اعلم أن هذا الزمان لا يصل أحد فيه إلي شئ من الحقيقة إلا بذبح نفسه بالصبر وقتلها بالجوع والفقر والذل ، وتقرّيبها بالذكر والعلم ، وهدم الدنيا باليقين والزهد، وعمارتها بالمعرفة والطاعة ، ومجاهدة الأعداء واستئصالهم وهم الهوي والشهوات والشيطان ، واعلم أنك مطبوع علي أمور منها حسنة ومنها سيئة ، فأعدي أعدائك سيئات طباعك وأولي أوليائك حسناتها ، فقابل السيئ من طباعك بالحسن منها ، واطلب من الله تعالي المعونة والصبر والنصر فقد بليت في حر بها ومكايدها وجهادها بحرب لا حرب أنفع منه لك ، فإن رزقت الظفر وإلا فأنقص ما عليك الهزيمة منها فقد كان النبي ﴿ ρ وآله﴾ يأمر الصحابة بالجد والجهاد في العبادة وكان يداويهم بالدواء البالغ النافع ، فمن رآه قد أنهك نفسه في العبادة أمر بالرفق بنفسه فقال لحنظلة بن الراهب لما قد أنهك بالعبادة : ﴿ يا حنظله ساعة وساعة ﴾ وقال لغيره

: ﴿ جدوا واجتهدوا ﴾ . والمجاهدة سفينة النجاة تنتهي بصاحبها إلي بر السلامة ، ومجاهدة الصديقين مع الحظرات ، ومجاهدة الأبدال مع الفكرات ، ومجاهدة الزهاد مع الشهوات ، ومجاهدة التائبين مع الزلات .

**المسارعة لنيل السعادة :**

اعلم أن السعادة التى تجاهد لنيلها والشقاوة التى تجاهد لنفسك علي النجاة منها لا نهاية لها ولا انقضاء ولا آخر ، بل ذلك أبد الآباد ، لا يتصرم بتصرم الأحقاب والآباد ، بل لو قدرنا الدنيا مملوءة من الدخن من مشرقها إلى مغربها ، وقدرنا طائراً مختطفاً في كل خمسمائة ألف سنة حبة واحدة من ذلك الدخن ، لفني الدخن ولم ينقض ذلك الشقاء ولا ذلك النعيم ، لأن الأبد لا ينقضي . وهذه الشقاوة الدائمة فيها أنواع البلايا والآلام والعقوبات والحسرات ما قد شرحه الله تعالي في كتابه وأخبر بهنبيه ﴿ ρ وآله﴾ مجملا ومفصلا ، وأما السعادة فهي لذة وسرور بلا كدورة ، وغني بلا فقر ، وكمال بلا نقصان ، وعزٌّ بلا ذل ، وراحة بلا تعب ، وبالجملة فهي كما أخبر الله تعالي في كتابه وقال تعالي : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴾ [2] وقال تعالي : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [2]

وكما قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إن الله أعد لعباده الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر ﴾ [2] فمثل هذا لا يحتاج إلي الإحثاث في طلبه ويقبح الفتور عنه . إذ كل عاقل مسارع إلي أقل منه لا يصرفه عنه كون الطريق إليه متوعرا ، ويحوج إلي ترك لذات الدنيا واحتمال أنواع من التعب ، فإن مدة الدنيا واحتمال التعب فيها بالمجاهدة والعبادة قصيرة والغاية من اللذات والشهوات فيها قليل ، تنقضي وتنصرم عن قرببيب ، فإن مدة عمر الانسان في الدنيا قصيرة بل ما يبقي من عمر الانسان في الدنيا بالإضافة إلى ما مضي منها قليل جداً . وقال ﴿ρ وآله﴾ : ﴿ بعثت والشمس في أطراف النخيل ﴾[2]

والعاقل يترك القليل العاجل لأجل تحصيل أضعافه في الآجل . ولذلك تري الخلق في التجارات والحرف يتحملون التعب والنصب في الحال طمعاً في حصول منفعة وراحة في المستقبل تزيد علي ما يفوتهم في العاجل زيادة محددة ، فكيف لا يسمحون بترك لذة عاجلة للتوصل إلى نعيم الأبد وسعادة السرمد ؟ ولكن فتور الخلق عن سلوك طريق السعادة إنما هو لضعف ايمانهم باليوم الآخر وضعف إيمانهم سببه الغفلة عن الفكرة في المعاد وعن شهود الوعد والوعيد ، وتلك الغفلة مستمرة لأوقاتهم ، ، لا ينتبهون منها ما دامت متوالية وهي كذلك . وليس لهم واعظ مخلص ولا مذكِّر زكي القلب لأن البلاد قد خلت من مثل هذا ، ولو فرض ووجد عالم زكي القلب يذكر الناس ويعظهم لم يلتفت إليه وإذا التفت إليه وأذعنت النفس للقبول منه والعزم علي التوبة هجم عليها عقيب ذلك عوارض الشهوات ومحبة الراحة والكسل ونيل اللذات وقضاء الأوطار ، فعارضت تلك الشهوات ذلك الباعث الضعيف علي التوبة فمحته وأزالت أثره وأعادت حجاب الغفلة ، ويكون ذلك دأب باعث المعاصي مع باعث التوبة والطاعة أبدا مادام الإنسان حيا ، لا يزال هذا دأبه الى الموت وعند ذلك لا يبقي له إلا التحسر بعد الفوت ، ولا يغني عنه التحسر شيئاً . وكان النبي ﴿ ρ وآله﴾ كثيراً ما ينذر قومه وعشيرته ويوقظهم من نوم الغفلة وينذرهم بنذير الله ويقول : ﴿ يا معشر قريش – أو نحو ذلك – اشتروا نفوسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً ﴾ وعنه ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم ، وما من أحد إلا وله شيطان وإن الله أعانني علي شيطاني حتي ملكته ﴾ .

**التمييز بين دعوة العقل ودعوة الهوي :**

اعلم أنه يلتبس علي بعض الناس دعوة العقل بدعوة الهوي ، فيظن أنه منقاد للعقل متبع دواعي الشرع وهو في الحقيقة شيطان مريد لأنه ما تبع إلا هواه ، وما انقاد إلا لشهواته .. وهو يتعلل لأغراضه لأنها من

الدين ، وأن طلبه لها من الدين ، حتى أن جماعة اشتغلوا بالوعظ والتذكير والقضايا والفتيا وتدريس العلوم والخطابة وأنواع الرياسة وهم فيه متبعون للهوي ، ويزعمون أن باعثهم الدين ويحركهم لهذه الأمور طلب الثواب ومناقشتهم فيها من جهة الشرع . وهم في ذلك مغرورون . ويكشف لهم عن زلتهم وغرورهم أن الواحد منهم إن كان يفعل لله تعالي وقصده دعوة الخلق إلي الله تعالي وإرشادهم ونصحهم ، فلا يغتم ولا يسوءه إذا جاء مكانه واعظ غيره أو قاض غيره أو متصد غيره ممن هو أحسن سيرة منه وأكثر منه علماً وأنصح للناس وتضاعف أقبال الناس عليه ليفرح به ويسر بوجوده ، ويشكر الله تعالي علي سقوط هذا الفرض عنه بغيره ومن هو أولي منه به فإن كان كذلك فهو صادق وهيهات أن يكون كذلك. فإن قلت : فإذا كان لا يأمن مثل هذا التلبيس والانخداع ببروز الشيطان وغروره كما حكيت عن هؤلاء المغرروين فبم تميز بين دعوة العقل ودعوة الهوي ؟ قلنا الذي ينبغي أن يرجع إليه عند هذا التحير أن يعلم أن العقل في أكثر الأمور يشير بالأصلح للعواقب وإن كان فيه ثقل أو مشقة في الحال ، والهوي يشير بطلب الراحة وترك التكلف ، فمهما عرض لك أمران ولم تدر أيهما أصوب فعليك بما تكره لا بما تهواه ، فأكثر الخير فيما يكرهه الإنسان ، قال تعالي : ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ [2] وقال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ﴾[2]

و بالجملة فكل ما سعت إليه نفسك مما فيه لذة ووطر وراحة ورفاهية وحط الكلف في الحال فاتهم نفسك فيه فإن حبك الشئ يعمي ويصم ، وما يترجح في قلبك من الإقبال علي العبادة والاحتراز عن خطر الآخرة واجتناب مخالفة الله تعالي في أمره ونهيه فهو من إشارة العقل فخذ به والزمه .

**المجاهدة لا تتم إلا بالتثبت ولا تتحقق إلا بالصبر :**

كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام علي غاية ما يمكن من المجاهدة لأنفسهم مع أنهم مقطوع لهم بالفوز والدرجات العالية يأمرون أممهم وأتباعهم بالمجاهدة لأنفسهم ، وكان في التابعين المجاهدون الصابرون ، وبلغ من أمر جماعة من الصحابة في المجاهدة مبلغاً عجز عنه من جاء بعدهم من الخلق . هذا ولا تتم المجاهدة إلا بالتثبت ولا تتحقق إلا بالصبر فإذا عرض للمريد عارض الهوى والشهوة احتاج إلى التثبت والصبر . وأما وجه احتياجه إلى الثبات فلآن الثبات حاجز بين العبد وبين المعصية ، ويقوي عند الثبات الخوف بالوعيد والرجاء والحياء من الله تعالي لعظمته وجلاله ونعمه وإحسانه . وحقيقة التثبت هو التوقف والتأني قبل الفعل ليتبين للفاعل غوائل الفعل وقبح عاقبته . وأقوي المتثبتين وأشدهم رعاية لحقوق الله تعالي ومراقبة لعظمته وجلاله من راعي أحكام الله تعالي المتعلقة بأفعاله عند وقوع الخواطر الداعية إلى العزم والأفعال ، ولم تعمه الشهوة ولم تستهوه اللذة . وحديث النفس معفوٌّ عنه شرعا لقوله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ عُفِيَ عن أمتي ما حدَّثت به نفوسَها ﴾ . والذي يعصي المكلف به هو ترك التثبت في الفعل المحرم عند وقوع العزم عليه ، وكذلك يعصي بترك التثبت في الفعل الذي يجهل حكمه ، ويعصي بعدم التثبت عند الشروع فى الفعل والأخذ منه والاسترسال فيه بطريق الأوْلى . وأما وجه احتياج المجاهد إلى الصبر فظاهر لأن الله تعالي خلق الإنسان مطبوعاً علي الشهوات والميل للذّات والنفرة عن كل مؤلم ومشق،فيحتاج المجاهد لتثبته الى الصبر كما يحتاج إلى التثبت قال تعالي : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فإن الجنة هي المأوي﴾[2]

**مجاهدة النفس بالرفق والتدريج :**

و اعلم أنه يجب أن تكون المجاهدة والرياضة بالتنقل والتدريج والرفق بالنفس شيئاً فشيئاً ، ولا يهجم عليها بما يشق عليها من

الأعمال فتنفر منه نفورا شديدا يخشي منـه التـرك والخـروج بالكليـة ، فيجب الرفق بها إلى أن تتعود ذلك . وهذا هو الـذي نبـه عليـه الصـلاة والسلام بقوله :﴿ إن المُنْبَتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ﴾ .

فإذا أراد المجاهدة نقل نفسه عن عوائدها المذمومـة إلـى المحمـودة ، فليمنعها من الفعل المذموم ، وليذكرها مـا ورد مـن الوعيد علـي فعل المذموم والوعد علـي فعل المحمـود ، فـإن ثقل عليـه ذلك قطـع عنهـا لذاتها الناجزة وداوى نفسه بترك الشهوات العاجلـة ، ومـن عـزم علـي تحصيل مقام السخاء مثلا فطريقه إلزام نفسـه القيـام بـإخراج الواجـب من الزكاة والنذور والكفارات ونفقة الأب والأولاد الصـغار والزوجـة وغيـرهم مـن العيـال ، فـإذا قـام بـذلك بسـهولة عـوَّد نفسـه الإنفـاق فـي المنـدوب . وإذا وصـل إلـى ذلـك آثـر علـي نفسـه ذوي الحاجـات ، ثـم ينتقل إلى الزهد في حظوظ نفسه في الترفـه والراحـات . فهذه طريـق المجاهدة والرياضة يُدَرِّج العبد نفسه في سلوك الطريق إلى مولاه مع الرفق بنفسه . والانقطـاع إلى الأعمال دفعة وإخراج مـا فـي اليد دفعـة واحدة منهيٌّ عنـه ، فـإن قيـل ان الصـدِّيق رضـي الله عنـه أتـى بجميـع ماله إلى النبي﴿ ρ وآله﴾ ليخرجه في سبيل الله ، قلنا : ذلك لأن الحاجـة كانت إليه متأكدة إذ كان ذلك وقت فاقـة وضـرورة وبالمسلمين حاجـة إليه ، وأيضاً فإن الصدِّيق كان عنده من الوثوق والصبر واليقين بـالله تعالي ما ليس عند غيره . ولا بـأس أيضـاً بـأن يرقّـع المجاهدة لنفسـه بالعبادة بشئ من المباحات لِيَقْوَى بذلك علـي الطاعـات ، وينتفـي عنـه الملل ويزول عنه السأم . قال الإمام على υ ﴿ روحوا النفوس فإنها إذا كرهت عميت ﴾ والشريعة جاءت بمداواة النفوس المريضـة وتطبيـب القلوب المعلومة .

**مجاهدة الخواص :**

لمـا كانـت المجاهـدات إنمـا قررهـا الشـرع لمـادواة النفـوس وسياسـتها حتي تنطبع علي الجميل الشرعي ، وتتقلل من الدنيا فراغاً للقلـب مـن

الاشتغال بغير ما خلق الإنسان له ، كان ولابد من السير مع النفس برفق حتي لا تملّ ولا تنقطع ولا تتعاصي علي المريد ، فإذا صفت النفس وطهرت من لقسها وأشرقت عليها أنوار ملكوت الله الأعلي تميزت لها المراتب وظهر الفاني والباقي وما ينفع في الآجل وما يضر ، انجذبت بالكلية إلى الخير بحسب مقامها الذي وصلت إليه . فقد يكون الخير المقصود لها الجنة فتزهد في الدنيا وما فيها إلا ما يوصل للمقصود ، وقد يكون المقصود مقعد صدق فتقبل بالكلية إلى نيل الكمالات الروحانية بالعلم والمعرفة ، وقد يكون المقصود الرضوان الأكبر فتنصب بكليتها علي الذكر الأكبر . وفي كل مقام من المقامات تتخلي عن مألوفاتها مما لا يسع هذا المختصر شرحه ن وقد يكون المقصود النظر إلى الوجه المقدس فيصغر فى عينها كل شئ . ومراتب المجاهدات تكليف فتعريف فمجاهدة فقربات فتلذذ بالشدائد والمتاعب ، وقد ألمعنا إلى نموذج من هذا كتاب ( شراب الأرواح ) وفي كتاب ( مذكرة المرشد و المسترشد) عندما شرحنا أحوال المسلم والمؤمن والمحسن والموقن . وفي كتاب (أصول الوصول ) عند مقام التوكل والرضا والتفويض . فإذا انتقل المريد من مقام التكليف إلى التعريف بذل النفس والنفيس في طلب الرجل ليتلقى عنه أسرار المعرفة ، فإذا ظفر بالرجل أبدل صفاته الأولي بصفات أخري . فأبدل العز بالذل للرجل ، والأمن بالخوف ، والعلم بالجهل والتكبر بالتواضع حتي إذا رآه معارفه أنكروا عليه وشنعوا عليه . وربما خرج الرجل من ماله وجاهه لمن يعرّفه ربه متلذذا فرحا . ولكن لا يحسن هذا إلا لمن انتقل من التكليف إلى التعريف واستعدت نفسه لتلقي أسرار الحكمة وغوامض أسرار الغيوب . ويكون النظر في وجه الرجل خير له من عبادة سبعين سنة . فكيف لا يكون خيراً من ماله ؟

و لا يكون ذلك حقا إلا إذا كان الرجل رجلا حقيقيا وارثا لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ علما وعملا وحالا وخلقا ، حتي تكون الصحبة صحبة

لرسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ، والمواجهة مواجهة لرسول الله والسير علي صراط الله ، والعمل علي سنة رسول الله ، والحال من روحانية رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ . عند ذلك يحلو التفضح ويجمل خرق العادة من مألوفاته وأحواله ، ويطيب تحمل الشدائد بلذة واستقبال المصائب بسرور ، والإعراض عن الجاهلين ومخالفة النصحاء الذين لا يعملون حاله ولم يذقوا مذاقه . والأجمل عندي بهذا المريد الصادق أن يستر نفسه من الخلق ويجتهد في مداراتهم فراغا لقلبه من الاشتغال بهم ، وسترا له عن أعين عمياء عن شهوده ، وقلوب غلف عن استخضار أحواله ، وآذان صماء عن سماع الحكمة .و إلا كان ذلك شغلا لقلبه وضررا لغيره . ولا الوم علي رجل نظر بعيني رأسه هوة أمامه تسكنها الأفاعي وتأوي إليها الحشرات المضرة ففر منها إلي ما رآه أمنا وسلامة ، وحارب من جذبه إليها ولام عليه علي الفرار منها ، وليس من شهد بعيون بصيرته كمن شهد بعيون بصره ، وتلك الأحوال العالية والأسرار الغالية لا تكون إلا علي يدي الوارث الكامل ، ومن الأفراد المؤهلين للوراثة المحمدية . وليست دعوي وتقليدا ولا تكلفا وشهرة . ومن ادعاها أو تكلفها لا يلبث إلا ريثما يرجع إلى ما كان عليه. وما انقطع من انقطع بعد الوصال وإنما انقطع من الطريق . وإذا وقعت العين على العين وزال البين من البين وشهدت عين القلب مشاهد عليين النورانية وأعلى عليين سر تنزلات الجمال الإلهي ، وظلمات أسفل سافلين هاوية السخط والقطعية والعذاب الأليم ، كيف يرجع بعد وصله ؟ أو كيف يرتد بعد قربه ؟ وقد بشرهم الله بقوله سبحانه وتعالي : ( أولئك لهم المن وهم مهتدون ) [2] وشنع على قوم ارتدوا بعد إسلامهم لأنهم لم يصلوا بقوله سبحانه : ﴿لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ [2]

**أئمة أهل المجاهدة :**

أقمار أهل الصُّفَّة الذين كان الرجل منهم رضي الله عنهم ينصرع وهو في الصلاة من الجوع مع أنه يمكنه أن يعمل عملاً يكفيه ويكفي

مائة معه ، ولكنه شهد من مشاهد القرب وسمع من أسرار الحكمة القدسية ما أفناه عن كل لذة زائلة وبهجة فانية ، ولكن الله تعالي حفظهم بالأنوار المحمدية الإلهية من لمة الشيطان ووسوسة الخناس حتي زمان التابعين الذين شهدوا انوار مواجهات رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ فى الصحابة ، واستمدوا من الفيض المحمدي المفاض علي النفوس التى زكاها بنفسه ﴿ ρ وآله﴾ ، ثم قام الأفراد المطلوبون للقرب فكانت قلوبهم عامرة بالحب ، ولكن شوب تلك الأنوار ببعض الحظوظ والأهواء جعل للشيطان لمة بالقلوب ، فكانوا رضي الله عنهم وأرضاهم يقهرون النفوس علي الأعمال الشاقة لتنفطر علي الجميل من كل شئ ، فكنت تري الرجل منهم يترك العمل للدنيا ويتسول علي الناس لتذل نفسه وتنقاد له ، أو يعمل الأعمال المهينة ليحتقر في عين نفسه أو يلقي بنفسه في يم المصاعب والمتاعب بأن يهجر العمران ويسكن الغابات والصحاري فراغا لقلبه مما يشغله . أو يقيد نفسه ويحبسها في خربة . أو يعرض نفسه لأذية الناس وسبهم ، كل ذلك جهاداً لنفسه ورياضة لها وقهراً لها لتعينه علي نيل السعادة الحقيقية والفوز بالرضوان الأكبر لأنه شهد بنفسه ، فإذا انطبعت علي الكمال وفطرت علي حب الخير ولانت علي الطاعة رجع إنسانا كاملاً . وكم من سيد من سادات أهل الصَّفَّةِ ممن كان الرجل منهم يتصرعه الجوع تولي الولايات العظيمة وأصبح له خدم وحشم ، ولو أن الدنيا بما فيها عرضت إليه في حال مجاهدته لفر منها كما يفر من النار

**قهر النفس بأمر المرشد الكامل الوارث :**

كل تلك الكمالات لا ينبغي لمريد سالك أن يتكلفها ولا يقهر نفسه عليها إلا بأمر المرشد الكامل الوارث ، لأن للنفوس نزوع إلى المهاوى المهلكة تهوي فيها علي صورة مجاهدة للنفس علي مدارج المجاهدة . كما تري بعض الناس يحبس نفسه ويصوم النهار ليكون له تصريف ينفع ويضر ، وبعضهم يطيل أظافره ويلبس المرقعات ويطأطيء رأسه ويبغض الأكل الطيب والفراش الطيب وينفر من الناس لتكون

له الشهرة والسمعة . وبعضهم يترك الأسباب ويدعي وليستريح من عناء طلب الرزق ويجئ له كل شئ ، وبعضهم يعمل أعمال الصديقين ويظن لجهله أن اسرار الروحانيات الملكوتية عن عمل أوفاق استخدام عفريت ، أو إرسال هاتف أو علم بما وراء الجدران او بما ضاع من الناس ، حتي وضعوا كتبا سموها علم الروحاني وجعلوها قواعد لعمل السحر . كل ذلك لم يكن إلا لقهر النفس علي عمل لم يأذن به المرشد ولم يكن علي يد وارث . ولا تشك أيها الأخ البار أن النفس إذا صفت من الهموم الكثيرة والاشتغال بها يجلى لها بقدر همة المريد ونيته ، فإن كان همته الدنيا كان ذلك منفرداً بنفسه أو علي يد جاهل بطريق الله ، لأن المرشد الحقيقي يعرج بالناس من الدنيا إلى الآخرة ، ومن الآخرة لحضرة القدس ولا يهوي بهم .

**التسليم للمرشد الكامل :**

أعظك أيها الأخ الصالح أن تجتهد في طلب الرجل المرشد الحقيقي ، وأنبِّه فكرك أن تجعل ميزان الرجال أعمال أئمة الهدي من المقتدي بهم ، لأن المرشد غير المريد . فالمريد ليس إماما والمرشد إمام يقتدي به . فإذا تحققت أنه علي الصراط المستقيم عالم بالطريق والنفوس وطرق تزكيتها عارف بالله كن له كالميت بين يديه فإنه عناية الله لا يخرجك إلا مخرج صدق ولا يدخلك إلا مدخل صدق ، ولا ينزلك إلا منزلا مباركا . فاخرج له مما أمرك أن تخرج منه وادخل معه فيما أمرك أن تدخل فيه ، وانزل معه في كل منزل نزل فيه أو أمرك بالنزول فيه ، معتقداً أنك علي الحق ، مبتهلاً إلى الله تعالي أن يمنحك المزيد ويعيذك من السلب . ومهما كانت رياضة النفس ومجاهدتها لا تبلغ بالمريد حدّاً تخرجه عن سنة رسول الله ، أو توقعه في المساخط والملاعن ومعصية الله ، فإن ترك الأسباب الفانية والتعلق بالأسباب الموصلة ليس من المعصية وقهر النفس علي الأعمال التى نحقرها في عين المريد كخدمة نعال الإخوان وكترك الزينة والبهجة وكترك المألوف المعتاد وهجران إخوان السوء وترك

الوظائف العالية والرضا بالقليل من الدنيا بأن كان عالماً فترك وظيفة العلم وعمل سقاء ، وكترك التكسب بعمل الرياسة والتكسب بخدمة حمل الأثقال ، أو خدمة العامة في الأسواق أو الاتجار أو ترك مجالسة ، الأمراء والوزراء ومجالسة الفقراء والمرضي ، أو الخروج من ماله ابتغاء مرضات الله تعالي ، كل ذلك من المجاهدات الموافقة للسنة . واللوم عليه فيها لا يضره ولا يضر من عارضه لأنه علي سنة وهم علي سنة . فكأنه بعمله أحيا سُنَناً خفية وأعان الناس علي أحياء سنن جلية . وليس من خرج عن حصون الشريعة وظن أنه يزكي نفسه بمريد لأنه اضر نفسه وأضر غيره ، أمّا أضر نفسه فلأنه عمل ما لا يؤمر به شرعا ولا يكلّف به من الأستاذ فكان مخالفاً للشرع مخالفاً للمرشد ، وأما ضرره لغيره فإن من الناس من يقلده ومنهم من يشنع علي المرشد الكامل فيكون وأضر نفسه وشنع الناس علي المرشد بسببه وأكمل مريد من جعل مجاهدته لنفسه وخروجه عن الاعتدال أمام من لا يعرفه ، أو يخرج عن الاعتدال بقهرها علي ما يحبه الله ورسوله ليكون قدوة لإخوانه ونجما مشرقا في سبيل الهداية وأخا معينا للمرشد علي عمله . ومن دعته نفسه إلى غير ما قررت فالواجب عليه المسارعة إلى التوبة والرجوع إلى ما قررت وانتظار إشارة المرشد بصدق عزيمة وطهارة طوية وإخلاص نية مفارقا نفسه وكل مخالف له . فإن المرشد الكامل أعلم بنفسك وبخلاصها منك ، وأعلم بما تتحمله من الأعمال وما تستطيعه من الأحوال والله سبحانه أسأل أن يمن علي وعلي إخواني جميعاً بالتوفيق لما يحب من الأقوال والأعمال والأحوال إنه مجيب الدعاء وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

**المتحابُّون فى الله :**

بسند الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إن الله تبارك وتعالي يقول يوم القيامة : أين المتحابون لجلالي ، اليوم أُظِلُّهم في ظِلَّى يوم لا ظِلَّ إلا ظلى ﴾ [2] وقال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ :

﴿ سبعة يُظِلُّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إليه خرج منه حتي يعود اليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا علي ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعته ذات حسب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ﴾[2] وعنه ﴿ ρ وآله﴾ أنه قال : ﴿ إذا أحب الله العبد قال لجبريل : قد أحببتُ فلانا فأَحَّبه ، فيحبُّه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله قد أحب فلانا فأَحِبُّوه فيحبُّه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض . وإذا أبغض الله العبد . . قال مالك : لا أحسبه إلا أنه قال في البغض مثل ذلك ﴾ [2]انتهي ما أورده الإمام مالك رضي الله عنه .

**من الأحاديث الصحاح :**

قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾: ﴿ الأرواح جنودُ مجندَّة ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف ﴾[2] وقال ﴿ ρ وآله﴾: ﴿ إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلانا فأحبه، قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب قلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض . وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلانا فأبغضه ، قال فيبغضنه ، ثم توضع له البغضاء في الأرض ﴾[2] وقال﴿ ρ وآله﴾: ﴿ إن الله تبارك وتعالي يقول يوم القيامة : أين المتحابّون بجلالى ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلى ﴾ [2] ،وعن أبى هريرة عن النبي ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ إن رجلا زار أخا له في قرية أخري ، فأرصد الله له علي مدرجته ملكاً قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه﴾[2] عن أبى مسعود أنه قال : ﴿ جاء رجل إلى رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ فقال : يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال ﴿المرء مع من أحب ﴾ [2] عن أنس أن رجلاً

قال : ﴿ يا رسول الله متي الساعة ؟ قال : ويلك وما أعددت لها ، قال ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله ، قال ﴿ أنت مع من أحببت ﴾[2] وقال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يجذبك وإما أن تبتاع منه وأما أن تجد منه ريحاً طيبه ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحاً خبيثة ﴾ [2]

**من الأحاديث الحسان :**

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ يقول :

( قال الله تعالي : وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين فيّ ، والمتزاورين فيّ ، والمتباذلين في ) [2] وفى رواية قال : يقول الله تعالي : ﴿ المتحابّون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء ﴾[2] عن ابى مالك الأشعرى انه قال : كنت عند النبي ﴿ ρ وآله﴾ إذ قال : ﴿ إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة ، فقال أعرابي : يا رسول الله من هم ؟ فقال هم عباد من عباد الله ، من بلدان شتي وقبائل شتي لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ، ولا دنيا يتباذلون بها ، يتحابون بروح الله ، ويجعل الله وجوههم نورا ، وتجعل لهم منابر من نور قدام عرش الرحمن ، يفزع الناس ولا يفزعون ، يخاف الناس ولا يخافون ﴾[2] عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : لأبى ذر : ( يا أبا ذر أي عري الإيمان أوثق ؟ قال: الله ورسوله أعلم ، قال الموالاه في الله والحب في الله والبغض في الله ) [2] وعن أبى هريرة أن النبي ﴿ ρ وآله﴾ قال : ( إذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال الله عز وجل طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا ) [2] عن المقدام بن معد يكرب عن النبي ﴿ ρ وآله﴾ أنه قال : ( إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه ) [2] .

عن أنس أنه قال : ( مّر رجل بالنبي ﴿ ρ وآله﴾ وعنده ناس فقال رجل ممن عنده:إنني لأحب هذا لله ، فقال النبي : ﴿ أعلمته ؟. قال : لا ، قال : قم إليه فأعلمه ، فقام إليه فأعْلَمَهُ فقال : أحَّبك الذي أحببتنى له ، قال : ثم رجع فسأله النبي فأخبره بما قال ، فقال النبي : أنت مع من أحببت ولك ما أحتسبت ﴾ وفي رواية : ﴿ المرء مع من أحب وله ما اكتسب ﴾ [2] وعن أبى سعيد أنه سمع النبي ﴿ ρ وآله﴾ يقول : ﴿لا تصاحب الإ مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي ﴾ [2] وعن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ المرء علي دين خليله ، فلينظر أحدكم من بخالل ﴾ [2] عن يزيد بن نعامة أنه قال : قال رسول الله ﴿ ρ وآله﴾ ﴿ إذا آخي الرجل الرجل فليساله عن اسمه واسم أبيه وممن هو ، فإنه أوصل للمودة ﴾ [2] .

قال ﴿ ρ وآله﴾ : ﴿ نظرة في وجه أخ في الله علي شوق إليه ، خير من أجر من اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة ﴾

**هذه الأحاديث**
النبوية وردت في الحث علي اتخاذ الإخوان والإكثار منهم ، وقد تقدم لنا في كتاب: ( معارج المقربين ) تفصيلاً وافياً في هذا الموضوع ، بينا فيه طريق انتقاء الإخوان ومعرفتهم والمحافظة عليهم ، إنما أريد أن أشرح هنا بعض ما يخفي علي الإخوان .

**خير الإخوان :**
معلوم أن الأخ الكامل آخر هو أنت والأخ غير الكامل عضو متمم لك ، ولما كان الإنسان في نفسه قد تعتريه بعض أمراض في عضو من الأعضاء أو في كل جسمه فكذلمك قد تعترى الأخ غير الكامل أمراض وقد يعتري الأخ الكامل فتور فالواجب علي الأخ أن يبذل ما في وسعه لحصول الصفاء بينه وبين أخيه ، كما يبذل وسعه في معالجة العضو إذا مرض ليدوم له الصفاء وللأخ كما تدوم له الراحة

والعافية ،و إن من الناس من يبذل وسعه في اتخاذ الإخوان ثم يتساهل في المحافظة عليهم فتحصل الجفوة بينهم وربما انقلب الصاحب عدواً بسبب عدم المحافظة علي روابط الإخاء ، فإن للأخ كلما تقادم عهد الإخاء حقوقاً علي أخيه توجبها الصداقة الخالصة ، وتخلل المحبة في جميه أجزاء الجسم حتي يري كل أخ أن أخاه كنزه وذخره ونفسه التى بين جنبيه فتكثر طلباته وترتفع الكلفة بينه وبينه وتكون الهفوة الصغيرة من الأخ الصادق كأكبر أذية من غيره ، فعلي الأخ أن يبدي لأخيه البشاشة وخصوصاً عندما يطلب منه حاجة . وأن يكون صادقاً معه يقوم له بما يجب عليه ولا يطالبه بالواجب لنفسه . وخير الإخوان من واساك ومن إذا أطعت ربك أعانك وإذا نسيت ذِكْره ذكَّرك وإذا هممت بمعصية ردك . وليس بأخ من حسدك علي النعمة ونهاك عن الطاعة وأنساك ذكر الله وأعانك علي المعصية ، ولكنه عدو مبين وشيطان لعين وأخوك حقا من أحبك لمعان عالية للعلم أو العمل به أو للفضائل النفسانية والأعمال الصالحة ومعرفة الله تعالي والرغبة فيما عند الله تعالي وخوف مقامه سبحانه وتعالي والمسارعة إلى مغفرة الله ونيل رضوانه ومن أحبك لتلك المعانى أو لبعضها فهو الأخ حقا والصديق صدقاً، ومن أحبك لمال أو لجاه أو لوظيفة أو لقوة جسمانية أو لينال بك حاجتة فليس بأخ لك ولكنه أخ لما أحب ، فاحتفظ منه على نفسك ولا تغتر به ولا بأمثاله فإنهم كثيرون والمضار التى تحصل للرجال أكثرها من هؤلاء وأحب أن تعامل الله فى كل إخوانك معاملة ترضيه سبحانه وترضي رسوله ﴿ ρ وآله﴾ وأحب أن تكون باذلاً وسعك في منفعة إخوانك وأن تكف أذيتك عنهم ومتاعبك ليكون الله في عونك . والله تعالي أسال أن يعيننا علي القيام بالواجب إنه مجيب الدعاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

# الخاتمة

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم الوهاب الفتاح العليم الذي علّم من شاء الحكمة وفصل الخطاب، والصلاة والسلام علي سيدنا ومولانا محمد وآله . اللهم إنى أسألك ستر عورتي وغفران ذنوبى . وأبرأ اللهم إليك من شر نفسي ومن كل قول قلته أو فهم فهمته أو مبهم بينته أو مجمل فصلته لم أهتد فيه للصواب للتسرعى وغفلتي ونسياني ، وأساالك يا مجيب المضطر إذا دعاه يا قابل التوب وغافر الذنب أن تجعل ما ألهمتني إياه وأعنتنى علي بيانه وشرحت صدري لتدوينه من الحق والخير الحقيقي والنفع خالصا لوجهك الكريم ، تنفعني به وتنفع إخواني المسلمين . اللهم ما كان حقا مما وفقت وأعنت علي وضعه فاجعله خالصا لوجهك الكريم ووسعة لى في قبري ونوراً لي يوم لقائك ، وترفعني منك يا إلهى به الدرجات العلا . وما وقع مني مما أنا أهله من العجلة والنسيان والخطأ فاستره يا إلهى بغفرانك واجعله يا إلهى محمولاً علي جانب عفوك وعمِّم يا إلهى فضلك العظيم لي ولأهلي وأولادى وإخوانى ، لا إله الا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجنيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وصلى الله علي سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وفاتح أبواب الخير العظيم وآله وسلم .

**الخويدم المسكين**

عبد الله

محمد ماضي أبو العزائم

υ